

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الطفل في أعمال محمود شقير القصصية

إعداد

زهور علي محمد يوسف

إشراف

د. نادر قاسم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2016

الطفل في أعمال محمود شقير القصصية

إعداد

زهور علي محمد يوسف

نُوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2016/10/6 وأُجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

.....

– د. نادر قاسم / مشرفاً ورئيساً

.....

– د. حسين الصياد / ممتحناً خارجياً

.....

– د. عدوان عدوان / ممتحناً داخلياً

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى :

- زوجي العزيز الأستاذ الدكتور محمد دوابشة.
- أولادي الأعزاء: شذى، ميار، شهد، وسيم، أحمد.
- روعيّ والديّ الطاهرتين.

شكر وتقدير

أقدم بجزيل الشكر إلى المشرف على هذا البحث الدكتور نادر قاسم الذي لم يبخل علي في النصح والإرشاد والتوجيه، فكان نعم الموجه ونعم المعلم. والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذا البحث وصاحبته. كما أشكر موظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية وموظفي مكتبة بلدية نابلس العامة لما قدموه لي من مساعدة خلال إعداد المادة العلمية. كما أشكر صاحب هذه القصص وكاتبها الكاتب القاص محمود شقير الذي لم يتردد لحظة في تقديم المساعدة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان

الطفل في أعمال محمود شقير القصصية

أقر بأن ما شملت عليه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص, باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة علمية أو بحثية

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degrees or qualifications.

Student's Name:

اسم الطالب: زهور علي محمد يوسف

Signature

التوقيع:

Date

التاريخ: 2016/10/6

فهرس الموضوعات

ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس الموضوعات
ح	الملخص
1	المقدمة
5	الفصل الأول
5	محمود شقير: الإنسان والكاتب
6	سيرة محمود شقير الأدبية
21	الفصل الثاني
21	أبعاد صورة الطفل الفلسطيني في أدب محمود شقير
22	الأبعاد النفسية:
31	الأبعاد الاجتماعية:
42	الأبعاد التربوية:
51	الأبعاد السياسية:
56	الأبعاد الوطنية:
61	الفصل الثالث
61	منظور الطفل لقضايا أمته:
62	1- منظور الطفل للشهادة:
65	2- منظور الطفل للوطن
75	3- منظور الطفل للأرض
79	4- منظور الطفل للبيئة الاجتماعية:
85	5- منظور الطفل للاحتلال
96	6- منظور الطفل للطفولة
102	الفصل الرابع
102	التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أدب محمود شقير
103	1- اللغة:
112	2- الأسلوب:
115	3- الصورة
120	4- التناسق:

120.....	التناص الشعبي:
122.....	التناص الأدبي:
124.....	التناص الديني:
124.....	التناص التاريخي:
127.....	التناص الأسطوري:
129.....	5- السرد:
134.....	الخاتمة:
136.....	المصادر والمراجع

الطفل في أعمال محمود شقير القصصية

إعداد

زهور علي محمد يوسف

إشراف

د. نادر قاسم

الملخص

يعد محمود شقير من القاصين والروائيين الفلسطينيين الذين يشار إليهم بالبنان؛ لما له من إسهامات واضحة، أضافت للقصة الفلسطينية القصيرة الكثير من الجوانب الفنية خلال مسيرته الكتابية والإبداعية.

وقد جاء هذا البحث، الموسوم بـ "الطفل في أعمال محمود شقير القصصية"؛ ليتناول ظاهرة خاصة، تفرد بها محمود شقير عن غيره من كتاب القصة القصيرة في فلسطين، وقد حاولت الباحثة فيه تسليط الضوء على الأبعاد الطفولية ومضامينها وأساليبها في هذا النوع من الأدب، إذ تناولت الأبعاد النفسية والاجتماعية والوطنية والتربوية والسياسية، وبينت أن هذه الأبعاد كانت لافتة للنظر في الأدب الطفولي للكاتب، وكانت صدى واضحا لما يدور في دواخل الكاتب وهواجسه جاءت على لسان الطفل، كما لاحظت الباحثة أن الكاتب استطاع أن يدخل إلى عالم الطفل الداخلي ويتحسس هواجسه ويلامس احتياجاته النفسية والاجتماعية.

كما أظهرت منظور الطفل لكل من الأرض والشهادة والوطن والاحتلال والبيئة الاجتماعية، وبينت النظرة الطفولية لهذه القضايا، وكيف تعامل الطفل معها، ورأت أن الطفل كان له حضور مميز في انتمائه لوطنه والدفاع عنه ومقاومته للاحتلال. فالطفل حمل عبئا ثقيلا في مكان الصراع فلسطين، وهو بهذا يختلف عن غيره من أطفال العالم، فقد رفع شقير من فكر الطفل وطريقة تعامله مع الاحتلال وأسند إليه مهام كبيرة تفوق سنه.

ورصدت الباحثة التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أعمال محمود شقير القصصية، فأظهرت الجوانب الجمالية فيه، وكان في مقدمتها: اللغة التي كانت سهلة تتناسب مع الطفل ومستواه الفكري والعقلي، والأسلوب الذي جاء منسجما مع لغة الطفل، أما الصورة، فكانت تعتمد على تقنيات السرد بشكل دقيق وحساس.

المقدمة

ينهض هذا البحث بدراسة محددة عن الطفل في أعمال محمود شقير القصصية، فعنوانه الطفل في أعمال محمود شقير القصصية؛ وذلك يعود لعدة أسباب، منها: أن شقير يعد من ركائز القصة القصيرة في فلسطين، وقد أسهم إسهاماً واضحاً في تطويرها الفني والأسلوبي، ولإعجابي الشديد بالأسلوب اللغوي الذي وظفه، ولأهمية تقنيات التشكيل الجمالي في قصصه الموجهة للطفل، والأهم من ذلك، تلك الرسائل الصريحة التي بعثها في ثنايا قصصه للطفل، سواء أكانت تربوية أم تعليمية أم وطنية أم اجتماعية. وفي حدود علمي لم أعثر على دراسة وافية تناولت الطفل في أعمال محمود شقير القصصية حتى تاريخ إعداد هذه الرسالة.

وتحاول الدراسة أن تحدد منهجاً معيناً تسير فيه؛ بهدف تحقيق أكبر فائدة ممكنة، وهذا المنهج يبني على نظرية نقدية تعتمد طريقة تناول النص الأدبي وفهمه في اكتشاف القيم الجمالية والفنية والفكرية، بما يتوافق ومحددات الدراسة وإطارها، وأرى أن المنهج غير المقيد، يسعف الباحث أكثر من غيره، وهذا ما اعتمدته الباحثة في بحثها، إذ لم تقتصر على منهج بعينه، وإنما سعت إلى الأخذ من مناهج أخرى، ولذلك جاء المنهج في هذه الدراسة أقرب إلى المنهج التكاملي الذي يفيد من المناهج النقدية الحديثة ويعتمد عليها. وقد حاولت الدراسة أن تجيب عن بعض التساؤلات، ومنها:

* كيف صور شقير الطفل؟

* ما هي صور الطفل عنده؟

* هل ارتبطت صورة الطفل بأحداث واقعية عاشها وعاشها؟

* ما هي اتجاهات أدب الطفل عنده؟

* ما علاقة الطفل بالأرض والوطن والشهيد في أدبه؟

* ما هي صور التشكيل الفني لصور الطفل عنده؟

ومن هنا جاءت أهمية الدراسة التي حاولت أن تحقق عدة أهداف، ومنها:

* استنتاج أدب شقير القصصي الذي صور فيه الطفل.

* التركيز على أدب الطفل عند قاص فلسطيني بارز.

* أفراد دراسة أدبية وافية تتناول صورة الطفل عند قاص فلسطيني مشهور، لم تقرد له دراسة علمية.

* دراسة هذا الأدب من حيث اللغة والصورة والأسلوب والتناص.

ولا توجد دراسة علمية سابقة عالجت الموضوع معالجة مباشرة أو غير مباشرة، ولكن هناك دراسات عن أدب الأطفال في فلسطين بشكل عام، مثل: دراسة إيدان الرجوب (أدب الأطفال في فلسطين: فنونه واتجاهاته)، ولكن هذه الدراسة كانت عامة وكان نصيب أدب شقير منها قليلاً جداً، ودراسة منير فوزي (صورة الطفل في الرواية المصرية)، وهي بعيدة عن واقعنا الفلسطيني، ومثلها دراسة هناء علي الكتبي (صورة الطفل في الرواية الإماراتية المعاصرة)، أما دراسة مرزوق بدوي (أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني من سنة 1920-1948) فقد خصصت لشعر الطفل الفلسطيني، ودراسة سامي السرخي (الفن القصصي عند محمود شقير) وهذه الدراسة لم تكن موجهة لقراءة صورة الطفل في أدب شقير، بل تناولت الفن القصصي عند الكاتب بشكل عام: بداياته وموضوعاته وخصائصه الفنية، ومن المقالات العامة عن أدب الطفل مقال مشهور حيازي (اتجاهات شعر الطفل في الشعر الفلسطيني المعاصر) ودراسة أحمد زلط (أدب الطفل: أصوله ومفاهيمه) ومقال جميل حمداوي (تاريخ مسرح الطفل في العالم) ومقال خليل عودة "الطفل الفلسطيني في أدب فدوى طوقان"، وهذه المقالات والدراسات تناولت اتجاهات أدب الطفل بشكل عام، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول موضوعاً محدداً وواضحاً عند كاتب يستحق الدراسة والبحث.

وقد استقام البحث في أربعة فصول، تناول الأول منها: سيرة شقير الأدبية وموقعه بين

كتاب القصة الفلسطينية القصيرة، ومدخلاً عاماً عن أدب الطفل وموقعه في الأدب الفلسطيني.

أما الفصل الثاني، فقد تناول أبعاد صورة الطفل في أعمال محمود شقير القصصية، جاء

في مقدمتها الأبعاد النفسية وانعكاساتها على الطفل وواقعه الإنساني، ومن تلك الأبعاد، الأبعاد

الاجتماعية التي كان يعيشها ويعايشها الطفل في بيئته الاجتماعية التي لا يمكن له الانفصال

عنها.

يضاف إلى ذلك الأبعاد التربوية التي جاءت من خلال رسائل واضحة وصريحة من شقير، فقد كان معلماً ومربياً، أما الأبعاد السياسية والوطنية، فكان لها نصيب بارز، إذ إن واقع الطفل الفلسطيني كان مختلفاً عن غيره من أطفال العالم، فكان عليه أن يحمل عبئاً وطنياً لمصلحة وطنه وشعبه. ثم تناول الفصل الثالث منظور الطفل لبعض القضايا الرئيسية في حياته، فقد تحدثت عن منظور الطفل للشهادة، وكم من طفل شهيد ارتقى إلى العلا دفاعاً عن فلسطين، وبيّنت أن الطفل الفلسطيني كان يتمنى الشهادة وينتظرها، أما الوطن، فقد نظر إليه نظرة مختلفة، فهو مكان الصراع الذي دارت حوله المؤامرات، التي يحاول الطفل الاعتماد على نفسه في تخليص الوطن منها، في حين نظر الطفل إلى الأرض نظرة تقديس، فهي تختلف عن غيرها من بقاع الأرض؛ لأنها أرض فلسطين، ثم تحدثت عن نظرة الطفل للاحتلال الذي مزق هذه الأرض، وشتت هذا الشعب، فكيف سينظر له هذا الطفل، وهو يرى صباح مساء القتل والحرق والدمار والاستيطان؟ فجاءت نظرة الطفل إليه نظرة احتقار وكراهية ووحشية وبخاصة في تعامله مع الطفل.

وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أدب محمود شقير، وفي مقدمته اللغة، التي منحت الطفل فكراً وخيالاً يتناسب مع طفولته وسنه.

ثم انتقلت للحديث عن الأسلوب الذي ميز شقير عن غيره من الكتاب، ذلك الأسلوب الذي جمع فيه تلك الصور والتشبيهات والاستعارات والتجسيم ليجذب القارئ والطفل معاً، وهذا من أفضل الوسائل للوصول إلى الطفل وهدفه، وقد اتبعت ذلك الحديث عن الصورة، ووجدت أن شقير لجأ إلى الصور البسيطة التي لا رمزية فيها، كما لاحظت أن البدايات تختلف من قصة إلى أخرى، وقد جمع بين الصورة الساخرة والجادة في رسمه للمشاهد القصصية.

كما استخدم الكاتب أنواعاً مختلفة من التناس، جاء في مقدمتها، التناس التاريخي، إذ اعتمد عليه بشكل واضح، ثم الأدبي، ولعل مهنة التدريس أفادته بشكل واضح في الاهتمام بهذين النوعين من التناس، ثم جاء التناس الأسطوري وكان قليلاً جداً، وأقله الديني، ويمكن تفسير ذلك بأن الحديث عن الطفل ومخاطبته لا يحتمل الأسطورة وماوراءها، أما الديني، ولعل الفكر الذي يحمله شقير كان السبب وراء قلة اعتماده على هذا النوع من التناس.

ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن السرد، ووجدت أن شقير اعتمد فيه على الجمل البسيطة وبخاصه الجمل الفعلية المكونة من فعل و فاعل، وكان أحياناً يتبعها بجمل حالية، بهدف تقريب المشهد للطفل، لذلك لم نره يتلاعب بتقنيات السرد والتثقل فيما بينها، كما جاء الحوار قصيراً ومباشراً، ولما استخدم الضمائر، إذ استعاض عنها بالأسماء المباشرة. ثم ختمت البحث بخاتمة، أوجزت فيها أهم نتائج البحث فمصادره ومراجعته.

الفصل الأول

محمود شقير: الإنسان والكاتب.

سيرة محمود شقير الأدبية.

مدخل عن أدب الأطفال في الأدب الفلسطيني.

سيرة محمود شقير الأدبية

يعد محمود شقير من الأدباء المميزين في مجال القصة القصيرة، وهو من الأدباء الذين يشار لهم بالبنان في هذا الميدان، ولد عام 1941 في جبل المكبر بالقدس، ولمع اسمه في الستينيات من القرن المنصرم، فهو كاتب قصة في مجلة الأفق الجديد التي صدرت بين عامي 1961_1966، صدرت مجموعته القصصية الأولى خبز الآخرين عام 1975، قدم لها الشاعر المرحوم توفيق زياد عن منشورات صلاح الدين في القدس، بعد إبعاد الأخير عن أرض الوطن إلى لبنان، حيث عمل محرراً في مجلة فلسطين الثورة (1).

انتقل إلى الأردن ليعمل في مهنة التعليم والصحافة والكتابة، فضلاً عن نشاطه النقابي في رابطة الكتاب الأردنيين. عاد إلى فلسطين عام 1993، ضمن أول مجموعة من المبعدين ممن سمح لهم بالعودة بعد اتفاق أوسلو الذي نشأ عنه قيام السلطة الوطنية الفلسطينية. فعمل محرراً ثم رئيس تحرير لصحيفة الطليعة المقدسية الأسبوعية حتى توقفها، وبعد تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية عمل مديراً عاماً في وزارة الثقافة الفلسطينية، وما زال شقير مقيماً في القدس يواصل كتاباته ونشاطه الثقافي.

تلقى علومه الأولى في القدس، ثم انتسب إلى الجامعة السورية، فحصل على ليسانس في الفلسفة، وهو مربٍ معروف، تقف أجيالاً كاملة من طلابه على حب الأرض والوطن والشعب، وغرس في نفوسهم الشوق إلى الحرية وحب الكفاح في سبيل مستقبل أفضل. ومحمود شقير قبل ذلك كله "شخصية اجتماعية وسياسية معروفة، وصاحب موقف فكري تقدمي ثوري واضح، نذر نفسه لأجل قضية تحرر شعبه من نير الاحتلال، ومن حكم الاستعمار وإجراءاته التعيسين، وللقضاء على مجتمع العبودية الطبقيّة وبناء مستقبل شعبه ومستقبل الإنسانية الإشتراكي وموقفه الفكري، هذا هو مضمون حياته ونشاطه"².

مال منذ صغره إلى القضايا السياسية؛ وبسبب ذلك اضطره ولوحق واعتقل أكثر من مرة، كان لقاءه الأول مع زنازين الاحتلال بتاريخ 1969/7/28 وبعدها فصل من عمله في

¹ شقير، محمود، خبر الآخرين، منشورات صلاح الدين، القدس، ط 1، 1975، المقدمة ص5.

² نفسه ص5.

التربية والتعليم، واعتقل بموجب أمر إداري، حيث تعرض لأبشع أنواع التعذيب، واضطرت سلطات الاحتلال إلى إطلاق سراحه بتاريخ 26-5-1970، أما آخر لقاء له فكان عندما اختطف من زوجته وأطفاله واعتقل إدارياً بتاريخ 19 نيسان 1974 مع العشرات من رفاقه؛ بهدف كسر عنفوان الشعب الفلسطيني الذي يرفض الانحناء¹.

تضم مؤلفاته من المجموعات القصصية: خبز الآخرين 1975، الولد الفلسطيني 1977، طقوس للمرأة الشقية 1986، ورد لدماء الأنبياء صمت النواذ 1991، مرور خاطف 2002، صورة شاكيراً 2003، ابنة خالتي كوندوليزا 2004، باحة صغيرة لأحزان المساء 2004، احتمالات طفيفة 2006.

ومن أدب الأطفال والفتيان: الجندي واللعبة 1986، الحاجز 1986، أغنية الحمار 1988، قالت مريم.. قال الفتى 1996، مهنة الديك 1999، أنا وجمانة 2002، تجربة قاسية 2002، الولد الذي يكسر الزجاج 2002، الحطاب 2002، قالت لنا الشجرة 2004، علاء في البيت الصغير 2004، الملك الصغير 2004.

ومن السير والرحلات: ظل آخر للمدينة 1991، مدن فاتنة وهواء طائش² 2005، وهو قاص وروائي ومسرحي، فقد كتب الأديب شقير: القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً وقصة الأطفال وقصة الفتیان والرواية والمقالة الأدبية والمقالة السياسية والمسرحية وسيناريوهات لعدة مسلسلات تلفزيونية، خلط فيه فنونا إبداعية مختلفة، لكنه يقدم نفسه للقراء بقوله "أحب أن يعرفني القراء بصفة كوني كاتباً للقصة القصيرة، بعد ذلك تأتي أنشطة كتابية أخرى متوازية مع كتابتي للقصة، أو على هامش كتابتي لها³.

¹ شقير، محمود، خبر الآخرين، ص 6.

² داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، ص 25. على الرابط الإلكتروني: www.uop.edu.jo/download/Research/members.

³ السلحوت، جميل، محمود شقير الأديب المتجدد والمتميز دائماً، مقال الكتروني منشور بتاريخ 2012/5/29 على الرابط الآتي <http://www.odabasham.net/show>.

والأديب شقير إنسان متكامل" فهو رصين رزين في كل الأحوال، جاد في مواقف الجد، فكاهي في مواقف الفكاهة، لكنه ليس مسرفاً لا في جده ولا في هزله، يعشق الحياة ما استطاع إليها سبيلاً¹.

وكاتبنا صاحب خبرة طويلة في ميدان الأدب وله باع طويل فيه، إذ تمتد تجربة محمود شقير على مدى زمني طويل يزيد عن أربعة عقود، شهدت تحليلات واختبارات للكاتب والكتابة، ويرتبط شقير بمجلة الأفق الجديد المقدسية (1966-1961)، فمعها اقترن اسمه بالقصة القصيرة إلى جانب أسماء بارزة، شكلت الموجة الأهم بعد الرواد الأوائل للقصة القصيرة في فلسطين والأردن، ومن الأسماء الأساسية لما اصطلح عليه بجيل الأفق الجديد إلى جانب محمود شقير أسماء: فخري قعوار، يحيى يخلف، صبحي شحروري، خليل السواحري، نمر سرحان، الشهيد ماجد أبو شرار وغيرهم².

تميز الكاتب بميل خاص إلى الانفتاح على التجريب، والاستعداد الدائم للخروج على ما استقرت عليه الكتابة، حتى عند صاحبها نفسه، فهو كاتب مجدد مغير، لا يركن في كتابته إلى الطمأنينة، ولا يقبل بالثبات، ولذلك بدا سابقاً إلى أشكال متعددة من التجريب، مما ميز تجربته الكتابية، مثلما شكّل أحد المؤثرات الكبرى في المشهد القصصي في فلسطين والأردن، ويمكن القول دون حرج، إن تجربة شقير إحدى التجارب المؤثرة في توجهات القصاصين وطرائقهم الكتابية حتى اليوم، ولذلك يصعب تفهم طبيعة تطور القصة في فلسطين والأردن، دون الانتباه إلى تجربة شقير، وما تمثله من حضور وتأثير في تجارب مجاليه والأجيال اللاحقة له³.

تتظر قصص شقير إلى القارئ باحترام كبير " تعترف به وتثق بقدراته، ولذلك، فإنها لا تعطيه المعنى كاملاً، تضع أمامه قسطاً من المعنى وتترك له أن يرى ما تبقى، محولة القراءة

¹ عظيمي، كاظم وآخرون، تحليل العناصر القصصية في قصة "ابنة خالتي كونداليزا رايس" للكاتب الفلسطيني محمود شقير، مقال الكتروني على الرابط.. www.mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article.

² عبيد الله، محمد، بلاغة السرد، مطبعة السفير، عمان، ط 1، 2006، ص 11.

³ نفسه، ص 11.

إلى حوار ومصيرة الكتابة إلى فعل مشترك، يحققه الكاتب والقارئ معاً، بعيداً عن كتابة تلقينية، تسحب اعترافها بالقارئ، قبل أن تتوجه إليه¹.

لقد تنوعت موضوعات قصصه زمانياً، ففي قصصه التي كتبت قبل عام 1967، يقدم لنا القرية الفلسطينية بطبيعتها الجميلة وأهلها الطيبين البسطاء الذين يكدحون بقسوة ويجوعون، وهم يحلمون بحياة أفضل، يسودها العدل والاكتفاء².

إنه قاص يتأمل الحياة وتفاصيلها، ويدفع القارئ إلى تأملها، يستبصرها، يلاحظها بأحاسيس مرهفة، ثم يجسدها بتكثيف، ودون تجميل أو تزييف، بسرٍ سهل ممتنع، مع تغليفها بغلاف من السخرية المرة الناقدة للذات وللآخر متمثلاً بالاحتلال والعالم خارج فلسطين. إنها قصص كاشفة للمُضمر من وعي الإنسان الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال معلنة لما هو مسكوت عنه في لا وعيه وما هو معلوم به، تضع هذا المحتل - الذي وقع عليه الاحتلال - في السياق الثقافي المناسب، دون تزييف للوعي العام، أو رسم صورة إعلامية لإنسان فلسطيني لا يقهر ولا ينهار ولا يحلم ولا يتألم، ولأم تزغرد كلما استشهد لها ولد³.

إن الكتابة الإبداعية عند شقير "تظل مرتبطة بالواقع الفلسطيني، وكأنها المعادل الموضوعي لهذا الواقع بامتداداته المتعددة باتجاه تأصيل للقصة الواقعية، في ارتباطها بهوموم الإنسان العامة وقضاياها، وإن وجود أفكار قصصية تتناول الإنسان البسيط في همومه اليومية لا نجدتها تتناقض مع هذا التوجه العام، بل وفي أحيان كثيرة تظل مرتبطة كلياً بهذا التوج"⁴.

يلاحظ المتابع لإنتاج شقير تعدد مشاربه القصصية، فنحن نلتقي في قصص مع واقعية تسجيلية يرصد فيها الوقائع بتفاصيله، وبجزئياته اليومية وبخاصه في مجموعته الأولى، كما في قصص "خبز الآخرين" وقصة "أهل البلد" وكذلك قصة "الخروج" في مجموعه الولد الفلسطيني، كما نلتقي في قصصه بتعبيرية يميل فيها إلى التجريد. كما في قصة "الوطن" بحيث يتداخل

¹ نفسه ص 99.

² ينظر، شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 8.

³ داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، ص 24.

⁴ رضوان، عبد الله، البني السردية، دروب للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2009، ص 168.

⁵ المصدر السابق، ص 164.

الشعري مع الوقائعي اليومي، هذا التوجه الذي ما لبث أن اتخذ مساراً جديداً في المجموعة الثالثة حيث الاعتماد على لحظة مكثفة لا يصال الفكرة في قصة قصيرة جداً لا تتجاوز بضعة أسطر والتي خصص شقير موضوعاتها لقضية المرأة؛ لوعيه بأهمية دور الأم مربية الطفل وفي عملية التغير الاجتماعي التي يتطلع إليها القاص والمناضل محمود شقير.

كما نلتقي مع شكل ثالث في قصصه يتمثل في القصص الرمزية، وإن كان القاص يعتمد رمزاً بسيطاً يسهل الوصول إليه، أي أن قصصه الرمزية على قلتها ليست قصصاً مستغلقة، بل أن الرمز فيها يشف حتى يكاد يكون مباشراً، كما هو الحال في قصة "رجل قام من بين الأحياء"¹. لم يكن محمود شقير منتمياً إلى تنظيم أو حزب بعينه، وإن كان ميالاً إلى الجانب الاجتماعي والفكري الذي يتبع في مساره وتطبيقه الفعلي الاتجاه الواقعي المعاصر، ولهذا فقد استمد كاتبنا من الموجة الإنسانية ومن وجوب تخليص الإنسان من التعاسة، ثم تخليصه من عبودية الطبقة الحاكمة؛ سعياً وراء ذلك كله إلى بناء مستقبل إنساني اشتراكي مشرق للإنسانية بشكل عام².

احتل محمود شقير مكانة مرموقة في عالم القصة القصيرة إذ يعد واحداً من أبرز كتاب القصة القصيرة الذين أخلصوا لهذا الفن، وكادوا يقصرون جلّ جهدهم للكتابة فيه وتطويره وإبرازه؛ ليحتل مكانة يلتفت إليها، كما كان يلتفت إلى الشعر. وشقير لم يكتب في غير هذا الجنس إلا نادراً، أي أنه لم يلتفت إلى الرواية ضارباً عرض الحائط بالقصة القصيرة، كما فعل بعض أفراد جيله مثل يحيى يخلف ورشاد أبو شاور، ولم يلتفت إلى السياسية التفاتاً يقصي الأديب فيه، كما فعل ماجد أبو شرار وحكم بلعاوي، ولم يصبح ناقداً أكثر منه قاصاً كما أصبح صبحي شحروري.

إن ما كتبه شقير من قصص قصيرة للأطفال: سياسية واجتماعية وفكرية، لم تجعل منه كاتباً سياسياً بالدرجة الأولى، أو مصلحاً اجتماعياً، كما أن النصوص المسرحية والتمثيلية التي أنجزها لم تجعل منه كاتباً مسرحياً متميزاً، وعليه فقد ظل شقير قاصاً بالدرجة الأولى، قاصاً

¹ ينظر، عباس، نصر، الفن القصصي في فلسطين، ص 466.

التفت إلى هذا الفن، وأخذ يكتب فيه ويطور رؤيته إليه، وهذا ما يتضح من خلال مجموعاته التي أصدرها¹.

يقول محمود شقير في مقابلة معه: إن السبب في تلك الهامشية هو الحصار الإسرائيلي للثقافة على المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1997، حيث منع الفلسطينيون من استيراد الكتب أو تسويق الإنتاج المحلي ونشره في العالم العربي، مما أدى إلى انقطاع بين الكتاب ونظرائهم في الدول العربية دام سنوات طويلة، تاركا أثرا على الإنتاج الأدبي والمعرفي بشكل عام وعلى أدب الأطفال بشكل خاص².

ويشير شقير إلى أن أدب الأطفال يعاني من نقص في الموارد، حيث لا يوجد دورات تدريبية؛ لتأهيل كتاب قصص الأطفال، كما أن الكتاب المعروفين لا يكتبون للأطفال، إذ من الصعب بيع كتبهم، نظرا للأوضاع الاقتصادية المتردية، إضافة إلى أن تكلفة تصميم الكتاب وطباعته بصورة جيدة مكلفة، وهذا سبب لإصدار الكثير من كتب الأطفال بصورة رديئة لا تشجع على قراءتها³.

لقد عرف شقير كاتب قصة قصيرة، وهو العارف بأسرارها وعوالمها، " في قصص محمود شقير القصيرة جداً نلتقي بالقاص الموهوب، العارف بفن القصة القصيرة الذي لفت الانتباه منذ مجموعته الأولى "خبز الآخرين" التي نشرت عام 1975، وضمت قصصاً واقعية تمنح من البيئة الفلسطينية الشديدة الخصوصية التي تدور في معظمها في منطقة القدس"⁴.

وصفه رشاد أبو شاور بقوله: "محمود شقير قاص واقعي، لكنه لم يحبس نفسه في إطار ضيق وقصصه القصيرة جداً هي تحليق في فضاء رحب، ولكن هذا التحليق يحتاج لجناحين قويين جريئين وهو علم من أعلام فن القصة، ذو حضور بهي يتجدد باستمرار مع كل إطلالة

¹ الأسطه، عادل، محمود شقير والقصة القصيرة على الرابط الآتي:

<http://mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article.php?storyid=387>

² مقابلة مع الكاتب بتاريخ 20/10/2014.

³ عليان، سلوى، طفولة في صراع: انعكاس الصراعات السياسية والاجتماعية في أدب الأطفال الفلسطيني (1987-2000) ص19.

⁴ أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشروق، عمان، ط 1، 2007، ص 57.

في كل مجموعة قصصية جديدة يصدرها ومع كل قصة يكتبها¹. ويرى عادل الأسطة أن محمود شقير كان يختفي أحياناً وراء شخصياته القصصية كما هو الأمر في "فرس العائلة" ومديح لنساء العائلة².

¹ نفسه، ص 58.

² الأسطه عادل، جريدة الأيام، 2015_7_26، عدد 7019.

مدخل عن أدب الأطفال في الأدب الفلسطيني.

إن الدارس "لأدب الطفل" عليه أن ينظر إلى هذه الجملة من زاويتين "الأدب" و"الطفل"، فلا يكتمل المعنى في ذهن السامع لكل من المفردتين إلا من خلال المضاف والمضاف إليه "أدب الطفل" الذي يعطي المفهوم النفسي والأدبي والاجتماعي والعقلي، فالأدب هنا مرتبط بالطفولة الإنسانية التي قد تمتد إلى ثمانية عشر عاماً.

وهناك تعريفات عدة لأدب الأطفال،¹ لا يمكن حصرها، وأرى أنه اللفظ الجميل الذي ينسجم مع عالم الطفولة نفسياً وفكرياً واجتماعياً. وأدب الأطفال " مصطلح مراوغ الدلالة، فهل هو الأدب الذي يكتبه الكبار خصيصاً للأطفال؟ أم هو الأدب الذي كتبه الكبار للكبار ولكن بعضه يصلح للأطفال من منظور التربويين والأدباء؟ أم هو الأدب الذي يكتبه الأطفال أنفسهم؟²

ففي أدب الطفل بعامة منهاج تعليمي خفي غير مخطط له بالضرورة، فحين يردد طفل ما ترديداً إيقاعياً جميلاً فقد يكتشف المعلم أن لدى الطفل موهبة غناء فيعززها على سبيل المثال، "إن أحد الأسباب لانتشار أدب الأطفال المكتوب في العالم العربي كان التماس بين الشرق والغرب، حيث ساهمت بريطانيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بنشر فكرة أدب الأطفال المكتوب من خلال مستعمراتها، حيث أدى ذلك إلى زيادة الوعي بمكانة الطفل"³.

وقد جاء الاهتمام بالطفل العربي متأخراً عنه عند الأمم الأخرى لأسباب عدة، إذ تشير المصادر إلى أن أدب الأطفال في الوطن العربي قد تأخر كثيراً عن الأدب الغربي في العصر

¹ ينظر في تعريف أدب الأطفال:

حلاوة، محمد، أدب الأطفال، مدخل نفسي اجتماعي، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط 1، 2003، ص 59.

- نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص 279.

- عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 1999، ص 12.

- زلط، أحمد، أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه، ص 25.

- قناوي، هدى، أدب الطفل وحاجاته، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2003، ص 22.

² عيسى، رائد علي، التشكيل في أدب الأطفال، مدخل تطبيقي في أدب الاطفال في الأردن، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، ص 17.

³ عليبات، سلوى، موسوعة وأبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، مجمع القاسمي، 2014، ج 5، ص 8.

الحديث، ويمكن القول إن ظهور هذا الأدب في اللغة العربية قد تأخر إلى أواخر القرن التاسع عشر" عندما بدأ في شكل إرهابات مصحوبة برياح التأثير الثقافي الوافد من الغرب، ومتأثرة بما وصل إليه هذا الأدب في كل من فرنسا وانجلترا¹، وقد تعددت أوجه العناية بأدب الطفل العربي، منها: عقد الندوات الخاصة بالطفولة على الصعيدين الوطني والقومي، وتخصيص جانب من مؤتمرات اتحاد الأدباء العرب للأطفال وأدبهم وثقافتهم².

أما في فلسطين، فقد بدأ تطور أدب الأطفال الفلسطيني متأخراً مقارنة بالعالم العربي، فقد بدأ هذا التطور مع بداية الانتداب البريطاني لفلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1917، إذ تشير المصادر إلى أن انتشار المدارس والمطابع من جهة، والوعي القومي والوطني - لدى شخصيات تربوية مثل خليل السكاكيني وغيره من المربين الفلسطينيين - من جهة أخرى، كان لهما الأثر الكبير في نشر قصص الأطفال المطبوعة³.

بدأت حركة أدبية لإنتاج قصص الأطفال والكتب التعليمية، واستمر ظهور أكثر من 15 جريدة للأطفال، بدأت منذ الفترة العثمانية حتى عام 1948، مثل: مجلة السمير، باكورة صهيون، صوت الكلية، مجلة مدرسة صهيون، مجلة كلية ترسانة، مجله دار الأيتام، المنير، الكشاف، الغد، القافلة، المنتدى، مجلة الرابطة، مجلة اتحاد النوادي الأرثوذكسية وغيرها، وقد صدر معظم هذه المجالات في المدن المركزية كحيفا والقدس، واعتنت بالهم الوطني واللغة العربية، وعظمت التراث العربي وسعت إلى مواجهة الصهيونية⁴.

1 الكعبي، فاضل، كيف نقرأ أدب الأطفال، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012، ص 117، وينظر، العناني، حنان، أدب الأطفال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 9-12، عليان، ربحي، أدب الأطفال، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 2014، ص 1، ص 83 وما بعدها.

2 ينظر في مكان هذه الندوات والمؤتمرات وزمانها، حور، محمد، الطفل والتراث، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 1993، ص 179-180. وينظر، أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال، دراسة وتطبيق، ط 1، 1984، ص 20-21.

3 ينظر، العناني، حنان، أدب الأطفال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط 1999، ص 1، ص 17.

4 عليان، سلوى، بين التربية والهوية، بعض من ملامح أدب الطفل الفلسطيني في إسرائيل، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أدب الاطفال، أكاديمية القاسمي، ط 1، 2014، ص 9.

ثم انتشرت خلال سنوات الانتداب البريطاني النشرات الإذاعية المختلفة التي جمعت ما بين قصص الأطفال والقيم الوطنية، ويمكن اعتبار الكتابة للأطفال رد فعل الأدباء والمربين؛ للذود عن الهوية الفلسطينية في مواجهة خطر الحركة الصهيونية، كما برز خلال الانتداب بعض المربين الفلسطينيين في وزارة التعليم، أمثال خليل السكاكيني، الذين نادوا بضرورة ملاءمة اللغة العربية لأجيال الأطفال المختلفة¹.

وبعد حرب عام 1948 التي كان من نتائجها تهجير قسري للفلسطينيين، ومنهم شريحة المعلمين والمتقنين، إضافة إلى دمار المدن الفلسطينية التي كانت تشكل المركز الثقافي والمعرفي، ومصادر المكتبات والكتب البيئية والعامية، مما أثر على إنتاج أدب الأطفال على مستويين أولها: التراجع عن الكتابة للأطفال وتفضيل الكتابة الشعرية؛ لقدرتها على التعبير عن الشعور والوجدان، حيث اهتم الكتاب بالشعر الذي تحدث عن النكبة والفقدان وضياح فلسطين وكان مخصصاً للكبار والصغار في آن واحد، ولم يتم التمييز بين أدب الكبار وأدب الصغار خلال السنوات التي تلت النكبة، ومنها انشغل الأطفال بقصص الكبار الشفوية حول مدنهم وقراهم التي أخرجوا منها، فغلب الطابع الشفوي على الكتابي لقصص الأطفال.

وبسبب الوضع الفلسطيني السيء، فقد أصبح للطفل والطفولة بعد النكبة خصوصية إنسانية؛ "لأن المحتل هجر أطفال فلسطين قسراً، وهجر معهم براءة طفولتهم وراحة قلوبهم، فعاشوا في المخيمات، وكابدوا حياة قاسية، ومعاناة مرة، وازدادت هذه المعاناة مرارة بعد هزيمة عام 1976، إذ عمت جميع أطفال فلسطين المقيمين فيها والمهجرين منها².

وبعد النكبة، كان هناك توجه أدبي عام من أجل إحياء فلسطين أدبيا، غلب عليه طابع الحنين؛ بهدف العودة إليها يوماً ما، ودفع هذا الحنين بعض الكتاب الفلسطينيين في المنفى إلى

¹ الكركي، جميل، قصص الأطفال عند الدكتور عبدالرحمن عباد، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أدب الأطفال، أكاديمية القاسمي، ط 1، 2014، ص 123.

² عليان، سلوى، بين التربية والهوية، بعض من ملامح أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أدب الأطفال، أكاديمية القاسمي، ط 1، 2014، ص 11.

³ ينظر، شرايحة، هيفاء، دراسات في أدب الأطفال والخدمة المكتبية، أزمنا للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2005، ص 49.

توثيق الحياة من خلال تأسيس مؤسسات لدعم أدب الأطفال الفلسطيني؛ لنشر معاناة الفلسطينيين في العالم العربي، مثل دار الفتى التي تأسست في بيروت عام 1973، كما أثر المد القومي الناصري في تلك الفترة على روح الوحدة العربية التي سرت في البلدان العربية، وتأسست أيضاً دار النورس في بيروت عام 1979، وأُفقت المؤسساتان في بداية الثمانينيات مع انتقال منظمه التحرير إلى تونس، بينما قوي العمل الثقافي الفلسطيني في الأردن وانتقلت إلى هناك عميله الكتابة للأطفال، أما في سنوات الثمانينيات والتسعينيات، فقد شهدت جهداً واضحاً، مثل: مؤسسه تامر للعمل المجتمعي. وهي مؤسسة متخصصة في الكتابة للأطفال، وترجمه قصص الأطفال، ونشر إبداعات الأطفال. كما وتأسس مركز الطفولة المبكرة في القدس عام 1980 تخصص في تربية الأطفال وعلاجهم نفسياً، وله عدة إصدارات.

ومع هذه الجهود المبذولة، يمكن اعتبار سنوات السبعينيات من القرن العشرين نقطه الانطلاق الفعلية لأدب الأطفال من خلال مؤتمرات الأدباء العرب، وخاصة مؤتمر عام 1975 الذي نادى بضرورة تطوير أدب الأطفال الفلسطيني ونقله لأطفال العرب؛ كسباً للتعاطف مع القضية الفلسطينية، وكان لتأسيس دار الفتى العربي في بيروت عام 1973 أثر على دعم إنتاج أدب يعالج قضايا الحرية والأخلاق والعدل، موجهة في الأساس لأطفال العالم العربي، وفي عام 1979 تأسست جمعية النورس في بيروت، لتعريف الأطفال العرب بقضية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

وخلال سنوات التسعينيات نشطت جمعيات حقوق الإنسان في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية، بعد اتفاقية أوسلو عام 1994. وقد أصدر قسم الطفولة التابع لوزارة التربية الفلسطينية عدة نشرات للأطفال منها عالم الطفولة.

ومع بداية الانتفاضة الثانية في الألفية الثالثة بدأت تظهر قصص أطفال ذات توجهات إسلامية-وطنية، استمد الفكر الديني الإسلامي وجوده بشكل كبير من التاريخ المحلي، مما يشكل

مع الفكر القومي مُركَّبين للهوية الفلسطينية للجيل الشاب، إن هذه المركبات ليست ثابتة، وهي في مراحل تغيير مستمرة¹.

يقول ناصر أحمد: " فرضت خصوصية الوضع التاريخي للوطن في فلسطين نفسها على الأدب بشكل عام، وعلى غيره من النشاط الفكري الحضاري العام، كما تركت أقوى الأثر وأوضحه في قصص الأطفال، وهي مسألة مهمة وملحة في آن معا، تتأتى من المحاولات الصهيونية المتتالية؛ لاقتلاع الوطن من مشاعر أصحابه وأذهانهم"².

أما في فترة ما بعد أوسلو، فقد شهد الواقع السياسي أوضاعا سياسية واجتماعية مختلفة، أهمها بناء الدولة الفلسطينية، ثم أدخلت موضوعات جديدة لأدب الأطفال، منها: حقوق الإنسان والديمقراطية والحوار مع الإسرائيلي، إذ تشير البحوث إلى أن القومية والوطنية كانت صبغة أدب الأطفال الفلسطيني منذ بدايته في سنوات الانتداب البريطاني، وفي الأماكن كافة في الداخل والشتات³، وقد اهتمت السلطة الفلسطينية اهتماما واضحا بأدب الأطفال، كما تزعم سونيا نمر " بدأ أدب الأطفال في فلسطين خلال السنوات الأخيرة "بعد قيام السلطة الوطنية" يشهد عوده.... وبدأ الاهتمام الجاد باتجاه هذا الأدب"⁴.

و يصف محمود العطشان واقع أدب الأطفال في فلسطين بقوله "رغم قسوة الظروف التي نعيشها، إلا أننا نخطو خطوات صحيحة نحو إنتاج أدب جيد للأطفال، رغم أننا لا نستطيع الهروب من واقعنا السيء بصعوبة شديدة، لو توفر لنا قدر أوسع قليلاً في الحرية؛ لتجاوزنا في إبداعاتنا ما يمكن أن نراه عند الآخرين، وإلى حد كبير يوجد تواصل مع أدب الأطفال العالمي؛ لأننا نقرأ مترجماً ونقارنه ونستوعبه أيضاً ومتاح أيضاً بين المعلمين والأطفال"⁵.

¹ علينات، سلوى، طفولة في صراع، انعكاسات الصراعات السياسية والاجتماعية في أدب الاطفال الفلسطيني 1987-2000، مجلة الحصاد، عدد2، 2012، ص18.

² أحمد، ناصر، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال 1975-1984، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، د.ت، ص82.

³ المصدر السابق، ص82.

⁴ حوار مع سونيا نمر، جريدة الحياة الجديدة، 2008/12/25، عدد 4723، ص15.

⁵ جريدة الحياة، الجديدة، 2007/11/7، العدد 4324، ص9(حوار مع د. محمود العطشان) حاوره ملكي سليمان.

والمتبع لتاريخ تطور أدب الأطفال يجد أنه إضافة للأسباب التربوية الداخلية التي تتعلق بالحفاظ على موروث الشعوب وقيمتها، يجد أن هذا الأدب قد شكّل أداة في المواجهات والصراع بين الشعوب، فقد لعب دوراً في الصراع بين الرأسمالية والشيوعية خلال القرن الماضي، وفي بلادنا كان مؤسسو الكتابة للأطفال على وعي بالصراع بين الصهيونية والقومية العربية، فاتخذوا من أدب الأطفال وسيلة لتجنيد الجيل الشاب وتوعيتهم بماهية الصراع ودورهم فيه، كما فعل أنداهم من الكتّاب اليهود قبل قيام دولة إسرائيل¹.

كما أن أدب الأطفال هو وسيلة للتعبير عن القيم المرجوة والمتوقعة من الجيل الشاب، إنه وسيلة رسم ملامح المستقبل، ليس فقط للطفل كفرد، بل أيضاً للمجتمع ككل، وهذا من خلال بناء هوية جيل شاب يتناسب مع قيم وثقافة ودين مجتمعه أيّاً كان².

تقول سلوى عليّات في دراستها للقصة الفلسطينية خلال الانتفاضة تعكس عملية البحث عن القصص الأزرمة التي يعانها أدب الأطفال في مناطق السلطة الفلسطينية من حيث شحّ الموارد، وشحّ الأبحاث التي تعالج قضايا أدب الأطفال؛ ويصحّ القول عن عدم وجود الأبحاث التي تناولت أدب الأطفال الفلسطيني³.

إن أدب الأطفال يتغير وفق القيم والأفكار التي ماج بها المجتمع الفلسطيني في فترتين سياسيتين مختلفتين، هما: فترة الانتفاضة الأولى (1987-1994) التي تعتبر فترة صراع عنيف بين الطرفين، حيث استعمل الإسرائيلي القوة العسكرية في وجه الانتفاضة الفلسطينية؛ وفترة أوسلو (1994-2000) التي تُعتبر فترة هدوء نسبي، لجأ خلالها الطرفان إلى التفاوض، نتج عنها إعادة بعض الأراضي الفلسطينية للفلسطينيين⁴، وهناك بعض الدراسات التي تناولت أدب الأطفال أو جزءاً منه، مثل: دراسة نادي الديك⁵ ودراسة فايز منصور ومحمود العطشان⁶ ودراسة ليانا بدر⁷.

¹ عليّات، سلوى، بين التربية والهوية، ص2.

² المصدر السابق، ص22.

³ عليّات، سلوى، طفولة في صراع، انعكاس الصراعات السياسية والمجتمعية في أدب الأطفال الفلسطيني 1987-2000، مجلة الحصاد، عدد 2، 2012، ص16.

⁴ عليّات، سلوى، السابق، ص15.

⁵ الديك، نادي، في أدب الأطفال، دراسة نقدية تطبيقية من السومريين حتى القرن العشرين، دار الأسوار، عكا، 2001.

⁶ منصور، فايز، أدب الأطفال في الأرض المحتلة، مجلة الكاتب، 1992، عدد، 149، ص16-24.

⁷ بدر، ليانا، قالت مريم.. قال الفتى، شجاعة وتميز يخفيهما الصمت، مجلة دفاتر ثقافية، عدد، 1996 نص19 وما بعدها.

يواجه أدب الأطفال في فلسطين مشاكل عدة: منها الانتشار والتوزيع والتمويل وغيرها، ويأتي التمويل في مقدمتها، إذ أن كثيراً من المطبوعات الخاصة بكتب الأطفال تمول خارجياً وربما تفرض على أصحاب المكتبات شروطاً معينة؛ لنشر هذا الكتاب أو ذلك، فالسياسة تفرض ذاتها على مشاريع تمويل الكتب، كما يقول مدير مكتبة بلدية البيرة " طلبت منا إحدى منظمات التمويل تقيعاً على وثيقة عدم الإرهاب للحصول على التمويل، ونحن رفضنا هذا الأمر باعتباره فرض أجندة سياسية على المكتبة"¹.

كما يواجه أدب الأطفال في فلسطين مشكلة نشر الكتب بين الأطفال وخاصة في القرى النائية والمخيمات، وربما يعود السبب كما يقول مهند الشعبي " إلى عدم ملاءمة مضامين قصص الأطفال لواقعهم وتعبيرهم عما يشعرون به من فقدان والألم والحسرة، هذا بالإضافة إلى انتهاج أسلوب الوصاية والنصح في الكتابة بدلاً من استعمال أساليب التربية الحديثة، مما له الأثر الكبير في إبعاد الطفل عن قراءة القصص"².

إن أدب الأطفال ضرورة وطنية وقومية وشرط لازم من شروط التنمية الثقافية المنشودة، بل إن أي تنمية ثقافية تتجاهل أدب الأطفال أو تهمله ناقصة وتفقر لجذورها لأسباب تتعلق بطبيعة التكوين المعرفي والتربوي للإنسان، ولأدب الأطفال طابعه التربوي والقومي والإيديولوجي؛ لمواجهة الغزو الثقافي والإعلامي الاستعماري.

ولهذا رغم الحديث عن الضرورة الوطنية والقومية لأدب الأطفال، فقد غابت أهمية أدب الأطفال في الوطن العربي طويلاً، وما زال الكثيرون منهم يترفعون عن مخاطبة الناشئة في أدب يساعد على نماء جماهير الأطفال الواسعة، وبما تمليه اعتبارات هذه المخاطبة التربوية والفنية.

ويؤلف أدب الأطفال دعامة رئيسية في تكون شخصيات الأطفال عن طريق إسهامه في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي، وتطوير مداركهم وإغناء حاستهم الثقافية التي نسميها ثقافة الطفل، وتوسيع نظرتهم إلى الحياة وإرهاق إحساساتهم من إطلاق خيالاتهم،

¹ مقابلة مع مدير مكتبة بلدية البيرة، بتاريخ 2008/7/21 منشور.

⁶ الشعبي، مهند، مدخل إلى أدب الأطفال الفلسطيني، دار البناييع، دمشق، ط 1، 2002. ص 82.

وهو ليس أداة بحد ذاته لفائدة الطفل بقدر ما هو أداة للنهوض به من خلال قدرته على تنمية عملياته المعرفية المتمثلة بالتفكير والتخيل والتذكير¹.

إنّ المتابع لحركة أدب الطفل في بلادنا العربية بشكل عام وفلسطين بشكل خاص يلاحظ أنّ هناك تفریطاً في الشكل على حساب المضمون، وقد ينبع ذلك فيما ينبع من عدم الثقة التي نكّنها للطفل، فنحاول التبسيط لنقع في فخّ الابتذال².

إنّ الطفل هو الثروة الأساسية الحقيقية للأمة، ومن ثمّ فإنّ تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأيّ تنقيف، إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض، وإذا ما قصدنا للأمة نماءً اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، إنّ الأمة العربية عامة، وفلسطين خاصة بحاجة إلى الاهتمام بطاقتها البشرية، وبخاصة إلى استثمار هذه الطاقات استثماراً حسناً³.

وبالتالي ونحن نعيش في عصر العولمة والانفجار المعرفي، فمما لا شك فيه أنّ أهمية أدب الأطفال قد ازدادت في فلسطين " وأصبحت له رسالة هادفة وفاعلة في توجيه الطفل الفلسطيني وتنمية خبراته الإنسانية والوطنية والاجتماعية وتعزيز قدراته في حل المشكلات⁴.

¹ الحايك، ليلى، أدب الأطفال: نشأته وأهميته، مقال الكتروني على الرابط:
<http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2793>

² ينظر عليّات، سلوى، طفولة في صراع، ص56.

³ ينظر، شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، ص7.

⁴ الكركي، جميل، قصص الأطفال عند الدكتور عبد الرحمن عباد، ص 123.

الفصل الثاني

أبعاد صورة الطفل الفلسطيني في أدب محمود شقير

الأبعاد النفسية.

الأبعاد الاجتماعية.

الأبعاد التربوية.

الأبعاد السياسية.

الأبعاد الوطنية.

الأبعاد النفسية:

ليس بدعاً أن تحظى الطفولة باهتمام بالغ وأن يحرص المجتمع - أي مجتمع كان- على تنشئة أطفاله تنشئة صالحة، فيعمد إلى توفير كل مقومات الحياة المستقيمة التي تخلو من العقد والإشكالات والاضطرابات النفسية والمجتمعية والفكرية، ويقيم لهم اعتبارات خاصة وكبيرة، كي يطمئن إلى مستقبل أفضل ومجتمع أنقى وأرقى، وقد حرصت الشرائع كلها على منح الطفولة تقديراً خاصاً واهتماماً مميزاً لحمايتها من الانحراف، ورعايتها في بيئة صالحة تتيح لها النمو والازدهار.

ولعل تحديد الفئة العمرية التي يستهدفها شقير في كتاباته، شكل أمراً مهماً، خاصة إذا ما تبين أنه لا يجاوز المرحلة المدرسية الأساسيه الأولى، إذ يتراوح عمر الطفل ما بين السادسة والعاشرة، وهي مرحلة حرجة، تجعل الطفل في حالة من الاعتماد الكلي على والديه والاحتياج المطلق لهما، وتتدافع لديه عناصر كثيرة ومتنوعة من القلق والخوف والضعف، الأمر الذي يشكل لديه إحساساً بالخوف الدائم يدفعه إلى الانزواء ويمنعه من الانطلاق على سجيته أو الانعتاق من مشاعر القلق والتوتر التي تؤثر سلباً في سلوكه وحركته تجاه نفسه وتجاه الآخرين ممن هم في مثل سنه أو أكبر بقليل.

في أجواء كهذه يحتاج الطفل والديه؛ كي يدفعوا عنه بعض المشاكل، مثل الخوف والقلق، ويزيلا آثار التوتر الذي قد يختزن على شكل مرض نفسي يبطش بنصاعة الطفل وبرأته أو يذهب بصلاحه واستقامته وهذا ما يحاول شقير في كتاباته أن يجنبه الطفولة النامية البريئة كي يجنب المجتمع عناصر جديدة من القهر والعنف والإجرام، إنه يساعده على تخليص الطفل من مشاعر الخوف والكرهية المكبوتة بداخله حتى لا تترتب عليها آثار نفسية سيئة.

هذه الآثار النفسية السيئة التي يسعى شقير إلى دفعها بكل قوة عن مجتمع الطفولة ، تشكل في أدبه بعداً نفسياً واضحاً، وترسم هماً لديه، يسعى بكل طاقته إلى تفصيلها بدقة ورسمها بكفاءة؛ كي يتمكن من إطلاق صرخته المحذرة والمعلمة في طريق رسمه شعاراً واضحاً قوامه طفولة بلا اضطرابات نفسية تخلق مجتمعاً سويًا.

تلك الاضطرابات النفسية التي تشكل بعداً مهماً في أدب شقير القصصي، قضية حاضرة على الدوام، يناقش القاص خلالها نفسية الطفل وتشكلاتها المختلفة وتحولاتها المتنوعة عبر تراتبية زمنية متصاعدة، يسعى بجهد واضح إلى وضعها في مقدمة المؤثرات البالغة والعميقة في صنع شخصية الطفل المستقبلي وعناصر نجاحه أو فشله.

إنها محاولة جادة لصنع قضية يراها شقير من القضايا المهمة في دراسة أدب الأطفال؛ ليعكس من خلالها الجوانب الكامنة في نفسية الطفل، فأدب الأطفال مرتبط بالجانب النفسي أيما ارتباط؛ حيث يظهر فيه وينعكس عليه محققاً وراء هذا الظهور والانعكاس، أهدافاً عديدة ومتنوعة تكمن - في معظمها - وراء مثل هذا الجانب النفسي الذي يشكل جوهر أدب الطفولة ومقاصده، ولعل من أهم هذه الأحداث التي يسعى "شقير" إلى تحقيقها:

- 1- تعويدهم مواجهة الموقف.
- 2- القضاء على دواعي الخجل.
- 3- حل عقدة اللسان.
- 4- التعبير عن أفكار النص بلغتهم مواجهين مدرسيهم وزملاءهم.
- 5- شحذ عواطفهم وترقيق وجداناتهم، وتنمية مشاعرهم وأحاسيسهم.
- 6- اكتشاف الميول والموهب الأدبية وتوجيهها وتميئتها.
- 7- خلق الاتجاه الإيجابي نحو الأدب وتنمية الميل إلى القراءة وحب الاطلاع.
- 8- والوقوف على المادة القرائية الجيدة.
- 9- استثمار وقت الفراغ في القراءة الجيدة.

وفي الأدب الفلسطيني تكثر القصص التي تركز على الجانب النفسي عند الطفل¹، وتطرح مشاكل نفسية عديدة، كشعور الطفل بالنقص تجاه بعض العقبات، كالفقر والظلم، مع ملاحظة وجود فئات أخرى من الأطفال يعيشون ظروفاً مادية أفضل، وقد ركز شقير كثيراً على عالم الطفل الداخلي، فكنعان كان يتذكر دائماً قريبته من خلال الصورة التي كان يحملها

¹ من أبرز من ظهرت في أعماله هذه الظاهرة: خليل السكاكيني، غسان كنفاني، نمر سرحان، كمال رشيد، ولعل قصة الصغير يذهب إلى المخيم لغسان كنفاني خير مثال على ذلك.

والده: "قريتي اسمها يالو، ذهبت إليها أنا وأهلي، كنا مثل السياح ! وقفنا في المكان الذي كانت تنهض فوقه البيوت والطوابين وحظائر الأغنام، أخرج أبي من جيبه الصورة التي رأيتها كثيراً بين يديه ونحن في عمان".¹ ويقول : "ألقيتُ نظرة على الجبال المجاورة بدا لي أنني أسمع همسات خافتة تأتي إلي من قمم الجبال"² .

هي الصورة إذن توحى بالمكان، تنتقل الطفل إليه، تعيده إلى أحضانها وترسم لوحةً ترجع بالذاكرة أمداً بعيداً يوم كان فيها أبوه طفلاً وشاباً يافعاً، اليوم يراه بأمر عينيه، فترجع الصورة شاخصة لديه، لم تختلف كثيراً، بل اختلفت؛ المعالم والعمران والطبيعة والحظائر والأغنام والسكان، كل ذلك مختلف، لكن متشابه تماماً، لطالما ذكرته الصورة بالمكان الآن في لحظة المعاينة والمواجهه يجيء دور المكان؛ ليذكر بالصورة، وتلك انعكاسات الصورة بالمكان وانعكاس المكان بالصورة، لكأن الأمرين سيان، لقد تحول الوطن إلى صورة، صورة في الجيب أو صورة في الذاكرة، وما أشدها من ذاكرة موجعة، حين تقدمه في شكل سائح أو مثل سائح يتجول في وطن لم يعد يملكه، ولم يعد يسكنه، لقد تحول الوطن إلى ساكن في قلب من كان بالأمس يسكنه.

وفي قصة "الولد الفلسطيني"، يصور شقير الجانب النفسي لدى الطفل عندما رأى أمتعة المهجرين المكتظة، "مرت سيارة شحن من إحدى القرى المجاورة، وكان صندوقها الخلفي مكتظاً بالأمعة وقطع الأثاث، وثمة نسوة وأطفال ورجال يجلسون فوق الأمتعة، كانوا يغادرون وطنهم، والغربة تطل من عيونهم الذليلة"³.

أي تعبير يمكن أن يكون أشد إيلاماً وأعنف وقعاً من هذه الجملة الأخيرة: "والغربة تطل من عيونهم الذليلة " كأن كل غريب ذليل، وكأن الذلة وسم في العيون، في الوجوه، سيماهم في وجوههم من أثر الغربة والذل.

¹ شقير، محمود، كلام مریم، ص 24.

² نفسه ص 25.

³ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 74.

ويظهر الجانب النفسي عنيماً وقويماً في ظلال العلاقة المدهشة بين الطفل "كنعان" وأمه على الجسر، عندما راح الجنود يفتشون أمه دون أن يستطيع مساعدتها، وقد سيطر عليه شعور حاد من الذلة والانكسار: "اقتربت أمي منّا، رأيتهّا تعدّل فستانها، وتضغطّ عليه، كأنها تخشى أن ينكشف شيء من جسدها، نظرتُ إلى وجهها، ابتسمتُ لعني أخفُّ من قسوة اللحظة على نفسها لم تبتسم أمي"¹.

أيّ أمّ تغفل عن ابتسامه طفلها لها، لولا أنها مشغولة بأمر جلل؟ وأيّ انعكاس لصورتها القائمة في عيون طفلها الذي لم يدرك بعد حجم مأساتها ومرارتها، كل ذلك أو بعضه يتدافع من عبارته الأخيرة: "لم تبتسم أمي" كما تدافع الماء من مزادة لم يحكم إغلاقها.

في قصة "الجندي واللعبة"²، تلك اللعبة التي مزقها الجندي أمام الطفلة "أمينة" وأمام أهلها، تملو فيها نبرة الوجد المحاصر وصورة الغضب المكبوت، يتراكم عبر تجربة شعورية واقعية عاشها الكاتب وخبر مافيها من نبل العاطفة الأبوية وصدقها وحرارة المشاعر وتوهجها. وتعبير كهذا لا يتأتى إلّا لمن امتلك موهبة ومعرفة تدفعان يراعه إلى أن يخطّ بمداد من فاقه وألم، وحروفاً تتراءى ألواحاً في قارب توزعته الأمواج وفرقته العواصف علّ شراعه يرفرف من جديد، بعد طول تنكيس وتمزيق، فيبحر صوب أمل بعالم ساحر وسكون غير مريب، إنه الدخول من جديد في عالم الطفولة الساحر الذي لا يسلم قياده إلا لخيال رحب وعاطفة مشتعلة وعقل مستدير ولا بد أن يكون فيه شيء من مرح الطفولة وبراءتها وأن يعرف الأطفال عن قرب، وأن يتمثل الأطفال أمام عينيه؛ كي يدرك أنه يقدم عبارات تعطي الحركة والنشاط والصوت والشم والمذاق والنظر في أسلوب مباشر.

وهي صفات تعكس قدرة فوق طبيعية لكاتب خبر الكتابة والحياة معاً، فجعل الكتابة صنو الحياة أو هي الحياة، يعيشها في كل لحظات عمره وفي كل تقلباته وأحواله، لقد دخل إلى عالم الطفل الداخلي وأحس مافيها، كيف لا؟ وهو المربي والأب والمعلم والكاتب، إنه يقترب كثيراً كثيراً من دواخل الطفل وكوامن نفسه، لقد حاول "كنعان" العائد مع العائدين أن يجد الوطن الذي

¹ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص74.

² شقير، محمود، الجندي واللعبة ص28.

كان يحلم به، أو ما تبقى منه كما كان يتخيله، يتذكره، يتحسسه، يشمه، يعرفه بصدق: "ابتعدتُ عن أبي وأمي وإخوتي. اقتربتُ من شجرة صبار، هي وبضع شجرات أخريات، كل ما تبقى من قرينتنا، شعرت بألفة نحوها وهي متلذذة بالصمت".¹

يبدو كل صراخه وعويله متلفعا بالصمت كما قرينته، إنه صمت الذات الخائرة، أفضل ألف مرة من صراخها والعويل، وإنها المهمة الخافتة التي تعيد المشهد كله إلى رسمٍ تتقلب فيه المشاعر والأفكار والقيم تقلب القيعان والقمم، فتخلق عالماً لطفل تتراءى له الحياة قصيرة مثل عمره، صغيرة مثل حجمه بسيطة مثل طبعه، لكنها مخيفة مثل واقعه صعبة مثل تشرده، معقدة مثل فقره وبؤسه، فأية صورةٍ إذن يمكن لكاتبٍ أن يرسمها؟

إنه محمود شقير الذي يرى القصة واقعاً أو ربما واقعاً بديلاً لواقع يرفضه بشدة ويكرهه بعمق يمقته كما الموت، ويسعى إلى تفويضه، كيف لا؟ وهو واقع البؤس والفقر والتشرد، واقع الانشطار النفسي والتشظي، كما في قصة صفور سناء²، وهو واقع القهر والظلم كما في قصة الجندي واللعبة³، ولعل الجانب النفسي في القصة الأولى يتجلى في وصف شقير للعلاقة القوية بين الأطفال وآبائهم وأمهاتهم "فكلما عاد من عمله احتضن ابنه أو ابنته وعاد به أو بها إلى البيت، وكلما عادت امرأة من عملها احتضنت ابنها أو ابنتها وعادت به أو بها إلى البيت".⁴ إنها العلاقة الحميمة بين الطفل والأهل، التي يجب أن تسود، لكنها للأسف كانت حلماً عند سناء: "في الليل، وهي نائمة رأت سناء أباه وهو يقودها من يدها إلى حانوت الحي، هناك شاهدت ألعاباً متنوعة وعصافير في أقفاص، قالت لأبيها: اشتر لي يا أبي عصفوراً في قفص، ابتسم أبوها واشترى لها عصفوراً في قفص".⁵

وبالرغم من قصرها، فقد جاءت محكمة ومتلائمة مع عناصر القصة الأخرى، وتكشف

بوضوح وعفوية عن المضمون القصصي والنفسي.

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص25.

² شقير، محمود، عصفور سناء، ص4، ص7، ص12.

³ شقير، محمود، الجندي واللعبة، ص29، ص30.

⁴ شقير، محمود، عصفور سناء، ص4.

⁵ نفسه، ص12.

إنه يبرز الأثر النفسي على الطفل الذي غيب الاحتلال أباه: سجيناً أو قتيلاً أو منفياً، كما عند فراس في قصة الولد الفلسطيني نهض فراس ذات صباح من نومه، فلم يجد أباه في البيت، وحينما سأل أمه عنه، أجابته بأنه ذهب إلى مدينة بعيدة، وسوف يعود ومعه كثير من الهدايا والألعاب، انتظر فراس أياماً طويلة، وكان يحزن حينما يبصر الأولاد يتعلقون بأيدي آبائهم وهم عائدون إلى بيوتهم، فيسارع إلى أمه يسألها عن أبيه الذي لا يعود".¹

وهو يركز على علاقة الطفل بماضيه المسروق؛ وماضيه الطفولي، فهذه وديدة في قصة صمت النوافذ "اعتادت منذ أشهر أن تزور أهلها كل مساء، تتفقد سريرها الصغير، ألعاب طفولتها، والفساتين التي ظلت محفوظة في البيت منذ كان الفراق".²، فماضي الطفل هو الذكريات السعيدة، مهما كانت، فكيف سيكون ماضي الطفل الفلسطيني المشرد؟ لا شك أن التركيز عليه سيكون أكثر وضوحاً وأبلغ تأثيراً.

وفي قصته طقوس المرأة الشقية يلحُ شقير على تسلُّط الاحتلال على البيوت الآمنة والأهل الآمنين ويرسم هذه الصورة بوضوح، ويبرز انعكاساتها النفسية على الطفل والجو المحيط به "الآن، تلح عليه صورة البيت جلسات المساء الوداعة أمام الدار، تحت سماء بنجوم لا حصر لها، حيث الزوجة والأطفال ورشقات الشاي بالنعناع، ثم يجيئون ذات ليلة ويختطفونه من هناك".³

وفي صمت النوافذ تغلّف البراءة حياة الطفل، تحضر بعمق، وتحفر بقصد صورتها التي لا تعقيد فيها ولا تكلف، يقول: "والتزام لا يخلو كل صباح من أولاد وبنات في عز النفتح على مفاتن الحياة، ينهمكون في تبادل القبل وإطلاق الضحكات".⁴

كما يصف الطفل البريء في رؤيته للأعداء، ومدى استعدادهم، ففي قصته "أحلام الفتى النحيل" يقول: "سيقلد دور الفارس الذي قرأ عنه في كتاب القراءة، وسيعلم أنه مستعدّ لمنزلة

¹ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص26.

² شقير، محمود، صمت النوافذ، ص31.

³ شقير، محمود، طقوس للمرأة الشقية، ص39.

⁴ شقير، محمود، صمت النوافذ، ص28.

الأعداء".¹ وتبدو قصته "كلام مريم" - على قصرها ومحدودية كلماتها - مكتفة في أبعادها ودلالاتها إذ تحاور البعد الزمني والبعد المكاني مع البعد الإنساني، فضلاً عن تصادم الماضي مع الحاضر، ويلاحظ موقف الطفل والكاتب من المجتمع، فهو إما مشجع وبناء أو ناقدٌ وهدام، وهذا ما جاء على لسان مريم: "استعادت في ذهنها اللحظات التي سبقت العرض، وهي خلف الستارة التي تفصلها عن الجمهور، خائفة من اللحظة التي سيظهر فيها على خشبة المسرح؛ لأن الكلمات قد تتعثر بين شفيتها، فيضحك منها الناس".²

لقد حاول محمود شقير أن يجعل من هذه القصص مجالاً لتأهل النفسية الإنسانية، ويغوص في أعماق أسرارها، ويبدو عارفاً بخفاياها ونفسياتها الداخلية، فمثل هذه القصص تحمل صوراً للمعاناة الإنسانية والحرمان، فقصة "طقوس للمرأة الشقية" تصور طفلاً يصحو؛ ليخرج ثدي أمه من تحت الرداء لكن "الطفل" الرضيع ارتدى في حضن البكاء، وكانت الخاتمة فاجعة إنسانية "تجمهر في البيت أناس جاؤوا من كل الأنحاء، بكوا في البيت وقتاً، ثم حملوا أم الطفل إلى حيث لا يدري حتى الآن".³

فهو يظهر القمع الذي يمارسه المجتمع الفلسطيني على أطفاله، وهيمنة سلطة الأخلاق والقيم والعادات والاعتدال الذاتي والاجتماعي، وسلطة الأب والأسرة، وقد رصد شقير ظاهرة الفقر والجوع في معظم قصصه، ولجأ كثيراً إلى صورة الفقر، وأبرزها عند الطفل، وترك الطفل يقارن نفسه بغيره، فالحذاء الجديد الذي لا يستطيع الطفل الحصول عليه في "كلام الطفل"، الذي شكّل لديه صدى داخلياً مأساوياً حاول جاهداً أن يتهرب منه لكن دون جدوى:⁴ "النقيت ابنة صفي حنان، كانت تتعلُّ حذاءً جديداً، وهي تنتظر بين الحين والآخر نحو قدميها؛ لتلفت انتباهي إلى الحذاء، تجاهلت الأمر؛ لأن حذائي كان قديماً".⁵

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 17.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص 3.

³ شقير، محمود، طقوس للمرأة الشقية، ص 36.

⁴ شقير، محمود، كلام مريم، ص 8.

⁵ المصدر السابق، ص 8.

إن مثل هذا السلوك هو سمة واقع الطفل الفلسطيني، وهو سلوك مناسب للواقع؛ بسبب العنف الذي يتعرض له، وهو مناخ خصب يغذي العنف ويحفظه، ولكن في المقابل كان الطفل عند شقير يطير فرحاً إذا ما حقق شيئاً، أو أحضر له أحد والديه شيئاً كان يتمناه، وفرحته لا توصف، وهذا ما حصل مع مريم، عندما اشترى لها والدها ما تريد، "حينما أحضرت له ورقة فيها كل الأشياء المطلوبة للالتحاق بالفرقة، أخذني معه إلى المدينة واشتراها لي، فرحت وأنا أمشي في أسواق المدينة إلى جواره، كنتُ أتلفتُ في كل اتجاه؛ كيلا تفوتني رؤية مافي المدينة".¹

وللقدس حضور مميز في قصصه، لكنه حضور حزين، فهي مسقط رأسه ومكان إقامته الذي أبعد عنه قسراً: "مشى عائداً إلى البيت وهو متعكر المزاج، كانت رام الله تقترب والقدس تبعد، تذكر ما قاله لمريم عن القدس التي لن يمنع أحد من زيارتها، وشعر بالأسى يغمره، داهمته رغبة في البكاء، بكى، ثم جفف دموعه وعاد إلى البيت".²

حتى الزيارة لم تعد ممكنة وما من تعويض سوى البكاء ترى، أهذه هي واقعية شقير؟ الاعتراف بالضعف والعجز والتنفيس عن ذلك كله بالبكاء، عزيمة الماضي خارت، وقوة التحدي غارت، ولم يبق سوى الاعتراف بالواقع الجديد ويا له من واقع مريم: ككف دموعك وعد إلى بيتك الجديد في رام الله والقدس. لم يبق لها سوى الحنين والخوف.

سلوك إنسان طفولي آخر يجهد الكاتب في إبرازه فيصور أبعاده النفسية ونتائجه كأنه يحاول نفيه من خلال تضخيمه ففي قصة كلام مريم تفصح مريم عن هذا الخوف الذي هو أقرب إلى السلوك منه إلى الطبع الذي يشبه الاستياء والخوف على مشاعر الآخرين وأمزجتهم: "وكان يمكنني الذهابُ إلى البيت؛ لكي أرتاح قليلاً، إلا أنني خفتُ، أن يغير أبي رأيه، فيحرمني من الفرصة التي انتظرتها، خفتُ أن يستاء أخي حين يراني ذاهبة إلى المسرح".³ إنها ترى نفسها محكومة برأي أبيها ومرتبطة بمزاج أخيها، لذا عليها أن تتصرف وفق

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص15، وينظر كلام مريم ص10.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص13.

³ شقير، محمود، كلام مريم، ص13.

هذا الرأي وذلك المزاج، أما رأيها هي ومزاجها هي فلا قيمة لهما في ظل واقع يقدر الذكورة ويمنحها الحق في الحكم والتحكم.

والطفل - من ناحية نفسية- بحاجة إلى أن يسير مع أبيه أمام زملائه، وأن يحمل أشياء اشتراها له أبوه، فهو في هذه الحالة يشعر بالانتصار والأمان وتحقيق الرغبات. فهذه قضية نفسية، وهذا ما حصل مع طفل شقير في قصة "الفتى النحيل"، "دخلنا حانوتا يبيع الملابس، فرحتُ وأنا أجربُ البنطال والقميص الكاكيين".¹ فالطفل بحاجة إلى مفاجأة يقدمها له أحد والديه دون تخطيط مسبق، ومثل هذا السلوك يعطي الطفل دفعة معنوية ونفسية في حياته العملية والدراسية، وقد أثبتت الأبحاث " أن الطفل كثيراً يضيق بالمعرفة المفروضة عليه، لكنه يقبل على المعرفة التي يكتسبها بطريقة غير مباشرة."²

إنَّ سلوك الطفل الفلسطيني هو سلوك مختلف ومتنوع، ولكنه يدور في فضاء محدد لا يمكن نسيانه أو الابتعاد عنه، وهو سلوك مناسب للواقع؛ بسبب العنف الذي يتعرض له الطفل، وهو مناخ خصب يغذي العنف ويحفظه، ولذلك تتراد مخاوف الأطفال نفسياً في المعاناة اليومية. "انسحبتُ أنا وصلاح الدين من أمام البيت، وتمنيتُ لو أنني لم أرَ تلك البنت وهي تدخلُ بيت جدي وتصفقُ وراءها الباب؛ لأنها بعملها هذا أثارت في نفسي قلقاً وانزعاجاً".³

إن الدارس لقصص شقير يلحظ قدرته على خلق مناخ خاص لتجاربه، يرى من خلاله الطبيعة الإنسانية والنفسية لشخصية الطفل الذي تنمو لديه مشاعره النبيلة التي توجه سلوكه وتصنع مواقفه ورؤاه.... وتضعه في مكانه الطبيعي داخل مجتمع يرقب غداً أفضل وأجمل وأرقى...

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص16.

² حلاوة، محمد السيد، الأدب القصصي للطفل "مضمون اجتماعي نفسي" الاسكندرية، ط1، 2000، ص25.

³ شقير، محمود، انا وجمانة، ص64.

الأبعاد الاجتماعية:

يرى علماء الاجتماع أن (أنا) الطفل تتكامل عبر ثلاث مراحل من النمو " المرحلة الأولى: يكون الطفل فيها جزءاً من العالم المادي المحيط به، فلا يستطيع التمييز بين جسمه مثلاً وبين النار التي تحرق جسمه إذا اقترب منها، أما المرحلة الثانية، فيبدأ فيها الطفل بتمييز نفسه عن عالم الطبيعة، فيدرك أنه شيء مختلف عن النار مثلاً، فلا يقترب منها. أما المرحلة الثالثة، وهي أعلى مراحل النمو، فتعرف بمرحلة الأنا الاجتماعية، حيث يدرك الطفل نفسه جزءاً من مجتمع يبدأ بالأسرة ويكبر بمجتمع الرفاق إلى أن يكتمل في الأمة أو مجتمع الطفل.¹

والأديب المبدع هو الذي يعيش حالة مجتمعه بظروفه الممتازة الرغيدة، أو الغارقة في المآسي والفقر، والظماً إلى العدالة الاجتماعية، فيجد نفسه معنياً بمشاكل مجتمعه عاملاً على محاولة حل قضاياها الأساسية، خاصة قضايا الطفل الملحة. " إن دراسة أدب الأطفال تحقق عدة أهداف اجتماعية، منها: إمدادهم بالقيم النافعة وتخليصهم من القيم الضارة وغرس الفضائل في نفوسهم، فالقيم أوزانها نسبية وتختلف من جماعة لجماعة ومن عصر لعصر، على عكس الفضائل التي تكون ذات احترام وقدسية في كل العصور والأزمان؛ لأن القيم مصدرها البشر في أزمان بعينها على حين مصدر الفضائل هو التوجه الإلهي".²

وبما أن القاص ابن شعبه وابن طبقتهم، فهو بهذا مطالب بتفهم طبيعة التناقضات والصراعات في واقعه³ وانطلاقاً من هذا الفهم، فقد توجه عدد من الأدباء إلى عالم الطفل الاجتماعي، فكتبوا القصة الاجتماعية القصيرة، قصة العلاقات الاجتماعية، كالحب والتعاون وغيرها.

وهو واحد من هؤلاء الأدباء الذين شرعوا بطرح قضايا مجتمعاتهم ومن بينها الطفولة، ففي قصة يوم جديد يحاول شقير فتح عقل الطفل على قيمة العمل وأهميتها في البناء الاجتماعي. فالطفل خالد يتساءل إلى أين يذهب هؤلاء العمال "إلى أين أنتم ذاهبون؟ أجاب أحد

¹ المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1983، ص 77.

² حنورة، أحمد، أدب الأطفال ما قبل المدرسة، مكتبة الفلاح، عمان، 1996، ط 1، ص 19.

³ صالح، فخري، القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، دار العودة، بيروت، ط 1، 1982، ص 11.

العمال وهو بيتسم، هل ترى ذلك الجبل البعيد، قال خالد: نعم إني أراه، قال العامل: نحن ذاهبون إلى ذلك الجبل"¹، وتنتهي القصة بدوران آلات المصانع وغناء العصافير في حين يحمل "خالد" حقيبته ذاهباً إلى المدرسة.

وخير من يمثل الاتجاه الاجتماعي في كثير من قصصه المقدمة للطفل، ففي قصة الحذاء يتعرض للفوارق الاجتماعية من خلال موقف أخلاقي، فالطفل وليد بطل القصة يطلب من أبيه حذاء، فيجاب طلبه، و يفرح وليد ويخرج بحذائه الجديد إلى الملعب، و يدخل المباراة بعد أن يخلع حذاءه ويضعه على طرف الملعب؛ كي لا يتسخ، وحين ينظر الأولاد الآخرون إلى حذائه، يعلو الوجوم وجوههم فلا أحذية لهم:" كان الأولاد من دون أحذية، نظروا إلى حذاء وليد ولم يتفوهوا بكلمة، هكذا وبطريقة شبه حيادية"². وكأن الصمت أبلغ من الكلام.

و يكمن الموقف الأخلاقي في القصة في صدق الوالد مع الولد عندما وعده بشراء حذاء جديد ثم في ابتعاد وليد عن الأولاد في الملعب؛ كي لا يتسخ حذاءه، ثم في سيطرة نقاء الطفولة على جو الحدث، حين يطلب وليد من الأولاد من جديد أن يلعب معهم، ثم في رعاية أخت وليد له ومراقبته، حيث حملت له حذاءه الذي نسيه في الملعب، وأخيراً في الدعوة إلى اللعب، واللعب الجماعي المنظم، ثم في عدم اتهام وليد لرفاقه بالسرقة... وهكذا.

ولأن أدب الطفولة "يعرّف الطفل بمجتمعه ومقومات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته، وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية، وهذا يكشف للطفل عن جوانب الحياة الاجتماعية فيساعده على الاندماج في المجتمع والتجاوب مع أفرادهِ"³ فقد جاءت قصص شقير على وفق ذلك؛ مكثفة ومشفرة، وتحمل دلالات اجتماعية كثيرة... ففي قصة ليل ولصوص صور طبيعة المجتمع الذي شهد النكبة الأولى: ثقافته ووعيه وكفاحه. وقد وفق في إظهار طبيعة الوعي في تلك الفترة التي أفسحت المجال لانتشار نوع من الخوف الذي يلتبس بالأساطير والخرافات والحكايا الشعبية وبث الرعب في النفوس من اليهود الذين يذبحون الأطفال، وقد تمكنت القصة من التقاط

¹ شقير، محمود، يوم جديد، ص 56.

² شقير، محمود، كلامريم، ص 8.

³ نجيب، أحمد، المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1979، ص46.

التعبيرات الشعبية من خلال حوار بسيط بين الطفل وأمه يقول الطفل: "وفجأة صرخت أخ...رجلي يا أماه.. امشي يا مقصوف الرقبة...أو لا ترى الناس يمشون ولا يصرخون، أم أتركك هنا ليلحقوا بك"¹.

إن قصص شقير تعبر تعبيراً حياً عن واقع المجتمع الفلسطيني، في رسمه رسماً دقيقاً، كما يكشف النقاب عن حقيقته بشخصه وعاداته وتقاليد، ويتضح ذلك من خلال القصص المليئة بالإشارات الصريحة والواضحة، وهذا واضح من كلام مريم التي أرادت أن تلتحق بالفرقة المسرحية في المدرسة، لكن أباها يحاول منعها؛ لأنها ستجلب العار لعائلته حسب رأيه. "قولي باختصار، مالذي تريدنية بالضبط؟ قلت: أريد أن ألتحق بالفرقة المسرحية. قال أبي وهو يخفي توجسه: هذا يعني أنك سوف تتصرفين عن الاهتمام بدروسك!! قلت أبدأ بعد انتهاء اليوم المدرسي أذهب إلى المسرح لتلقي التدريبات، وفي ساعات ما بعد المساء أو اصل الاهتمام بدروسي... وقال أخي إنه لا يطيق أن يراني على خشبة المسرح؛ نهبالعيون الناس"²

وتقوم قصة "خبز الآخرين" على فكرة الصراع الطبقي وتناقض مصالح الطبقات من خلال موقف إنساني مؤثر، وهي مشتقة من صميم الواقع الاجتماعي بقسوته وتشوهات، لقد استأجرت خديجة "كرم أبو العبد"؛ لترى البسمة تزهو على فم ابنها الصغير إسماعيل، فكانت تدأب منذ الصباح حتى المساء حتى تلبى طلبات إسماعيل مثل القضاة وغيرها، ومع ما حصل معها، إلا أنها فضلت العودة للقرية، وحين رأت ابنها إسماعيل أحست أنها تحيا مع الآخرين ومن أجلهم، وكانت النهاية مرتبطة برمز الطفل ومستقبله من خلال موقفها من إسماعيل الطفل. "وأحست أنها تشقى من أجله، وأنها تبغ العنب؛ كي لا تغيض ابنتامته... وتعلق إسماعيل بثوبها في صخب وكان يثرثر كالعصفور... هالطفل قطع قلوبنا وهو يبكي وانطلقت من ثغرها ضحكة عميقة وقبلت ابنها بشغف وأمسكت بيده متجهة صوب البيت"³.

¹ مجله الأفق الجديد، العدد 11، آذار 1962، ص 14.

² شقير، محمود، قالت مريم... قال الفتى، ص 48.

³ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 85.

كما وظف شقير الحكاية الشعبية في قصة "بقرة اليتامى" وأسقطها على واقعه الاجتماعي، إذ أقام مقارنة بين عالمين: عالم الترف واللذة وعالم الكدح والشقاء ونصرة الإنسان وبخاصة الأطفال، وتبدو براعة شقير في نهاية القصة: "فكان الأطفال يحملون ببقرة ذات قرون صلبة كالرماح... تعدو في جموع تائر عبر الحقول بينما تندثر بعيداً من حولها الذئاب".¹

ويبرز الهاجس الاجتماعي في قصص الطفل بشكل متفاوت، فبعضهم يدرج قصة العلاقات الاجتماعية كالحب والتعاون وتكريم العمل وقيمه، والفوارق الاجتماعية في المضامين الاجتماعية، وبعضهم الآخر يجعلها مرتكزة على البيئة الاجتماعية المحيطة بالطفل والمظاهر الاجتماعية وغيرها، بينما ترى عبير النوايسه أن المضامين الاجتماعية تتجسد بكل ما يرتبط بحياة الطفل من بيئة أو علاقات اجتماعية في محيط الأسرة والمدرسة والمجتمع، مع ما يرتبط بها من مظاهر تتمثل بالعمل والتعاون...²

وحاول شقير أحياناً تقريب بعض الأفكار والعادات بين الأطفال سواء أكانوا يهوداً أم عرباً، وربما يرجع ذلك إلى الفكر الذي يحمله، الذي يسمح له بطرح مثل هذه القضايا، كما يظهر في قصة "قالت مريم قال الفتى"، وذهاب الأطفال إلى السباحة، علماً أن شقير يعرف المجتمع الفلسطيني المحافظ، ولكنه ربما يحاول عرض ما طرحه فرويد منذ زمن، فعلم النفس يرى في الرغبات الاجتماعية مرضاة للوعي اليقظ عند الإنسان، ومن هنا يرى أن الدوافع الطبيعية حين توصف بأنها خطأ. فإنها من الممكن أن تكبت، ولكنها لا تتمحي، بل تبقى في اللاشعور، حتى وإن لم يعد العقل الواعي يعرضها³: "كان لقاؤنا الثالث على شاطئ البحر، ما أن اقتربنا من المياه المالحة حتى سارع الأولاد في الفريقين إلى خلع ملابسهم فوراً. نزلوا في الماء وهم يتصايحون مسرورين، ترددت البنات في فريق ديفيد لحظات، ثم ما لبثن أن خلعن ملابسهن، لكن البنات الأربع في الفريق الذي أقوده أبدن تردداً وخشية، فقد سبق لهن _ كما أخبرنني _ أن جئن مع أهاليهن إلى البحر، فلم يكن مسموحاً لهن أن يخلعن ملابسهن أمام الرجال، وكن يكتفين

¹ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 46.

² النوايسه، عبير، أدب الأطفال دراسة في المضمون، دار أميمة، عمان، ط 1، 2004، ص 38.

³ ينظر، القوصي، عبد العزيز، أسس علم النفس، ط القاهرة، 1960، ص 267.

بالنزول في الماء بكامل ملابسهن؛ كي لا ينكشف شيء من أجسادهن. هكذا وبعد تردد طويل، نزلت ثلاث بنات منهن في الماء، وهن في كامل ملابسهن. كان منظرهن مثيراً للشفقة. كانت مريم تبدو مضطربة متألمة، ثم ما لبثت أن غابت في إحدى الكابينات، وظهرت، بعد دقائق معدودات في ملابس السباحة".¹

ويبرز مفهوم الطفولة في القصة الاجتماعية بكل ما فيها من مشاعر إنسانية صادقة، تحمل آمال المجتمع و آلامه. ويرسم شقير الصورة الصادقة لأمانى الطفولة وأحلامها ويقف عند مواطن الخير والجمال في الكون والطبيعة والإنسان والحياة، فجاءت صورته دليلاً حياً على واقع اجتماعي قاسٍ على الطفولة والأطفال.

وتتطلق هذه القصص مجتمعة من منطلق الانتصار للفئات الجماهيرية المسحوقة اجتماعياً وطبقياً، ومن الرغبة في رؤية الوطن محرراً من نير الاحتلال، فوضوح الرؤية والدفء الإنساني وإتقان التوجه للأطفال هو ما يميز هذه القصص. ويحاول شقير أن يرفع من قيمه الوعي الاجتماعي وممارسة بعض القضايا الاجتماعية السلبية على الطفل وحرمانه من طفولته وبراءته، مثل: الإشاعة وكلام الناس والأساطير وسيطرة الأب أو الأخ وقضية تحرير المرأة: "يوم أمس، عادت مرتبكة إلى البيت، بعد أن التقتها الجارة النمامة صدفة وهي خارجة من أحد حوانيت القماش، دون أن يكون الطفل معها، كان يرافقها في الطريق إلى السوق، فأين اختفى، أو أين أبعدته! وقميصها الداخلي ينزلق. بما لا يقل عن ثلاثة سنتيمترات أسفل فستانها ذي اللون الزهري الرشيق، لن تصدق الجارة بعد أن عثرت على مادة خصبة للحديث، أن المرأة دخلت الحانوت لشراء فستان، وأن الطفل كان في تلك الأثناء يجلس عند خبير التجميل في المحل المجاور، يحتسي عصير البرتقال، وينتظر عودة أمه التي خلعت فستانها القديم، لتجرب آخر جديداً".²

وتصبح الصورة الاجتماعية أكثر وضوحاً، وهو يرسم مشاهد اجتماعية واقعية معبرة عن عاطفة إنسانية لحال تلك الأسرة التي هربت ابنتها من البيت: "لأنني سمعت أمي وصاحباتها

¹ شقير، محمود، قالت مريم... قال الفتى، ص41.

² شقير، محمود، صورة شاكير، ص 62، وينظر كلام مريم ص9.

يتحدث عن مقاطعة الناس للأسرة بعد هروب الفتاة، المقاطعة ليست معاقبة للأسرة؛ لأنها حبست الفتاة داخل البيت، إنما لأن سمعة الأسرة لم تعد مشرقة بعد الذي وقع، هذا ما يعتقد الناس، وقد لا يكون على صواب.¹

و يحاول محاربة بعض الظواهر التي تحدث هنا أو هناك، مثل قتل النساء؛ لأسباب عدة يأتي في مقدمتها الشرف، ولكنه يربطها في النهاية بمصير الطفل الذي لن يجد حليبا فيرضع منه بعد الآن؛ "تفرقوا على عجل، قبل أن تطلع الشمس، وفي الصباح تعثر الأطفال بجثة امرأة، وجدها مقتوله على تخوم الحي، يا للقسوة، ثمة سبع وعشرون طعنة من خنجر تناوش الجسد، بدءاً من الخاصرة وانتهاء بالثدى الذي يتخثر فيه حليب الطفل، حيث لن يخرج من هناك إلى الأبد."²

وهذا ما حصل مع عزيزة ، لكن بطريقة أخرى، فقد منعتها أمها من اللعب مع الأطفال: "ولم تعد عزيزة إلى الساحة كما في السابق، قالت لي ذات مرة أمي لا تسمح لي باللعب مع الأولاد."³، كما عرف شقير علاقة الأخ بأخته اجتماعيا وموقف الناس من دخول البنت المسرح والتمثيل: "حينما حددت الفرقة موعداً للعرض الأول للمسرحية التي تدرنا عليها طوال أشهر ثلاثة، خشيت ألا يأتي أبي لمشاهدتها، لكنه جاء، جاءت أمي أيضا، وقال أخي إنه لا يطيق أن يراني على خشبة المسرح نهباً لعيون الناس."⁴

لقد حاول شقير رفع مستوى طفله الطبقي ووضع في عالم يليق به، ربما لأنه منحا إلى الطبقات المسحوقة، كما وصفه جميل السلحوت: "وأدينا منحا إلى الطبقات الكادحة، وقصصه كانت انعكاساً لفكره ومعتقداته اليسارية."⁵

ويلاحظ أنه يرقى بأطفاله، حيث يطل بهم على عالم جميل، مغاير لعالمهم عندما يكون كئيباً، فهو لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لأطفاله ومواطنيه، وأحيانا نراه يعيش للإنسانية كلها،

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص77، وينظر ص69.

² شقير، محمود، طقوس للمرأة الشقية، ص76.

³ شقير، محمود، أحلام الفتى النخيل، ص23.

⁴ شقير، محمود، كلام مريم، ص48.

⁵ السلحوت، جميل، محمود شقير أديب مدينة السلام، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أكاديمية القاسمي، ط1، 2013، ج3/464.

فتراه يخرج من عالم الذاتية والفردية؛ ليلحق بمحيط أوسع، يتصل فيه بالناس، ممن حوله وممن هم بعيدون عنه، فهو يحاول رفع مستوى الطفل اجتماعياً، وكثيراً ما يركز على قضية الحوار والاقناع بين الطفل وأهله. "قالت إنها ستلتحق بمدرسة خاصة في المدينة، بعد أن اقتنع أهلها بأنهم أخطأوا حينما أخرجوها من المدرسه."¹

وهو يفكر فيمن يعيش معهم وخاصة عالمه الطفولي، يفكر في الآمهم وآمالهم، فيجعل قصصه مدخلاً للتعبير عن حقوقهم الإنسانية من جهة، وساتراً لما يراه فيهم من عيوب من جهة أخرى، ففي قصة "كلام مريم"، يلاحظ أنه يريد تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن جسد المرأة: "قالت حنان إن أمها لم توافق على أن ترتدي ابنتها شورتاً قصيراً يكشف نصف وركبيها، فصلت لها عند خياطة الحي شورتاً يصل إلى ما تحت الركبتين، بدت حنان راضية عن الشورت الذي ارتضته لها أمها، ولم أعلق حتى لا تغضب حنان، والبنات لم يعلقن على الأمر، احتراماً لحنان ولأمها"²

ويضيف شقير: " تذكرت ما قاله أخوها لها ذات مساء: جسدك هذا سيجلب لنا كارثة، راحت وهي مستلقية على سطح الماء، تتخيل الكارثة التي سيكون جسدها هو السبب فيها. لعلها تشبه انفجار قنبلة في حي مكتظ بالسكان، أو تدميراً كالذي طال قرية كنعان، أو حدوث فيضان يغمر البيوت والشجر والناس."³ وهو تخيل ينمُّ عن تحكم واضح بتقاليد باتت في مفهوم شقير غابرة وماضياً قد عفا عليها الزمن، وطوتها الحضارة الجديدة في زوايا النسيان...

ولأنه صاحب رسالة فهو يتسلح بالقلم؛ ليخوض معارك اجتماعية و أخلاقية و اقتصادية وسياسية، يقول: " أنا ضعيف خارج الكتابة... الكتابة مصدر قوتي الوحيد تقريباً... أستطيع عبر الكتابة أن أخوض صراعي المشروع ضد التخلف والجهل وضد التسلط و الاستغلال."⁴ إنه يلحّ على البعد الاجتماعي لرسالته عبر قصصه التي تفضح القمع الاجتماعي، وسحق الإنسان في الحياة، كما تكشف ضيق العقلية الذكورية وتخلف رؤيتها للمرأة، لذلك لم يسند للطفلة البنت

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النخيل، ص78.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص9، وينظر أنا وجمانة ص11.

³ شقير، محمود، كلام مريم، ص60.

⁴ المتقي، عبدالله، المظلة "إبداع ونقد" موقع الكتروني بتاريخ 2009/11/4.

في قصصه دوراً سياسياً أو فكرياً وجعل ذلك -كما هو حال المجتمع وفلسفة-، خاصةً بالذكور، في صورة تكشف واقع الإناث الضيق والمتخلف في مجتمع يصير على البقاء متخلفاً وجامداً ورافضاً لأي تغيير.

تقف الأبعاد الاجتماعية رافداً للأبعاد الوطنية والتربوية ومتممة لها، ومما لا شك فيه أن مجمل الأهداف والأبعاد التي يسعى العمل الأدبي إلى تقديمها، هي زرع القيم الأخلاقية الحسنة في نفس الطفل، وشأن القصة شأن بقية الأجناس الأدبية المقدمة للطفل، حيث يسعى إلى تقييم سلوك الطفل اجتماعياً وإرشاده إلى القيم العليا كالعدل واحترام الآخرين والصدق ومساعدة المحتاج.¹

كما يوجه نقداً للتعليم من خلال الطفل، وعلاقة المعلم بالطالب أو المعلمة بالطالبة، "وتتضارب في داخلي الأحاسيس، وأتذكر معلمات المدرسة، يوم طلبن مني أن أعد لهن الشاي. كن يقطعن الوقت في حياكة الصوف، وفي سرد الحكايات. سمعتهن يتهامنن بكلام استقر في أذني مثل دوي الرصاص. خرجت من المطبخ حتى لا أسمع مزيداً من كلامهن، وحينما افتقدنني نادينني، وكانت ضحكتهن ما زالت تتردد من حولي، وانبتق في داخلي فجأة سؤال: هل هذا هو ما يقصده كنعان حين قال إنه يكره المدرسة؟؟ لكن كنعان لم يسمع مثلما سمعت، همس المعلمات، فمن أين جاءت هذه الفكرة المؤرقة؟ بقيت أفكر في الأمر إلى أن غلبني النعاس، ونمت قبل أن أظفر بأي جواب."²

وفي اعتقادي أن الكاتب هنا قد خانته التعبير حين عبر عن كراهية الأطفال للمدرسة معللاً سبب الكراهية بما سمعته مريم من همس المعلمات، لكن ما شأن كنعان الذي لم يسمع مثلما سمعت، فلماذا يكره المدرسة إذن؟ إنه أمر طبيعي جداً أن يكره الطفل المدرسة كونها تجد من انطلاقته وتقيّد حريته وتمنعه من ممارسة ألعاب وأمر كثيرة هو يحبها لذا تبدو المدرسة ثقيلة وكريهة...

¹ ينظر مقادي، موفق، القصة في أدب الأطفال في الأردن، روضة الهدد، نموذجاً، دار الكندي، عمان، ط 1، 2000، ص36.

² شقير، محمود، قالت مريم... قال الفتى، ص21، وينظر صورة شاكيراً ص44، أحلام الفتى النحيل ص43، صمت النواذ ص15.

ومع النقد الموجه للمعلم و المدرسة من شقير الذي جاء على لسان الطفل، إلا أن احترام المعلم واجب على الأطفال "في تلك اللحظة دخل المعلم و وقفنا احتراماً له".¹

لقد وقعت مريم في مشكلة، إلا أنها لا تخلو من دلالات: "دخلت المعلمة إلى غرفة الصف. أمرت الطالبات بأن يقرأن درس المطالعة قراءة صامتة، أنهت مريم قراءة الدرس، أخرجت من حقيبتها آخر كتاب استعارته من كنعان، راحت تقرأ باستمتاع، ولم تنتبه المعلمة، ثم طلبت من مريم أن تخرج معها إلى المديرية. قلبت المديرية بعض صفحات الكتاب. قرأت جملة هنا وجملة هناك، سألت: من أعطاك هذا الكتاب".²

لا شك أن الكاتب رمى من خلال هذا الحوار بين مريم من جهة والمديرة والمعلمة من جهة ثانية إلى طبيعة الحياة الاجتماعية، المتمثلة بالاهتمام بالمظهر الخارجي دون الجوهر، إلا أن النقد يوجه المدرسة والمديرة وما عكسته من استغراب في ذهن الفتى، فمن غير المقبول أن تكون المدرسة غارقة في الصمت بدلا من الفاعلية والنشاط، حتى الكوادر التعليمية تعكس شواهد على التدهور في نظام التعليم.

والكاتب إذ يعرض المشكلة، يترك الحل للقارئ، مكتفياً بتقديم نموذج يبين فيه مدى تأثير المدرسة وفكرها غير السوي في تعاملها مع الطفل، وبالتالي فإن هذا الطفل هو بريء وأحد ضحايا الفكر الشعبي السائد، فهو يرمي إلى وجود آذان صاغية تتأثر ببراءتهم وتحنو عليهم وتقف بجانبهم.

فقد حاول رسم الصور الصادقة لكل أمانى الطفولة وأحلامها، محبباً لها الحياة الجديدة بمفهومها المتطور الجديد الذي افتقدته لفترات طويلة، وبخاصة أن الذي يريد أن يحرم هؤلاء الأطفال طفولتهم، هم المتعلمون ومؤسساتهم التعليمية مثل المدارس، "راحت المعلمة تتمعن في الكتاب بنظرات كلها تعنيف واتهام، شعرت مريم بالقلق حينما أمرتها المعلمة أن تخرج معها بعد انتهاء الحصة. خضعت لتحقيق طويل، شاركت فيه مديرة المدرسة وعدد من المعلمات،

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص23.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص44.

تعجب كيف تأتي طالبة إلى المدرسة بمثل هذا الكتاب. حاولت أن تدافع عن نفسها وعن الكتاب، غير أنها لم تجد من يتفهم موقفها¹.

لقد أشاد الكاتب بالطفولة في شخص هذه الطفلة مريم عندما أقدمت على حمل مثل هذا الكتاب بما يحمله من أفكار إلى المدرسة، بل راحت تقرأ فيه في الحصة أمام المعلمة: بالرغم من أن "مديرة المدرسة كان لها موقف مني أيضاً، تأملتني باستياء، أجرت معي تحقيقاً تخلّته أسئلة، ألم تخجلي وجسدك مكشوف أمام الأولاد؟، ثمّ عادت إلى تقديم النصائح لي وقالت:

-أنا أريد مصلحتك، لم أفتنع بموقف أخي ولا بكلام المديرية، ولم ينقذني إلّا كتاب كنعان المفضلّ، أقبلتُ على كتبه أقرأ المزيد منها، أمدتني بشيء من الأمل، وبشيء من العزاء"².

وقد نجح الكاتب أيضاً في تصويره العلاقات الاجتماعية بين الطفلة ووالدها وجيرانها؛ ليؤكد لنا أهمية الاتصال بالآخرين، لا سيما أن التعاون ومساعدة الجار من الصفات المستحبة والضرورية لاستمرار العلاقات والروابط بين أفراد المجتمع.

جاءت لغة القصة بسيطة وذكية وقريبة من متناول الأطفال. وحدثت القصة بسيطاً وبنيتها مرسومة ببنية رائعة، كأنها قصيدة شعرية مكثفة، لكنها عميقة الدلالات ثرية الإيحاء. ولأن "محمود شقير" القاص يدرك مدى الخطورة التي تتركها المضامين السياسية على نفسية الطفل، فقد بدا في قصته السابقة، يمس المسألة الاجتماعية مساً رقيقاً وبأسلوب شعري. وهذا أسلوبه في كل قصصه المقدمة للأطفال، ففي قصة "تفاح وكل شيء"، يحل الوضع الاجتماعي المطروح في القصة بواسطة الحلم. كوثر الطفلة تريد لعبة، ولكن فقر الأسرة يدفع الأم إلى صنع لعبة من القماش للطفلة كوثر وحين تجوع كوثر تطلب من أمها تفاحتين واحدة لها والثانية للعبتها، لكن الأم لا تملك التفاح فتعطي طفلتها قطعة من الخبز، تبكي كوثر كي تحصل على التفاح ولكن الأم تواجه طفلتها بثبات وثقة: "لا تبكي سوف تأتي أيام يكون فيها للأطفال تفاح وكل شيء". تبكي الطفلة إلى درجة تتعب فيها من البكاء، ولكن لا يوجد تفاح فما العمل. تتذكر كوثر لعبتها فتخمن أنها جائعة مثلها. تتناولها قطعة خبز بعد أن تعتذر لها عن عدم وجود التفاح.³

¹ شقير، محمود، قالت مريم قال الفتى، ص30.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص64.

³ المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الاردن، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1983، ص80.

أما مريم فإنها تقف موقفاً مغايراً لأخيها، وتحاول مريم أن تصقل شخصيتها بنفسها، وتعتمد على نفسها في الحوار، كما تحاول الإفلات من سيطرة الأخ وتسلطه عليها" لم أكن أتوقع أن تكون ردود الفعل حادة على هذا النحو الذي جرى، أخي بدا كأنه هو الأمر الناهي في بيتنا، أخذ يُملي على مسمع من أبي وأمي مجموعة من الشروط التي ينبغي عليّ أن أتقيد بها، كانت أُمي تحاول بالحسنى أن تصرفه عن تشدده في موقفه فتقول له: أختك ما زالت طفلة لا يؤاخذها أحد على تصرفاتها، وتضيف: إنها تتصرف ببراءة الأطفال، فلا تغضب منها، كان أخي يزداد تشدداً ويقول في نغمة تنديد قاسية: إن من تجرؤ على السباحة أمام خلق الله، لم تعد طفلة، وإن بقي حالها كذلك فسوف تفضحنا، كان موقف أبي مفاجئاً تماماً لي فقد بدا مسائراً لأخي متجاوباً مع منطقته، وبدا أنه متخوف من أمرٍ ما لا أعرفه. قال في نزق وهو يخرج من البيت: "يقطع البنات واليوم الذي خلفنا فيه البنات."¹

يظهر أن القاص يلعب بالشخصيات ويجعل القارىء يتعاطف معها، ويحاول مساعدتها" يحركها، يستنطقها، يمسخرها، وربما لهذا نشفق عليها، ونرى أنه يتقل عليها أحياناً ويستنفد طاقاتها في أدوار تستنزف إمكاناتها وقدراتها."²، كما هو الأمر عند الطفل توفيق: "وكانت تلوي في نفس توفيق مشاعر مؤلمة، ومع الغروب أطل على القرية، وكان الأولاد يلعبون فوق الطريق، وحينما أبصروا التاكسي اندفعوا صوبه متصايحين، وحدثوا بداخله، وانطلقت أصوات مندهشة: يا الله، توفيق الفار راكب تاكسي."³

ومن القضايا اللافتة للنظر في قصص شقير الموجهة للطفل، قضية التعليم، وموقفه وموقف الطفل منه، فالتعليم هو أساس نهضة الشعوب وبه ترتقي وتتطور، ولكن التعليم من وجهة نظر الطفل عند الكاتب، هو مبعث للخوف والقلق، وبسبب الامتحانات، يلجأ الطلاب إلى سلوك غير سوي مثل الغش " كنت خائفاً من امتحان الجبر..... سأعتمد على ورقتك لكي أغش في الامتحان."⁴

وتعطي قصصه أهمية خاصة لربط الطفل بمجتمعه، الذي يبدو أن الكاتب قد نجح في تحقيقه، لا سيما أنه أعطى الطفل الحافز على إصلاح المجتمع، فربما ينجح الصغار فيما أخفق

¹ شقير، محمود، قالت مريم، قال الفتى، ص45.

² ينظر أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، ص45.

³ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص82.

⁴ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص54.

فيه الكبار:" في تلك الفترة اهتديتُ إلى قراءة محمد عبد الحليم عبد الله، كم أعجبتني رواياته ! أصبحت أستمتعُ بقراءة الكتب مثل استمتاعي بمشاهدة الأفلام، بيدي أبي ارتياحه لمجرد أن يراني أقرأ في أي كتاب، المهمُّ عنده أن أقرأ دوماً، لأن الكتاب، أي كتاب، مرتبطٌ في ذهنه بالمدرسة، والمدرسة هي التي ستمنحني شهادة الثانوية العامة، والشهادة هي التي ستأخذني إلى الجامعة، وشهادة الجامعة هي التي ستأخذني إلى الوظيفة".¹

لقد أجاد رسم صورة الطفل وربطه بواقعه، مترفاً وفقيراً، حرية وعبودية، عدالة وظلماً، فقد عايش هذا المجتمع، فأعطى انطباعاتاً للقارئ، إنه من صلب المجتمع ومن روح الأمة، وصوتها المعبر عن إحساسها وقضاياها ومشاكلها، بل يعمل على حل قضايا الأطفال في قصصه، كما في قصة صمت النوافذ" راقب أطفال الفلاحين الحفاة وهم يكبرون مع الجوع وغبار الطرقات التي تفوح منها روائح مياه عكرة، تدلقها من فوق السطوح أو من الشبايك فتيات خجولات لهن خدود مثل التفاح".²

كما تعكس قصصه الصراع الطبقي بين الفئات المختلفة في المجتمع الفلسطيني؛ بسبب قرب هذه القصص من الواقع والتصاقها بهوم الفقراء، وعبرت بقوة ووضوح عن مقاومتها للاحتلال، فجاءت ناقدة رافضة للطبقية في المجتمع الفلسطيني، وخير ما يمثل هذه القصص، قصته خبز الآخرين "تقول سلوى عليّات: نجد في صراع الأجيال تحدياً كبيراً لأدب الأطفال كونه وسيلة تربوية، لنقل مبادئ الجيل القديم وقيمه إلى الجيل الشاب...تبدو رسالة الكتاب بين فترتي الانتفاضة الأولى وأوسلو فيما يتعلق بهذا الصراع بالذات، هي التمرد على سلطة الكبار، من أجل تغيير المجتمع وعدم العودة إلى أخطاء الجيل القديم، تصور قصص الأطفال في الفترتين جيلاً شاباً يقود المجتمع، فينقاد إليه الكبار ويقبلون بهذا التغيير".³

الأبعاد التربوية:

أصبحت القصة ذات البعد التربوي مصدراً مهماً من مصادر تعليم الأطفال وتثقيفهم، حيث تراعي مراعاة دقيقة موضوع التلقين المعرفي الذي يرى فيه المرءون وعلماء

¹ نفسه، ص75.

² شقير، محمود، صمت النوافذ، ص63.

³ ينظر عليّات، سلوى، طفولة في صراع، ص40.

التربية والنفس والاجتماع غاية مهمة وضارورية في تنشئة الجيل الجديد، إذ يعد أدب الأطفال " أداة تربوية يناط بها تحقق العديد من الأهداف التي يراها أولو الأمر ذات أهمية في بناءالنشء وتنشئته تنشئة سليمة".¹

إن الكاتب يحاول أن يرسم ملامح جيل واعٍ قادر على التفكير والإبداع؛ ويبيشر به " لأن أدب الأطفال باعتباره وسيطاً تربوياً يتيح الفرصة أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم، ومحاولة الاستكشاف واستخدام الخيال، لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة، إنه ينمي سمات الإبداع من خلال عملية التفاعل والتمثل واستثارة المواهب،².

وكثيراً ما يحاول شقير التركيز على قضية القراءة للأطفال.³ وهذا ما يلح عليه حاتم في قصة أحلام الفتى النحيل: "سألني: من هو كاتبك؟ لم أقرأ من قبل لأي كاتب سوى المنفلوطي، سوى رواية "ماجدولين" التي ألفها في الأصل كاتب فرنسي، وصاغها المنفلوطي باللغة العربية. أعجب بي والد نادية. أما نادية فقد ذكرت عدداً من الكتاب الذين قرأت لهم، ولم يعلقوا بذاكرتي؛ لأنني لم أسمع بأي منهم من قبل"⁴، وهذا رأي شقير في غياب الثقافة والتثقيف "قبارغم من نسبة التعليم المرتفعة بين أبناء الشعب الفلسطيني، إلا أن انتشار الخرافات وتصديق كل ماهو غريب شاذ ما زال يستهوي الفلسطينيين، ولعل هذا عائد إلى بقايا مرحلة الزراعة حيث الربط الوثيق بين رضا الله وغضبه وبين خوارق الطبيعة، بالإضافة إلى عجز هذه الشخصية عن مواجهة الصعاب".⁵

والحل الوحيد للتخلص من هذه الخرافات، كما يراه شقير، هو الوعي، وهذا الوعي لا يتم إلا بالقراءة، والفكر الذي يحمله شقير يقدر القراءة، ويحاول أن يزرع هذا في عقل الطفل وفكره: " كنت أقول لها مشجعاً مستفيداً من أفكار كاتبي المفضل: إن هذه الحكايات التي كانت ترويه لك جدتك تهدف إلى ترويضك وتدجينك. بحيث تظلين مخلصاً لصورة المرأة كما يريد لها المجتمع الذي تعيشين فيه".⁶

¹ حنورة، أحمد حسن، أدب الأطفال ص 15.

² نفسه، ص 15.

³ شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1991، ص 5.

⁴ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 52.

⁵ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة والقطاع، ص 42.

⁶ شقير، محمود، قالت مريم... قال الفتى ص 27.

إن الأبعاد التربوية واضحة في قصص شقير، فإذا كان أدب الأطفال "هو العمل الفني الإبداعي المقدم للأطفال الذي يحتوي على قدر كبير من الجمال والتأثير في اللفظ والمعنى، فإنه يترك في النفس متعة فنية، سواء أكان هذا العمل شعراً أم نثراً"¹ فهو يعبر عن أحاسيس أولئك الأطفال وتعاطف بعضهم ببعض، فجاءت قصصه بسيطة مؤثرة من حيث تعبيراتها ولفظها وأسلوبها، يقول كنعان: "أتعاطف معها، أوصل إمدادها بالكتاب تلو الآخر من مؤلفات كاتبتي المفضل، أستعيرها من المكتبة العامة، أو أشتريها بما أوفره من مصروفي الشخصي من إحدى المكتبات".²

فترى الطفل كنعان قد أخذ على عاتقه ضرورة التصدي لكل فكر رجعي متخلف حضارياً واجتماعياً بل يحاول زرع بذرة الأمل في نفس مريم، من خلال إصراره على إعطائها الكتاب تلو الآخر بالرغم مما تعانیه في البيت والمدرسة؛ بسبب قراءتها لهذه الكتب: "أخرج من حقيبته كتاباً ونصحها بأن تقرأه، قالت له يكفيها أن تقرأ كتبها المدرسية. أخبرها أن هذا كاتب له مكانته. أخذت الكتاب ووعدته بأن تقرأه".³

لكن مشكلة الطفلة تكمن في علاقاتها التربوية مع المدرسة ومديرتها ومعلماتها، فلم تتقبل المدرسة فكرة أن تقرأ الطالبة مثل هذا الكتب: "قالت المديرية وهي تتأمل مريم في حرص عليها، ممزوج باستياء: في هذا الكتاب ألفاظ فاضحة ولا يجوز لبنت مثلك أن تقرأه. حاولت مريم أن تدافع عن الكتاب، لكن المديرية لم توافقها على رأيها، جاء أبوها إلى المدرسة، أدهشها موقفه المدافع عن الكتاب، وعن نجيب محفوظ الذي هو كاتب كنعان المفضل، قال: العبرة في المغزى النهائي للكتاب، وليس في كلمة هنا وكلمة هناك. قالت المديرية: لا أستطيع التهاون في أمور كهذه".⁴

لقد حاول محمود شقير رفع المخاوف والأساطير من خلال طرح الفكر العلمي الواعي للطفل، فهو يريد تصحيح مسيرة الحياة الاجتماعية للطفل من خلال طرح القيم التربوية الصحيحة

¹ السرخي، سامي، الفن القصصي عند محمود شقير، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القدس، 2007، ص 15.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص 42.

³ المصدر السابق، ص 29.

⁴ نفسه ص 30.

التي تعتمد على العقل والمنطق "فمن خلال القصة الجيدة نستطيع تربية ذوق الطفل وخياله وخلقه وننمي نواحي المعرفة عنده ونغذي عقله ووجدانه بالغذاء الصالح".¹

ففي قصة" قالت مريم..قال الفتى"، يحاول الكاتب تصحيح بعض القيم الاجتماعية من خلال طرح بعض القيم التربوية،" كانت تقصّ عليّ بعضاً من حكايات جدتها الكثيرة، التي ظلت تقصّها عليها منذ سنوات نشأتها الأولى، حتى جعلتها مخلوقة مملوءة بالمخاوف، شديدة الارتباك، كانت قد أحصت دون أن تُطلع أحداً على ذلك، عدد النساء اللواتي ورد ذكرهن في حكايات جدتها، وكان مصيرهن الذبح على أيدي الأخوة والآباء، فإذا به يجاوز عشرين امرأة، وحينما تسأل نفسها: لماذا ذبحن؟ يأتيها الجواب من داخل الحكايات إياها: لأنهن ارتكبن أخطاء فادحة".²

ويلاحظ المتتبع لواقع الناس في ظل الاحتلال شيوع بعض الأفكار الغربية التي لا تستند إلى منطق، وقد وفق القصاصون أمام مثل هذه الأفكار محاولين إبطالها، وهم إذ يفعلون ذلك، فإنما يدركون مدى تأثيرها السلبي على حياة الناس.³ ، وهذا ما كانت تلح عليه مريم في حديثها لكنعان " كانت تسألني محتدة: هل تقصد أن جدتي كانت تمارس عليّ نوعاً من الضغط أو الإكراه؟ كنت أقول لها، وأنا أستعير كلمات كاتبتي وأستاذي: إن جدتك هي ضحية مثلك تماماً، وقد كانت تحمل إليك رسالة المجتمع الذي يسيطر فيه الرجال على النساء دون وجه حق، ودون أن تدري أنها تفعل ذلك".⁴

إن المخزون الجمعي في اللاوعي عند أطفال شقير يأتي من التراث غير السويّ والمشوه من الأجيال السابقة، ونقوم بنقله إلى الأجيال اللاحقة؛ وفي هذا الجانب يحاول شقير الوقوف على التاريخ الشفوي لهذا الشعب، فيحاول من خلال كنعان تفجير هذه الطاقات الجديدة

¹ عبد المجيد، عبد العزيز، القصة في التربية، دار المعارف، مصر، ط2، 1952، ص3 "المقدمة".

² شقير، محمود، قالت مريم، قال الفتى، ص27.

³ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية، وقطاع غزة، ص42.

⁴ شقير، محمود، قالت مريم، قال الفتى، ص27.

ومحاولة تثويرها على مثل هذه الأفكار،"أحصت عدد بنات الحي اللواتي ورد ذكرهنّ على لسان الجدة، وكنّ مضطّرات إلى ترك الدراسة قبل التخرّج بسبب تزمت الأخوة والآباء".¹

لقد جاءت قصص شقير ذات تأثير واضح في تربية الأطفال، على وفق التربية الحديثة وإبراز مكانتهم الكامنة، كما جاءت باعثاً قوياً على خلق الاتجاهات في نفوس الأطفال وغرس حب الوطن وإكسابهم المعرفة التي لها علاقة دائمة مع حياة الطفل اليومية، وأبعدتهم في الوقت ذاته عن المعارف التلقينية، التي تدعو إلى العلم والمعرفة، وتبرز دور الأب والأم في توجيه الطفل؛ ليوّسع دائرته المعرفية، ويكتشف مواطن الخطأ والصواب في المجتمع. ومن هنا يمكن القول إن مثل هذه القصص مسؤولة عن خلق الأجيال الواعية ومناطق بها المساهمة في رسم المستقبل الطفولي الصحيح، بالاعتماد على الوعي، كما يظهر حاتم في قوله "أبي يحبُّ القراءة وأمي تحبها كذلك، أبي يحب أن يقرأ كتب محمد حسنين هيكل، وأمي تحبُّ قراءة الروايات".²

وقد يؤخذ على هذه القصة أنها تنمي ظاهرة البطولة الفردية في الطفل، وهو اتجاه غير مرغوب في التربية الحديثة، كما قد يؤخذ عليها الإصراف في العقلانية، بمعنى بعدها عن تنمية خيال الطفل بالصور الحسية الموحية وخاصة في خاتمتها، حيث تستحيل صورة صلاح الدين الأيوبي المرسومة في الكتاب إلى صلاح الدين الأيوبي الإنسان الذي يحمل في يده سيفاً لامعاً يتوهج تحت الشمس ويحمل في يده الأخرى راية الإسلام خفاقة، قد يؤخذ على القصة هذا التجريد الذهني، ولكن رغم كل ذلك فستبقى القصة تضيء فسحة الحلم عند الأطفال وتشدهم إلى تراثهم وصدق انتمائهم التاريخي.³

إن البعد التربوي واضح في قصص شقير، فالتربية في حياة المجتمعات لا يمكنها أن تقف عند حد إسعاد الأطفال فقط، والسعادة لا تعني الغيبة عن مواجهة المشكلات أو الهروب منها، بل تعني الكشف عن ألوان السعادة لارتياحها، فالانتصار على المشكلات الصعبة سعادة كبيرة، وذلك بإعداد الأطفال فكراً ونفسياً وعقلياً وجسماً، في مواجهة الحياة حيث وجد الأدباء

¹ شقير، محمود، كلام مريم ص41.

² شقير، محمود، أنا وجمانه، ص49.

³ المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ص70.

أن واجبهم تعريف الأطفال بقضاياهم الوطنية والسياسية والتربوية والاجتماعية من خلال قضايا وأفكار تعرض عليهم وتقنعهم بحب الوطن والدفاع عنه.¹

ويحاول الكاتب أن يغرس بكلماته البسيطة القيم والمبادئ والمثل العليا في نفس الطفل الفلسطيني وعقله، ويعمل على صقل شخصيته وتكوينها ونمائها على قيم المحبة والتعاون واحترام الآخرين؛ لأن أدب الطفل يعد من أهم الوسائل التي تسهم في عملية البناء التربوي، والحماية من الأخطار التي تهدم التربية وتفسد الفطرة السليمة؟، ففي قصة " رحلة الحمار وقصص أخرى" نرى الكاتب يتلاعب بالبعد الفانتازي²، إذ يرسم شقير للطفل صورة للرياضة الحقيقية التي يجب أن تسود الرياضيين، فهي قبل كل شيء ذوق وأخلاق قبل أن تكون استعراضاً للعضلات أو الفوز أو الخسارة، " وأخيراً استطاع الحمار أن يُحرزَ الهدفَ الأوَّلَ لفريقه، غيرَ أنَّ أحدًا من الجمهورِ لم يصفق له ولم يقبله زملاؤه. الشيءُ الوحيدُ الذي حدَثَ هو إلغاءُ المباراةِ وطردُ الحمارِ نهائياً من الملاعب، لأنَّه لم يدركُ أنَّ الرياضةَ هي قبلَ كل شيءٍ ذوقٌ رفيعٌ وأخلاقٌ حميدةٌ"³.

وترى الباحثة أن الكاتب نجح في ربط الطفل بمرحلته العمرية، لا سيما أن مجموعته القصصية "رحلة الحمار وقصص أخرى" دفعته إلى التحلي بالأخلاق الحسنة، مع الإحساس بالبطولة والارتباط بالفكر الجديد، والسير في الطريق السليم، طريق الوعي والثورة على التخلف والاستغلال، ضمن لغة سهلة وواضحة وبشكل منظم بين الكلمة والصورة، التي أسهمت في تعميق مفهوم القصة، وإبراز حسها التربوي.⁴

ويحاول شقير جاهداً بناء شخصية الأطفال بناءً حديثاً، من خلال تقوية الإرادة وتكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة عندهم، التي يرونها بأعينهم صحيحة، ويترك لهم الحديث؛ كي يعبروا عن أفكارهم بما يكتب لهم.

¹ ينظر، صبيح، إبراهيم، الطفولة في الشعر العربي الحديث، الدوحة، ط1، 1985:ص131.

²الفانتازيا: خليط من أحداث درامية تجمع بين الفكاهة والتراجيديا، معجم المصطلحات الالفية، اعداد ابراهيم فتحي، تونس، 1988.

³ شقير، محمود، رحلة الحمار وقصص أخرى، ص14.

⁴ ينظر النوايسيه، عيبر، أدب الأطفال، دراسة في المضمون، دار أميمة، عمان، ط1، 2004، ص61.

كما يجسد قيمة الفرد _الطفل_ ويجسد عنده الأمل من خلال المعالجة الفنية للفكرة ذاتها، إذ على لسان الطفل أن تحرير الأرض لن يكون بالعلم وحده، ولا يكون بالسلاح وحده، وإنما بالاثنين معاً، ولعل ذلك يكون نقداً موجهاً لهذه الأجيال التي فرطت في جزء من التعليم النوعي؛ بسبب ظروف الانتفاضات المتتالية، ولكن الطفل وعلى لسان شقير يحاول تعويض النقص العاطفي في الجانب التعليمي، فالقصص تشير إلى أهمية التعليم بشكل مباشر، فالأطفال يرسمون لهم مستقبلاً علمياً متفائلاً "حاتم شجاع، لا يخاف من الجنود. إنه أشجع مني، وهذه حقيقة. وفي الوقت نفسه، واطبّت على الذهاب إلى المدرسة كالمعتاد، وواصلت التفوق في الدراسة، حتى إنه لم يعد بحاجة لتشجيعي".¹

وما هو موجود في المدارس لا يلبي حاجات الأطفال النوعية، أمام الثورات المعرفية في العالم، يقول كنعان "إن المدرسة لا تعجبني. فوجئت مريم مرة أخرى وسألت على استحياء: هل أنت جاد فيما تقول؟ ثم أضافت مفسرة موقفها: إذا كرهننا المدرسة، فماذا يتبقى لنا؟ لاح على شفتيه ظل ابتسامة. سألت في إلحاح: هل تقصد الانصراف كلياً إلى المسرح؟ قال دون أن يقصد الردّ عليها: سأبحث عن كاتبتي المفضل. سألت: أين هو لكي تبحث عنه؟ قال: يحيا في بلد بعيد، سأبحث عنه، لأطرح عليه المزيد من الأسئلة. ثم قال: أنا حائر يا مريم".²

ففي قصة" قالت مريم...قال الفتى"،تناول شقير عدة موضوعات تربية، منها الرغبة في التعايش وأحلام السلام العادل ومحاولة التعرف على تفكير الآخر، كما طرح بعض المشاكل التي تواجه المرأة، ودور المدرسة في المحافظة على الأبناء وعدم دفعهم إلى التسرب أو الهرب من سوء المعاملة.³

لقد انتمى شقير منذ بداياته إلى النسق الأدبي الفلسطيني الذي رأى في الثقافة و الديمقراطية نهجاً في النهوض؛ وفي الإنسان الواعي لإمكانياته، مبتدأ لكل مشروع تحرري محتمل، ولعل الإيمان بوضع الإنسان كما يجب أن يكون هو الذي أملى عليه أن يكرس جهداً

¹ شقير، محمود، أنا وجمانه، ص47.

² شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص17.

³ السرخي، سامي، النص القصصي عند محمود شقير، رسالة ماجستير، مخطوطة جامعة القدس، 2007، ص165.

خاصاً لأدب الأطفال، فمارسه بإخلاص كبير، فأبدع في سياسة كتابته، توحد بين التربية والإمتاع والمساءلة، مبتعداً عن ثقافة التقليدية التي تساوي بين التعليم والعبودية¹.

واضح إذن، أن القصة تطرح قضية التمثل أو الاستهواء عند الأطفال، وهذا يتطلب أن نقدم لهم شخصيات إيجابية خيرة، كما تطرح القصة مسألة الشعور بالذنب والعودة إلى السلوك الطبيعي الخير تعديل السلوك كما تطرح أيضاً تعاون البيت والمدرسة في بناء شخصية الطفل "الأم والمعلم". أو "البيت والمدرسة"، وما يؤخذ على القصة إصرافها في وصف السلوك العدوانى لفؤاد، في الوقت الذي تركت فيه فؤاداً يشارك أخاه الأكبر وأمه مشاهدة برنامج التلفزيون السابق دون توجيه أو إرشاد منهما، سوى تحذير الأخ ونصيحة الأم بالابتعاد عن البرنامج هكذا وبطريقة آمرة.²

لقد حاول شقير أن يقدم للطفل كل ما هو مفيد من خلال قصصه الطفولي؛ لأن القصة المفيدة والجيدة يجب أن تحتوي قيماً يستحق الطفل معرفتها، بحيث تكون قائمة على النزاهة والعدل والأخلاقيات السليمة والمبادئ الأدبية والسلوكية التي ترشح ثقة الأطفال في هذه القيم.³ إنه يلجأ كثيراً إلى السخرية في قصصه، وهي الضحك من اللذع والإيلام بعكس الفكاهة، وبالرغم من جدية شقير وحديثه، إلا أنه خفيف الظلّ يحب الطرافة دون إصراف، فقد وظف السخرية في "رحلة الحمار" و "صورة شاكير"، وتعكس قصة رحلة الحمار بعداً تربوياً على لسان الثور، الذي يمثل إنساناً حكيماً.

"جلس الثور في وسط المقهى، اقترب منه الحمار، جلس وهو يتوقع من الثور كلاماً يخفف من غضبه. قال الثور:

– يا صديقي الحمار، إذا أردت لمفهاك أن يستمر في أداء خدماته، فلا بدّ لك من التعامل بمرونة ولطف مع زبائنك.

قال الحمار:

¹ السلحوت، جميل، محمود شقير الأديب المتجدد والمتميز دائماً، موقع دنيا الوطن، بتاريخ 2012/5/29.

² المصلح، أحمد، أدب الأطفال، ص 76.

³ ينظر، الحديدي، علي، في أدب الأطفال، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط2، 1976، ص 124.

- هناك تصرفات ثقيلة لا يمكن احتمالها.

هزّ الثور رأسه مثل شخص بالغ الحكمة وقال:

- أعرفُ هذا يا صديقي، ومع ذلك فعليك أن تحتل كل شيء.¹

ولكن ليس كل شيء، إنما كل شيء ممكن احتمالاً، بما لا يتعارض مع القيم والمبادئ

والمثل...

وتجيب المضامين العلمية مرتكزة على تعريف الطفل بالمظاهر العلمية المختلفة مع تزويده بالمعلومات العلمية المرتبطة بالكواكب والحشرات وبوسائل الإنتاج العلمية أو كيفية تكون المطر، إن مثل هذه القصص: "تزود الأطفال بالمعلومات، وتبسط لهم حقائق العلم وتقربه لهم في أسلوب قصصي مشوق، وهذا يعني أن الهدف الأساسي من القصة واستخدامها كأسلوب للتعليم، هو تنمية الخيال والسلوك وتزويد الأطفال بالثقافة العلمية وأسلوب التفكير العلمي."²

لقد استحوذ النص في قصة "سامر يخدم الحي" على القيم الجمالية زيادة على القيم الأخلاقية والتربوية والدافعية الإنسانية التي يؤمن بها شقير، كما نلاحظ عند الطفل سمير. "عاد سامر وبزملائه إلى العمل، أما يزيد فقد أدرك أن الحقد يقود إلى التهلكة وسوء المصير، فقرر أن يكف عنه، وفي الصباح التالي التحق سامر بزملائه، وانهمك في العمل معهم، خدمة للحي والناس الذين صفحوا عنه وأعطوه فرصة للصدق مع النفس ومع الآخرين."³

وهذا ما يطلق عليه تعديل السلوك "كان سامر قد أخبر مجلس الحي بما ينوي أن يفعله، فانطلق في الصباح الباكر ومعه عدد من التلاميذ، وانهمكوا جميعاً في طلاء جوانب الأرصفة بالأسود والأصفر، مما أضفى على شوارع الحي رونقاً وبهاءً."⁴ وأضفى على أطفال الحي مثل هذا الرونق والبهاء أيضاً.

¹ شقير، محمود، رحلة الحمار وقصص أخرى، ص22.

² ينظر، النوايسة، عبير، أدب الأطفال، ص62، وينظر في القضية ذاتها، قصة أحلام الفتى النحيل، ص66، قصة صمت النوافذ، ص15.

³ شقير، محمود، الحاجز، ص47.

⁴ نفسه، ص46.

الأبعاد السياسية:

قد تكون أول قصة تعرضت للواقع السياسي في فلسطين ونكبة أهل فلسطين وتشردهم هي قصة "فتاة من فلسطين لعبد الحليم عباس، وقد عني فيها بتصوير حياة بعض الأسر في المجتمع الفلسطيني، وما كانت تجيش به نفوس الناس قبيل النكبة وإبانها، ثم توالى الأحداث على الشعب الفلسطيني ورافقتها الهزائم المتتالية، وراح الكتاب يصورون هذه المآسي والانعكاسات السياسية عليها.¹

إن من أهداف الأديب الذي يكتب للأطفال أن يعرفهم بأنفسهم وقدرتهم وإمكانياتهم والواجبات والحقوق الملقاة على عاتقهم في حاضرهم ومستقبلهم، عندما يصبحون رجالاً ويخرجون إلى الحياة العامة، فيدركون واقعهم السياسي إلى جانب إدراكهم لأوضاعهم الاجتماعية والثقافية، متدرجا في ذلك حسب مراحل نموهم العقلي والجسماني. وما يمر به الطفل الفلسطيني يختلف عن أي طفل آخر في العالم، فربما يكون قد عرف القضايا السياسية قبل غيره، وربما تكون قد ظلمته السياسة قبل أن يعرف طفولته التي ينبغي أن يعيشها كبقية أطفال العالم، فقد ولد وهذا قدره، وهذا ما يقوله الطفل حاتم في قصة "أنا وجمانة": لا ذنب لي في ذلك، حينما بلغت السابعة التحقت بالانتفاضة، وقبل السابعة لم يكن الأمر ممكناً.² وحاتم يؤكد أنه كان أحد المشاركين النشطين في الانتفاضة، بالرغم من صغر سنه، يقول لنا في بعض الأحيان مستعيراً بعض كلمات المذيعين ومراسلي التلفاز: انخرطت في النضال منذ نعومه أظفاري.³

لمحمود شقير أفكار وآراء متميزة بثها في قصصه، فلم تكن الأفكار السياسية عنده بالأمر الصعب، فقد جذبتة السياسة "وأضحى في قصصه ناقداً سياسياً يكتب للطفل على وفق فهم جديد، إذعنى بأزمته وقضاياه المصيرية أمام القوى السياسية السلطوية، فنراه أحياناً ينقسم على هذا الإنسان بالرغم من ضعفه وعجزه وأحياناً أخرى ينصف هذا الإنسان ويقف معه وبجانبه" قال كنعان: اعتدى أشخاص مجهولون على رجل في حيناً، الشخص له تاريخ سياسي طويل، وهو

¹ ينظر، الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، مطبعة لجنة البيان العربي، ط 1، 1957، ص 166.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 21.

³ نفسه ص 25.

متمرس في كتابة مقالات سياسية، ينتقد فيها الأوضاع الراهنة، غافلوه، وهو خارج من بيته طعنوه بالسكاكين، ولم يمت، من حسن الحظ أنه لم يمت، أبي يتحدث عن نزاهته واستقامته، رغم أنه يختلف معه في الرأي حول بعض القضايا.¹

فالطفل الفلسطيني قد انتقل من الطفولة إلى البلوغ والنضج السياسي قبل غيره، إذ راح يفكر في الثورة والتمرد ضد الاحتلال؛ لأجل تحرير شعبه، نلاحظ هنا اهتزاز صورة الجيل القديم في نظر الجيل الناشئ؛ بسبب عدم قدرته على الدفاع بشكل حضاري عن الوطن، "بلادنا ليست واسعة مثل الجزائر ولا توجد فيها غابات؛ كي يلجأ إليها الثوار قلت مستبقا كلامها: -لا بد أن لدى الفلسطينيين بيوتا سرية في المناطق التي ما زالت تحت الاحتلال، قالت وهي تتمطى في سريرها ربما. أضافت بمعنى مقصود وكأنها راغبة في مجال إدخال الطمأنينة نفسي، يمكن للمرء أن يلتحق بالمقاومة دون أن يغادر بيته إلى بيت سري".²

فمن خلال حديث شقير عن الطفل الفلسطيني يتحدث عن هموم الشعب، ومارغبة الطفل بالالتحاق بالمقاومة إلا تعبير عن إرادة شعب؛ للتخلص من الاحتلال. وبالتالي نرى شقير يصنع الطفل في نموذج البطل أو المسؤول عن تخليص هذا الشعب مما هو فيه سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

ومحمود شقير لم يغفل عن قضايا أطفال وطنه المحتل، ولا عن قضايا شعبه، فقد رسمها بطريقة الفانتازيا، فنجد الحمار، الذي يعيش على هذه الأرض قد مل الجنود وسلوكهم معه تشاور الضابط مع الجنود بخصوص الحمار، ثم قرر ألا يسمح له باجتياز الحاجز، لأنه لا يملك بطاقة هوية أو لا، لأنه حمار ثانياً، قال له: ممنوع المرور، ابتعد من هنا، ابتعد. لم يتمالك الحمار نفسه من الغضب، أطلق نهيقاً، انتبه إليه مصورو محطات التلفزة والصحافيون المنتشرون على مقربة من الحاجز، أسرع الجميع نحوه، خلع نظارته حينما رأى المصورين والصحافيين، وتساءل: -هل هذا معقول؟

ثم أجاب وهو يضع النظارة على عينيه: إنه غير معقول.

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص70.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص19.

شعر الضابط بالفضحية. قال لأحد الجنود: تبهدلنا! وتبهدلت الدولة. وقال:

كأنه لا يكفيننا تَدمرُ الفلسطينيين على الحاجز.¹

"قال الضابط:

تبهدلت الدولة! ستكتب الصحفُ عنّا وتقول كلاماً غيرَ لائقٍ ضدنا، وسأظهرُ على شاشات التلفاز

مع هذا الحمار!

حاول الضابطُ حلَّ المشكلة عن طريق الخداع، قال للحمار:

عُد الآن من حيثُ أتيت، وسأتحدثُ بخصوص قضيتك معَ رئيس الوزراء.

شعرَ الحمارُ بأهميته بعدَ هذا الكلام، وقال:

لن أترجع، حتى لو وعدتني بالتحدثِ معَ رئيس الدولة!

سجَّلَ الصحافيون كلَّ كلمة قالها الحمار، وسجَّلوا كلَّ كلمة قالها الضابط، شعرَ الضابطُ

بالاستياء؛ لأنَّ الصحافيين ينقلون هذا الحوارَ المهينَ بينه وبين الحمار، غضبَ، أخرجَ مُسدسه

وأطلقَ طلقةً في الهواء. تراجعَ الصحافيون ومصورو التلفاز، وابتعدوا. والحمارُ تراجعَ وابتعد،

لكنه سيعودُ إلى الحاجز بعدَ أسبوع، لكي تتكرَّرَ المواجهةُ بينه وبين الضابط والجنود.²

لقد جاءت هذه القصة "رحلة الحمار" طاغية على نهج الكاتب في تصويره لبعض

شخصه، فالمؤكد أن الكاتب تعمد تبسيط الشخص الحمار؛ كي تزيد من طابعها الواقعي

المرّ، فلا فرق عند الاحتلال بين البشر والحجر والحيوانات. فالفكاهة القاتمة تبرز في المواقف

غير المنطقية بين سلطة الاحتلال والمواطنين الفلسطينيين المضطرين غصباً للتعامل مع تلك

السلطة، وفي علاقاتهم ببعض ببعض سلوكيات تبدو شاذةً من بعضهم، مثيرة للسخرية، فإذا ما

تأملناها فإنها تبدو طبيعية ومفهومة ومبررة كوسيلة لتحمل حياة كئيبة محبطة:³ توجه إلى أحد

مسارب المشاة، وقال لنفسه: صحيح أنني لست إنساناً، لكنني صديق الإنسان، أعملُ في خدمته،

وأظل ملازماً له في الحقل وفي الطريق أثناء نقل الغلال. ثبَّتَ نظارته على عينيه وسار. مشى

¹ شقير، محمود، رحلة الحمار وقصص أخرى، ص6.

² المصدر السابق، ص7.

³ المصدر السابق، ص7.

في المسرب بضع خطوات، ثم اقترب منه الضابط والجنود، وأوقفوه. طلبوا بطاقة هويته، قال إنه لا يحمل بطاقة هوية لأنه حمار، وقال إن الحق يقع على حكومة الاحتلال؛ لأنها لم تمنحه بطاقة هوية. تعجب الضابط لأن الحمار يتكلم وهو غير خائف، وشعر أنه أمام مشكلة تحتاج إلى حل.¹

رأى القاص محمود شقير في جيل الطفولة أملاً لغد مشرق منشود، فتوحدت في أذنه الكلمة المناضلة مع الموقف الوطني الملتزم بالهوية القومية والروح الوطنية والصمود القوي، من خلال وعي وإدراك نضالي عميق للمرحلة التي تمر فيها القضية الفلسطينية، والتحليل الصادق لجزيئات الموقف، فولد كل هذا ما يعرف بأدب المقاومة أو قصة المقاومة التي تجسد روح النضال والثورة، وهذا ما أسنده شقير لبعض أطفاله القصصية، فمصطفى يفكر في ترحيل الإسرائيليين ولكن دون أن يؤدي أحداً منهم بعد يوم أو يومين بدوت متشككاً من جديد. إذ كيف يمكن لمصطفى أن يرحل الإسرائيليين إلى أوغندا خلال أربع وعشرين ساعة؟ لو كان الترحيل مقتصرًا على بضعة أفراد، لقلت إنه قادرٌ على ذلك، أما ترحيل عدة ملايين من الإسرائيليين، فهذا أمرٌ صعب، صعبٌ جداً.²

ويحاول "شقير" رفقاً الطفل الفلسطيني وتسليحه بأفكار ثورية حقيقية، تكون له المعين في المستقبل في مواجهة الأعداء والحياة وكذلك في بناء المستقبل. إنه يتعامل مع الواقع المعاش والظروف المستجدة، انطلاقاً من الدعوة إلى تغيير هذا الواقع وإنهاء الاحتلال وعسفه، أي أنه يحمل راية المقاومة، ويطلب من الطفل ذلك، وهذا ما نراه في كثير من قصصه، فقد استطاع في قصة "أنا وجمانة" أن يرسم لنا صورة سوداء في البداية، ولكننا لا نلبث أن نستشف من خلالها ظلالاً ندية خضراء تبشر بالخير وتدعو إلى التفاؤل.

بالرغم من ازدحام الأحداث التي تؤطر الصورة الحية، فإن لها تأثيراً لا دعاً وقعته على النفس يوحى بالبشر والفرح، فالقصة مستمدة من حياة طفل فلسطيني متشبث بأرضه، حيث

¹ ينظر أبو شاوور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، ص 1.

² شقير، محمود، رحلة الحمار وقصص أخرى، ص 5.

الشخصية والموقف متلازمان متصارعان، ومشحونان بشحنات هائلة من العواطف المتأججة والأحداث المتطورة.

"قلتُ لها: -لستُ وحدي، صلاحُ الدين معي.

ارتبكتُ البنْتُ وأفلتتُ يدي، قالتُ باستغراب: -هل معكَ شخصٌ آخر؟

تلفتتُ في كل اتجاه، ويبدو أنها لم ترَ صلاح الدين، قالتُ بفزع:

- أين هو؟ هل هو مختبئٌ في حديقة البيت؟

أجفلتُ البنْتُ، فتحتُ بابَ البيت بسرعة، وصففته خلفها.¹

إن مثل هذه القصص قد أصلت معنى الوطن والأرض في أذهان الأطفال والقراء، وخلقت فيهم وعياً وطنياً لم يعرفه أمثالهم في الأجيال السابقة بوحده، كما خلقت فيهم الثقة الكبيرة بقدرتهم على الوصول إلى الهدف المنشود عندما يبلغون سن الرشد والنضج الفكري والوعي السياسي التام لقضايا أمتهم.

ومن اللافت للنظر أن شقير أعطى دوراً سياسياً بارزاً للأطفال، وأن الأطفال يريدون أن يرسموا طريقتهم بأنفسهم في ظل التغيرات السياسية التي تجتاح وطنهم، كما يريد من هؤلاء الأطفال تبني القيم الحديثة، كما هو الأمر في قصة "قالت مريم.. قال الفتى"، إذ تمثل صراع الأجيال، وهو صراع في سبيل تحرير المرأة من التقاليد التي تعيق تقدمها، فمريم مراهقة تريد المساواة بين الجنسين، تريد الاشتراك في مسرحية و ترفض وصاية أخيها عليها، ولكن في الوقت نفسه تحاول أمها - الجيل القديم - إقناعها بتقبل أفكار أخيها تجاهها. وهوفي الواقع صراع بين جيلين، يحاول الجيل الناشئ، أو الأطفال، تغيير بعض المفاهيم ومحاولة الالتصاق بالواقع العلمي والمنطقي والعقلي، ولكن ما زالت سيطرة الجيل السابق لها تأثيراتها، فالقضية بينهما أشبه بالمد والجزر.

¹ شقير، محمود، أنا وجمانه، ص62.

الأبعاد الوطنية:

يسيطر الهاجس الوطني على معظم الأعمال القصصية الموجهة للطفل عند شقير، حيث يبرز المضمون بشكل موازٍ لحركة التحرر الوطني من نير الاحتلال، ويظهر الوعي الوطني في مجموعة من القصص مثل "الولد الفلسطيني" و "الحاجز"، علماً أنها تعددت أساليب تناول الوطن في المضمون القصصي من كاتب إلى آخر تبعاً لزاوية الرؤية والأدوات المستعملة في البناء الفني عند هذا الأديب أو ذاك، فهناك على سبيل المثال، من اختار عالم الحيوان مجالاً لتوصيل هم الوطن والدفاع عنه، وهناك عدد آخر من الأدباء اختاروا الأسلوب المباشر في التعامل اليومي الملموس مع العدو المحتل، وهناك فريق ثالث لجأ إلى تاريخ يغرف من ثناياه نماذج بطولية¹.

إن مفهوم الوطن عند الطفل في قصص شقير جاء متنوعاً، فهو لم ينسلخ عن قضيته المركزية وهموم شعبه، حتى إنه لا يميل من تكرار مظاهر البؤس التي عاشها ويعيشها "قبل الجزائر"، أقمنا في عمان ودمشق وتونس، عشنا في الجزائر خمس سنوات، تعرفتُ على أولاد كثيرين وبنات، وجمانة تعرفت على بنات كثيرات وأولاد، وكان لنا أصدقاء مشتركون، نلعب معاً طوال الوقت، نردد أغنيات فيروز ومارسيل خليفة والشاب خالد، ونلقي أشعاراً لمحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد².

ليست المقاومة نشاطاً عسكرياً فحسب بل، يرفده نشاط سياسي واجتماعي وثقافي؛ لأن العمل الأدبي فعل حضاري ثوري، وكثيراً ما يسعى الاحتلال إلى التخريب الثقافي؛ لأنه الموصل إلى إضعاف الذاكرة وإلغاء الوشائج القومية؛ وخاصة أن الأدب تعبير عن مجتمع متغير. قالت مريم: عاد أبي إلى البيت وكان مهموماً، سألته أمي عما يزعجه، قال إن أحد رفاقه في النضال تعرّض لمحاولة اغتيال؛ لأنه ينتصر للعقل في مايكته، ويدافع عن حقوق الفقراء، وقال إنه

¹ المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ص 64.

² شقير، محمود، أنا وجمانه، ص 10.

يخشى على مجتمعنا من ظاهرة الاغتيالات جراء الاختلافات في الرأي وفي الاجتهادات، وقال إن هذا أمرٌ مرفوض¹.

إن البعد الوطني في القصة الفلسطينية له أهمية خاصة وكبيرة، وخاصة عندما يكون هذا البعد إيجابياً، من حيث الالتزام بما في الوطن وحاضره ومستقبله، وتأكيد الانتماء إليه والدفاع عنه، وهذا أراه واجباً على الأديب أن يغرس في الطفل الإيمان القوي بواجب خدمة الوطن والانتماء له، فيقبل عليه تلقائياً بإخلاص ومحبة وفخر.

تركز قصة (الحاجز) على مجموعة من القيم والاتجاهات الوطنية، مثل المشورة ووحدة الرأي والاعتماد على النفس والاتصال بالأصدقاء وتبادل الرأي، والتخطيط والتدريب والاستعداد، وأخيراً التضحية بالنفس لتحرير الوطن

ينطلق شقير في مجمل إبداعته القصصية من موقف واقعي ملتزم بالإنسان ونضاله إلى الأجل في الحياة، عبر تحقق الأيدلوجيا فنياً في النص الأدبي وفي الواقع، في لحمة واحدة لا تتفصل².

نلاحظ أحياناً النزعة التهكمية أو الساخرة في قصص شقير المقدمة إلى الأطفال، حتى في الجانب الوطني فيها، وهو يعلل ذلك في قوله "النزعة التهكمية الساخرة، هي نتاج الواقع المرّ الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال، وهي أسلوب في الكتابة التي تتعالى على جراح الواقع، ليس لجهة الهروب من مواجهته، وإنما لجهة تركيز الانتباه على ما يشمل عليه هذا الواقع من انحراف عن أبسط معايير حقوق الإنسان والكرامة البشرية، ولتحقيق هذا التركيز لأبد من وضع الآخر تحت مجهر الفن، وليبيان خطل تصرفاته والسخرية منه في الوقت نفسه والاستهانة به وبكل إجراءاته القمعية، وفي ذلك تعزيز للروح المعنوية للناس العزل الذين يتصدون للاحتلال³."

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص 72.

² رضوان، عبد الله، البنى السردية، ص 78.

³ حوار مع محمود شقير، جريدة الأيام، 2004/6/8.

فهو أقرب إلى السخرية اللاذعة الناقدة، حتى إن الطفل قد مارس السخرية الخيالية إن جاز التعبير، جاء ذلك على لسان حاتم في قصة "أناوجمانه" هذا المسحوق السحري، سيجلبُ النعاسَ إلى عيون الإسرائيليين أربعاً وعشرين ساعة، وسيحملون أحلاماً سعيدة. مصطفى أكدَّ لي أن مسحوقه يشتملُ على مادة تتسببُ في رؤية الأحلام السعيدة، قال لي بالحرف الواحد، إنه معني بأن يحلم الإسرائيليون أحلاماً سعيدة، وأثناء ذلك سيقوم مصطفى بنقلهم إلى أوغندا، وهناك في أوغندا، يقيمون دولتهم كما كان مقرراً منذ البداية، أي قبل أن يتوجهوا إلى فلسطين وقيموا دولتهم فيها، مصطفى يقول إنه بذلك يرفعُ الأذى عن الشعب الفلسطيني، ويصبح الإسرائيليون في الوقت نفسه شعباً إفريقياً.¹

فالطفل بالرغم من طفولته التي يحاول أن يجدها ويعيشها، إلا أنه دائم التفكير في قضية شعبه "وهو في أغلب الأوقات يمشي معنا ويتنزّه معنا ويلعب معنا، وكلما واثته الفرصة، فإنه لا يبخل علينا بسرده بعض حكاياته عن الانتفاضة في أشهرها الأخيرة".²

فهو يمرر رسالته إلى الأطفال الفلسطينيين، ويزرع بداخلهم التمرد والرفض للاحتلال الذي سلبهم وحرّمهم التمتع بطفولتهم فوق تراب وطنهم، كل ذلك جاء من خلال القص الهادئ السلس.

فالقاص يتكئ على الأبعاد الثقافية؛ لتفسير أسباب الهزيمة فهو يحارب الجيل القديم، وأن أسباب الخلاص ستكون على أيدي الجيل الجديد بالعلم والسلاح، وبجيل لا يؤمن بالخرافات والأساطير وله موقف واضح من سلوك الجيل القديم وتعامله مع الأمور، ولكن عليه أن يستفيد من خبرات الجيل القديم وأخطائه.

"في إحدى الأمسيات، وفيما هو عائد من الحرب، التقاه الطفل متوقفاً هدية كالمعتاد، غير أنه فاجأه بأمر لم يخطر على البال، قال له وهو يحتضنه بين ذراعيه الطويلتين: سأعلمك الرماية في الحال، فهذا الزمان غادر.

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 77.

² شقير، محمود، نفسه، ص 13.

لم يفهم الطفل شيئاً. أما هو فقد صوّب الرشاش نحو صخرة صماء، وقال للطفل بعد أن دنا منه:
اضغط هنا.¹

تدور معظم قصص شقير المقدمة للطفل حول فلسطين وما آلت إليه القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال ومسؤولية الطبقة العليا، فالموضوع متصل اتصالاً مباشراً بالإنسان والوطن وهمومه الكبرى،

فالكاتب يجسد في ألفاظه السلسلة كل ما يريد أن ينقله خلال قصصه، وهو في الوقت نفسه لم يغفل حاجة الطفل إلى الزاد الثقافي الذي يعمله ويسليه.

"قالت مريم: مشت ديمة إلى جوارى، خيم علينا الصمت صمت من النوع الذي يعدُّ بكلام له معناه، قالت:

أرجو أن نلتقي دائماً. قلت:

أرجو ذلك، ولكن.

سألتني: ولكن ماذا؟

قلت: علينا أن نلتقي في القدس.

نظرت في عينيها ولم أقل شيئاً.²

ومن القصص التي أبرزت الجانب الوطني قصة "الحاجز" الذي منع الطفلة باسمه من المرور بحرية، فاضطرت للقفز عن الأسلاك الشائكة "لكن أحد الأسلاك الشائكة تعلق بطرف ثوبها فسقطت على الأرض، تجمع الجنود وأطلقوا قهقهات شامتة، وهم ينظرون إلى باسمه، وقد انطرحت على الأرض، نهضت باسمه، ثم سارت برأس مرفوع إلى البيت، وهي تلم بيدها طرف ثوبها الممزق، وظل الجنود يرمقونها صامتين حتى غابت خلف زاوية الشارع"³،

وهنا يجمع شقير بين حب العلم وحب الوطن، وفلسفة التحدي والرفض لممارسات الاحتلال ضد الأطفال ومستقبلهم العلمي والمهني.

¹ شقير، محمود، صمت النوافذ، ص78.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص58.

³ شقير، محمود، الحاجز، ص51-52.

يرى محمود العالم أن "من واجب الأديب الواقعي أن يكون ذا نظرة متكاملة إلى العالم الذي يحيى في داخله، نظرة تعبر عن فهم مترابط لهذا الكون وأطواره، وبشكل خاص ينبغي أن يتضح هذا جلياً في فهمه لمجتمعه الخاص وتجاربه معه.¹ لأن فهم العالم المحيط هو المقدمة الأولى لمستلزمات الإبداع ضمن عملية خلق جديهِ لهذا العالم وتجسيده بكل متناقضاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية كفعل بالضرورة لرفضه وتثويره.

ففي قصه الجندي واللعبة يعرّي شقير المحتل ويكشف عن وحشيته وقساوته من خلال سلوك الجندي الإسرائيلي الذي حاول استمالة الطفلة بابتسامته الصفراء الوقحة، ولكنه في الوقت نفسه مزقّ لعبة الطفلة؛ خوفاً من أن يكون بداخلها متفجرات.²

أرى أن هذه القصة ربما تكون للكبار وليست للأطفال، فعندما قدمت إلى عمان أقامت عند أقاربها عدة أيام، تعرّفت أثناءها على أطفال كثيرين، وروت لهم حكايات عن المظاهرات التي تجري في شوارع القدس ضد الأعداء.³

يعلق عبد الرحمن ياغي على سلوك الطفلة مع الجندي في هذه القصة بقوله: "ما دامت الصهيونية تزرع جذورها بعد التسلل إلى هذا الجزء من العالم العربي، يصبح هذا ضرورة وتصبح "أمانة" بالتجربة القاسية معدة إعداداً حراً، ويستمر نموها ووعيها واستعدادها للمواجهة، وهذا هو دور الإبداع في عملية التوعية".⁴

إنه من الطبيعي جداً أن يبرز البعد الوطني بوضوح في قصص "شقير"، فهو الفلسطيني المشرّد المنتزع من طفولته وأرضه وأهله، فلا أقل من أن ينعكس ذلك كله أو بعضه على أدبه وأن يظهر في مرآة فكرة ومداد قلمه، وإلا فليس فلسطينياً ولا وطنياً.

¹ العالم، محمود، وأنيس، عبد العظيم، الثقافة المصرية، ص 28.

² شقير، محمود، الجندي واللعبة، ص 28.

³ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 29.

⁴ ياغي، عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ط 1، 1993: ص 103.

الفصل الثالث

منظور الطفل لقضايا أمته:

- منظور الطفل للشهادة.
- منظور الطفل للوطن.
- منظور الطفل للأرض.
- منظور الطفل للبيئة الاجتماعية.
- منظور الطفل للاحتلال.
- منظور الطفل للطفولة.

1- منظور الطفل للشهادة:

اشترك الطفل الفلسطيني بالانتفاضات المتكررة، وألقى الحجارة على جنود الاحتلال، إذ عرفت الانتفاضة الأولى بانتفاضة الحجارة، وكانت حياته أحياناً تنتهي بالشهادة التي تشكل أمنية لكثير من الفلسطينيين، وعلى الرغم من وجوب محافظة الإنسان على جسده وقت الحرب، عليه ألا يعطي العدو الفرصة لقتله، إلا أننا نجد بعض الأطفال يعدون صوراً لهم ويكبرونها، حتى يتم تعليقها حال استشهادهم، فقد قدم الفلسطينيون العديد من الشهداء الأطفال، وعلى رأسهم محمد الدرة وإيمان حجو ومحمد أبو خضير وعلي دوابشة وغيرهم الكثير.

كان شقير حريصاً أن يجعل أبطاله من الأطفال أو يزوج بهم في تجربة المقاومة والاستشهاد أطفالاً شهداء، فهم مشغولون بوعي قضية فلسطين وبدورهم في التحرير، ولقد وصف شقير كيفية استشهاد الطفل في قصة الطفل الشهيد ينام في سلام، "لا متاريس من حوله ولا حجارة يلقيها على الجنود، ولا حظ له الآن في تلقي وابل من رصاصهم فقد جاءت رصاصة واحدة، واكتفى بها، مال على الجنب وأسلم الروح".

وهو الآن في قبره من حوله برودة تملأ الفضاء الشحيح، وأمه بعيدة عنه، وسريره بعيد. والأبيض الذي يرتديه لا يقوى على بعث الدفء في الجسد الذابل. والطفل الشهيد ينام، ويحلم أنه تأخر عن المدرسة والتلاميذ الآن يرددون النشيد، والطفل الشهيد ينام في قبره وادعاً¹

لم يسلم الأذى النفسي للحيوانات بعد استشهاد الأطفال الذين كانوا يعتنون بها، كما في صمت النوافذ، حتى الكلب لم يتوقع أن يقتل الجنود الطفل البريء " الجنود جاءوا في الساعة التالية، والكلب أدرك أن شيئاً ما واقع لا محالة، كثر عن أنيابه وتصدى للجنود، الكلب لم يتوقع أنهم سيقتلون الولد بمثل هذه البساطة، فالولد هو حبيب الكلب يزوده بالخبز في ليالي الجوع، قتلوا الولد وجعلوا دمه يتناثر في الطرقات، الآن يسير الكلب في جنازة الولد."²

وقد وردت صورة الطفل الشهيد في قصصه التي لم تكتب أصلاً للطفل كما في مجموعته " (طفوس للمرأة الشقية). ومنها هذا المقطع الذي يصور الطفل الذي صحا من نومه

¹ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 18.

² شقير، محمود، صمت النوافذ، ص 34-35.

في الصباح المغبش، لم يشأ أن يوقظ أمه من نومها الثقيل. ها هو ذا يجلس قربها في السرير، يتأمل وجهها الساكن مثل صفحة الماء. الطفل الذي صحا من نومه مبكراً جاع، مال نحو صدر الأم كي يخرج الثدي من تحت الرداء، غير أن يديه الطفلتين خابتا الطفل الرضيع ارتمى في حضن البكاء. تجمهر في البيوت أناس جاءوا من كل الأنحاء. بكوا في البيت وقتاً، ثم حملوا أم الطفل إلى حيث لا يدري حتى الآن.¹

واللافت للنظر في قصص شقير أن الطفل عنده يستشهد فجأة، فهو لم يعرف المقاومة الفعلية أو الانضمام للأحزاب السياسية، ففي قصة (أم)

"فوجئت بالحشد يقترب من بيتها والأولاد يصيحون: قتله الجنود، قتله الجنود. كان الشهيد هو ابنها الذي سيبلغ الحادية عشرة بعد خمسة أيام."²

يصور شقير في قصص استشهد الأطفال الجانب المشرق والأمل بالمستقبل والشعور بالحياة وجانب الأمل والمستقبل يكون حافظاً في مخيلة الطفل إلا أنه ينقطع بفعل الاحتلال، يقول: "يخرج في الصباح الندى بعد أن طبعت أمه على جبينه قبله، يلمح على نحو خاطف: البيوت والأشجار والناس وشعر البنات المنسدل على الأكتاف، يشعر بالدهشة، فكأنه يرى كل شيء في هذه الحياة للوهلة الأولى، ثم يقترب من موقع المجابهة، حيث الجنود الطغاة: يخرج في الصباح الندى ذلك الولد الفلسطيني الذي لا يعرفه هذا العالم يخرج ولا يعود"³

أبرز الكاتب الجانب العاطفي والإنساني، في قصة إسماعيل؛ فالأم لم تعرف بموت ولدها إسماعيل ولم تصدق أنه قد مات ولن يرجع.

" وكلما أتتها فتاة لتقول لها متوسله:

– من أجل روح إسماعيل.. أعطيني الدلو، كانت تصيح في نزع:

– امشي. انقلعي. إسماعيل لم يموت"⁴

1 شقير، محمود، طقوس للمرأة الشقية، ص 36.

2 شقير، محمود، صمت النوافذ، ص 101.

3 المصدر السابق، ص 11.

4 شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 123.

كان الطفلُ حاضراً بقوة في قصص شقير، وكان دوره إيجابياً في معظم الأحيان، ولكننا نراه أحياناً أخرى في صورة معاكسه، فإسماعيل في قصة "متى يعود إسماعيل" كان يائساً عندما رأى الجنود، ولم يحاول المقاومة أو التصدي للجنود بل تسلق الشجيرة عندما رأهم، وكانت النتيجة أن مات تحتها برصاصة اخترقت جسده، "أمسك الشجرة بكلتا يديه، واهتزت أغصانها في وهن وحاول إسماعيل أن يتسلقها، ولكنها مالت في رخاوة حتى كادت تنقصف، أزت رصاصة من فوق رأسه، تعلق بالشجيرة في يأس، انقصف غصن وهوى إسماعيل إلى الأرض، وانغرزت رصاصة في كتفه، وسال تحت الشجيرة"¹

إنَّ استشهاد الطفل ينعكس على أهله وبخاصة الأم "تغلق الأبواب، تغلق النوافذ، تعد شاي المساء وقلبها يشتعل، ففي مثل هذه الساعة كان ابنها الحبيب يعود مرهقا من عمله في المصنع البعيد تعد الشاي كالعادة على أمل أن يعود، فمنذ أن قتلوه قبل مائة وأربعة عشر يوماً وهي لا تكل عن انتظاره كل مساء"²

"يصحو الطفل المكرس للشقاء قبل الأوان، يحبو في أرجاء الغرفة الفقيرة، والطفل يحبو مقترباً من فراش الأب، يحتفل الطفل الذي صحا قبل الأوان، يبكي، تنهض الأم، تهدد الطفل الذي لا ينام، تضع "اللهاية" في فمه، ثم يأتي جنود الأعداء، يقتحمون البيت دون هواده، يركلون الزوج وهو يعترضهم عند الباب، يجرون الزوجة من شعرها وهي تصد الأيدي الشرسة التي انهالت على الزوج من كل الأنحاء، الطفل الذي صحا قبل الأوان، لم يجد من حوله شيئاً يقذفه نحو الأعداء تلفت في كل اتجاه ثم انتبه إلى اللهاية التي في فمه، شد عليها بين أصابعه، رفع ذراعه إلى أقصى ما في وسعه، ثم طوح باللهاية فوق الفضاء الممتد بينه وبين الأعداء، فلم تصب أحداً منهم، لكنهم خرجوا، ولهاية الطفل تطفو الآن فوق الدماء"³

يصور شقير عمل الأطفال ووظيفتهم أيام الانتفاضة، ويصف سلوكهم في المظاهرات ومواجهة الأعداء، فقد كان الأطفال يضعون الأقنعة على وجوههم أو يقومون بتغطيتها بالكوفية؛

¹ المصدر السابق، ص122.

² شقير، محمود، صمت النوافذ، ص7.

³ نفسه، ص16.

مخافة أن ينكشف أمرهم غير أن هذا الطفل كان يأمل الشهادة، ليعود إلى البيت شهيداً، يعود الفتى المثلث إلى البيت محمولا على أكتاف الأصدقاء، يمتزج دمه بخيوط المطر النازل مدراراً من السماء، تتبلل كوفيته وقميصه والحذاء¹

وكذلك في قصة "الولد الفلسطيني" يمازج شقير بين قصص الأطفال وقصص الكبار، وما يبرز اهتمامات الصغار من منظور الكبار، فالطفلان اللذان يحتلان عمق الحدث القصصي؛ الطفل الذي يروي القصة، والطفل علي عفانة يرسمان للعدو صورة تتضح معالمها أكثر فأكثر في ذهني الطفلين، فهما يناضلان ضد العدو وبطريقتهما إذ يرفضان الاعتراف بأن لهذا العدو القاسي القلب أولاداً، ثم يقذفانه بالحجارة، مما يؤدي إلى استشهاد الطفل الصغير علي عفانة.² ومهما يكن من أثر عليه فإنّ الطفل كان حاضراً في القصة الفلسطينية، فالشهادة كانت حاضرة في مخيلته، فالشهادة عنده تدخله الجنة، فالمنظور الديني هو الذي حمل الطفل على المواجهة، والمنطلق الفكري العقدي الإسلامي هو الدافع للطفل لمجابهة الاحتلال كي يدخل الجنة.

2- منظور الطفل للوطن.

يتسع مفهوم الوطن في أدب الطفل الفلسطيني ليمتد إلى فضاءات رحبة، وذلك راجع إلى مكانة فلسطين، جغرافيا ودينيا وتاريخيا؛ فالوطن في الأدب الفلسطيني هو مزيج من كل تلك المكونات³

يرى شقير أن الكتابة جزء من مهمة الدفاع عن الوطن، فهو يقول عند عودته إلى الوطن: "حينما سألني الصحافيون على الجسر: ما الذي ستفعله بعد العودة؟ أحببتهم كما لو أنني أضع على نفسي شرطاً مسبقاً: سأكتب وأكتب وأكتب...كنت أحاول - ولو عن طريق نثر

¹ شقير، محمود، مرور خاطف، 19.

² شقير، محمود، الولد الفلسطيني: ص72.

³ يُنظر الرجوب، إياد، أدب الأطفال في فلسطين. فنونه واتجاهاته، ص103.

الوعد - تعديل التوازن المفقود بين رغبتني في الكتابة وانهماكي في العمل السياسي المباشر الذي جرّته عليّ هزيمة حزيران¹.

كان حاتم في قصة "قالت مريم... قال الفتى" يرى الوطن وهو في المنفى، وردة جورية حمراء، يريد أن يتنفس عبيرها بحرية كاملة، ولكن ما وجده غير ذلك، فالأغراب ما زالوا مسيطرين على المدن والقرى والمخيمات، "تذكرّ المنفى بكل ما فيه من تفاصيل، كان يشعر وهو هناك أنه يحيا حياة مؤقتة، وقد عزز فيه هذا الإحساس أمه وأبوه والعمّات والأعمام الذين لا يجلسون في سهرة إلا وسيرة الوطن على ألسنتهم أجمعين، كان يعدّ نفسه لعودة قد تأتي بعد سنة أو بعد سنين، وكان يقرأ كل شيء يقع تحت عينيه عن الوطن، ثم ها هو فجأة يعود على نحو لم يتوقعه من قبل، كانت الصورة النموذجية المكرسة في الأذهان هي أن العودة ستكون عودة إلى وطن حرّ غير مكبل بالقيود، لكنّه يعود والآخرين ما زالوا مهيمنين على نقاط الحدود، يدققون في هوية كل قادم، وها هم يرابطون عند أطراف كل مدينة من المدن التي طالما سمع عنها، وتمنى السير في شوارعها وأزقتها؛ ليقارن بين ما قرأه عنها وما يراه بأب عينيه. مشى دون انتباه وهو غارق في تصوراتّه. ولم ينتبه إلا وهو واقف وجهاً لوجه أمام حاجز للجنود، قال لهم: إنه يمارس رياضة المشي ولا شيء آخر سواه لم يكن يملك هوية تحدد شخصيته، فلم يصدقوا أنّه ما زال فتى صغيراً. بقي محجوزاً لديهم عدة ساعات، ولم يتركوه"²

لقد وجد كتاب القصة لزاماً عليهم - بما أن قصصهم مستوحاة من الواقع - تسليط الضوء على أبناء المستقبل، والتركيز على الطفل الفلسطيني والإكثار من الإشارة إلى دوره في معركة البقاء في وجه الأعداء عن طريق ترجمة حياته بجوانبها المختلفة النفسية والسلوكية والتربوية"³ والناظر في قصص شقير المقدمة للطفل يلاحظ تأثر الطفل بالأوضاع الاجتماعية والسياسية، وتفيد بأن الطفل الفلسطيني قد كبر بفعل الاحتلال قبل أطفال العالم الآخرين، الأمر

¹ شقير، محمود، ظلّ آخر للمدينة، دار القدس للنشر والتوزيع، القدس، ط1، 1998، ص9.

² شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص22.

³ ينظر، خليل، إبراهيم، القصة القصيرة في الأردن، رابطته الكتاب الأردنيين، ط1، عمان، 1994: ص60.

الذي شكل تربية وطنية خاصة، وأحدث تحولات سلوكية في وعي الطفل. "كنت أقف على قمة الجبل، وأمامي على مدّ النظر: جبال فلسطين أنظر نحوها وأراها كتلة واحدة ممتدة، أفضى وقتاً غير قليل وأنا أتخيّل أهلَ بلادي الذين يعيشون على قمم هذه الجبال وسفوحها"¹

يظهر في قصة "أنا وجمانة" ما آل إليه الفلسطيني من تشرد إلى بلدان عربية وغيرها؛ بسبب الاحتلال، فالأسرة التي كانت تقيم تحت سقف واحد، انشطرت قسمين وتناقلت بين المنافي" وهذا ما حصل مع جمانه في قصة أنا وجمانه، وحينما ولدتُ في المنفى لم أظفر بمكان واحد أستقرُّ فيه، تنتقل أبي من بلد إلى آخر، وكنت مضطراً للتنقل معه، أرحل إلى حيث يرحل، وأقيم حيث يقيم، احتملت التنقل والرحيل ومللته في الوقت نفسه، ولم أشعر بارتياح حتى عدت مع أبي وأمي وأختي إلى الوطن"²

"جاء قبل أشهر قليلة من عمان قال لمريم إنه لم يولد في فلسطين لكنه يعرفها، أو هذا ما يعتقده على أية حال."³

والطفل الجزائري مصطفى بطل القصة يفكر في تخليص كنعان من الاحتلال بمواصلة التفكير في طرد المحتل ليل نهار، ولكن نصيحته كانت أن يواصل كنعان النضال في أرضه، وربما هذه إشارة إلى الأجيال القادمة - أطفال المستقبل - بضرورة الاعتماد على الداخل وليس الخارج، لأن الخارج لم يفعل شيئاً للفلسطينيين منذ النكبة، وترى الباحثة أن شقير اختار الاسم "كنعان"، دلالة على التجذر في هذه الأرض التي يطلق عليها أرض كنعان.

"قال لي:

- عليك أن تواصل الصمود في وطنك، ولا تيأس، ولن يطول الوقت حتى تسمع أخبار المسحوق السحري."⁴

واصلتُ الصمودَ دون يأس، وواصلتُ أختي جمانة الصمود، كانت تخبرني بين الحين والآخر أنها ما زالت مُصممةً على الالتحاق بالمقاومة، تماماً مثلما فعلت جميلة بوحيرد."⁵

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص18.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص6.

³ شقير، محمود، كلام مريم، ص26، وينظر ص 28.

⁴ المصدر السابق، 129.

⁵ نفسه، ص68.

وقف شقير في قصة "أنا وجمانة" و"الولد الفلسطيني"، ليتذكر الماضي البطولي للطفل، ومن خلالهما نقف أمام الطفل المقاوم الراض للخضوع والذل والاحتلال، وهذا الرفض قد يقوده إلى التضحية بالنفس دون أن يظهر خوفاً أو تراجعاً، كما فعلت جمانة في قصة أنا وجمانة " قالت جمانة: سوف ألتحق بالمقاومة، وبعد ذلك يلقي الأعداء القبض عليّ، يقتادونني إلى السجن، يعرضونني لأبشع أنواع التعذيب، يقصون جديتي، يحرقون نهديّ بأعقاب سجنائهم. تحسستُ صدرها ولم يكن لها نهدان آنذاك، قالت: حينما أكبر سيكون لي نهدان. "مساء أمس نبت نهداها" قالت: احتملُ التعذيبَ بشجاعة، ولن أدلي بأية اعترافات تُلحقُ الضررَ بالمقاومة، يتطوعُ للدفاع عني عددٌ من المحامين المشهورين، أعيشُ في ظلام السجن عدة سنوات. تظفر بلادي بالاستقلال وأظفرُ أنا بالحرية. أغادرُ السجنَ لأتزوج من أحد المحامين الذين دافعوا عني، تماماً مثلما فعلت جميلة بو حيرد.¹

كما أنّ الكاتب أبرز الجانب العاطفي في مجموعة الولد الفلسطيني، فتوقف عند جمال الزين الذي أطاحت به رصاصة أودت بحياته أمام الناس.
"نحن نكره الأعداء والجواسيس.

وصاح جمال الزين:

- أنا أحب وطني.

ثم حمل الناس الحجارة ورشقوا بها رؤوس الأعداء.

نظر جمال الزين إلى الأطفال والبيوت والجبال العالية والأشجار الخضراء وقال:

- هذا وطني وسوف أدافع عنه.

ثم قذف الأعداء بالحجارة.

أطلق الأعداء النار على جمال الزين وقتلوه فاكتست الأرض بالعشب الأخضر، وصار الوطن

الذي أحبه جمال الزين أكثر بهاء.²

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص17.

² شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص41.

نلاحظ تطور رؤية الكاتب للموضوع الطفولي الفلسطيني، الذي بدأ بحالة التشرد والتشتت مع أهله في بلدان عربية، فأوصلهم إلى البكاء والتحسر على الماضي الفاتت ثم إلى الضياع، في بلاد لم يستطيعوا أن يجدوا فيها الوطن البديل. كما في قصة (الوطن) واجهني فتى من فتيان القبيلة واسمه أبو نر يحمل سلاحه عند أحد المنعطفات وقال: مالي أراك حزيناً يا فتى؟ قلت هبت ريح غريبة على وطني فضاغ. قال: فماذا فعلت؟ قلت: احتميت من الريح بأن وضعت رأسي تحت جناحي. قال فماذا حدث؟ قلت: اقتلعتني الريح. قال: والآن أين تذهب ألا تسمع الرصاص؟ قلت: أمتي تحثني على حفظ نفسي ويجب أن أطيعها. قال: وأين هي أمك يا فتى؟ قلت: أسيرة في وطني المستباح، قال: إذن كيف تخرج تحت وابل الرصاص ما دمت مطيعاً؟ قلت: كرهت الانتظار وأرقتني صوت أمتي.¹

إن علاقة الطفل الفلسطيني بالوطن العربي علاقة وطيدة سواء ولد داخل فلسطين أم خارجها، وهذا يرجع إلى دور التربية الوطنية والتنشئة على حب الوطن ومحاولة الرجوع إليه، فالأطفال الذين ولدوا خارج الوطن نجد عندهم اللفتة للعيش في الوطن، فهم دائمو التفكير فيه مع أهلهم يمتلئ البيت بصخب الأطفال، يقترح عليهم رب البيت أن يسمعونا أغنية ما، يغنون أحلى الأغاني عن الوطن، ثم يتفرقون في أرجاء البيت، نصغي لشريط عليه بضع أغنيات عن الانتفاضة².

ينظر الطفل الفلسطيني بعين الكبار، فهو يرى نفسه مسؤولاً عن قضية وجب عليه تحرير هذه الأرض من الأعراب. "تأملني الفتى باهتمام ثم قال: اتبعني، فسرت خلفه من درب إلى درب، وكنت أزداد ثقة كلما أوغلت في الطريق، كان الرصاص ينهمر كالمطر، وكانت بندقية الفتى تهتز شامخة في الفضاء"³

لقد كان شقير مرشداً للطفل وللبيئة معه، فقد كان "يستشرف ويوجه ويحمل في تضاعيف أدبه إحياءً بما يجب أن تكون عليه المعارك السياسية، فإذا قلبنا هذا الغرض وجدنا أن الأديب يحمل

¹ شقير، محمود، نفسه، ص19.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص 102.

³ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 19.

إرهاصات نبوءة، ويعكس إحساسات جماعية تستطيع السياسة أن تستهدي بها في رسم خطط الحاضر والمستقبل¹.

فالطفل ينظر للمستقبل ولفلسطين المحررة ولو بعد حين، ولكنه يسهم إلى هذا التحرير.

"لماذا كدتُ أقتل في اعتقادكم؟

لم نجب. جلال اللحظة لجم ألسنتنا، فلم نتكن من الكلام.

اكتفينا بهزّ رؤوسنا تأييداً لكلامه، فوصلت إليه الرسالة واضحة، غير أنه ظلّ مصرّاً على

مزيد من التوضيح، قال:

- من أجلكم، ومن أجل هذا الوطن، كدتُ أقتل.²

إن التركيز على الوطن في أدب الطفل يصب في النضال الوطني عند الاطفال

عامة، والتثنية الوطنية عندهم، وهذا ما يقوله شقير نفسه "حاولت في القصص التي كتبتها أن

أجسد مفاهيم جديدة لا بد للطفولة منها، وذلك من خلال محور الهم الوطني المتمثل في تنمية

حب الوطن والالتصاق بترابه الطهور، ورفع مستوى الارتباط به إلى حدّ التضحية الصادقة.³

فالوطن من منظور الطفل الفلسطيني لا يشكل البعد المكاني فقط، بل هو بعد عقدي

وتاريخي وروحي، وهذا الفكر كان لصيقاً بعمل الطفل الفلسطيني في الانتفاضات المتكررة، أثناء

الانتفاضة، وأنا في السابعة من عمري، قمتُ بإلقاء الحجارة على الجنود من مسافة قريبة، كادَ

أحدهم يقتلني برصاصة بندقيته، ولم تُصنبي الرصاصة، مرّت من فوق رأسي، ونجوت من

الموت.⁴ "إن كنعان يقرّ بأن الطفل يصيبه الندم إن لم يقدم شيئاً لوطنه وشعبه، ويشعر بالنقص

أمام ذلك.

¹ طه، صلاح، الكاتبة العكية سميرة عزام، مؤسسة الأسوار، عكا، ط1، 2004، ص 203.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 85.

³ شقير، محمود، مريم وكنعان، ص14.

⁴ شقير، محمود، نفسه، ص13.

"قال كنعان: يا مريم، أنا أشعرُ معكِ، وأعرفُ أنّ الإنسانَ عرضةٌ للضعفِ في بعض الأحيان، بحيثُ يفكرُ بأنَّ ينجحَ تاركاً الآخرينَ من بني قومه لمصيرهم الدامي، لكنّه إن فعلَ ذلك وكتبَ له النجاة، فسوف يُصيبه الندمُ وهو يتابعُ أطفالاً قدّموا أرواحهم فداءً للوطن.¹"

إنّ الطفلَ يريدُ - ومن خلال البراءة- أن يرى كل ما في الوطن وأن يكتشف هذا الوطن الذي سمع عنه ولم يره.

يقول:

"إنه بيتٌ قديم، ما زال محتفظاً بهيبته وجماله حتى اليوم.

و قلت:- زرتُه مرةً واحدةً مع أبي حينما عدنا إلى الوطن، وكلما اقترحتُ على أبي أن نزوره مرةً أخرى أجلّ ذلك إلى وقتٍ آخر.²

وجمال فلسطين كان حاضراً في ذهن الطفل، فهو يباهي بها البلدان الأخرى وبخاصة القدس. نظرتُ من نافذة الغرفة وقلت: ما أجملَ القدسَ في ساعات المساء.³

في قصة "أحلام الفتى النحيل" استطاع الكاتب أن ينقلَ عالمَ الطفل إلى الماضي، وأن يطلعه على أحداثٍ سقوطها واحتلالها، وفيها تلتقي بالطفل الذي أراد أن يزور بيت جده، وكان له الدور في الدفاع ولو فكراً عن بيت جده، وهنا يمتزج عالم الكبار مع عالم الصغار في الدفاع عن الأرض في ظل موازين القوى المختلة، فالطفل مندهش مما يشاهده، من أن الفتاة الإسرائيلية تدخل بيت جده وتسكن فيه، وهو لا يستطيع الدخول إليه، أو أن يرى ما بداخله.

قالت بصوت مسموع للمرة الأولى:

- إلى أين تذهبُ؟ أشارت: إلى البيت.

- هذا بيتُ جدي، جنّتُ لزيارته. قالت البنت:

- هذا بيتنا، وأنا أسكنُ فيه مع أمي وأبي.

- إنه بيتُ جدّي.

¹ شقير، محمود، مريم وكنعان، ص 14.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 58.

³ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 51.

وأضفت ساخرًا:

-هل تعتقدين أن أباك ربحه في اليانصيب.¹

يريد الطفل استرداد وطنه بكل الطرق والوسائل المشروعة له، مثل: الحجارة والمسحوق السحري والحوار، فقد جعل الكاتب الحوار في قصة " أنا وجمانة " بين طفلين فلسطيني وإسرائيلي، حول حقيقة من كان في البيت الذي طُردَ منه جد كنعان.

إن فلسطين ترى في هذا الطفل وفي هذه الأجيال الناشئة طريقاً للتحرر والخلاص، فقد جسدها في إنسان ينتظر الخلاص، الوطن ينتظر الخلاص، وأنا أيضاً أنتظر، أنتظر الخلاص الذي سيأتي على يدي مصطفى.²

لقد استطاع الكاتب أن ينقل الأطفال إلى جوّ المعركة، وأن يسمعهم أحاديث الآباء عما حصل، كذلك وما هو مطلوب منهم في المستقبل، من خلال تحليلاتهم للوضع العسكري الذي يحيط بهم، جاء ذلك على لسان مريم في محاورتها لكنعان؛ تقول مريم:

"هل تعلم يا كنعان؟ أنا أشفقُ عليها؛ لأنها دائماً القلق على أولادها الأربعة، وهي تخشى عليهم من قذائف الأعداء التي تقتربُ من بيتها كل ليلة. ومع ذلك فإنني أعجبُ بصمودها رغم كل هذا الخطر وهذه المعاناة. قال كنعان: ليست وحدها هي الصامدة. كل الفلسطينيين هنا صامدون رغم القتل والخراب. وأنا وأنت يا مريم صامدان."³

لم يغفل شقير الجانب الطفولي والإنساني عند الطفل الفلسطيني، فهو يفكر في ترحيل هادئ وغير مزعج وآمن في الوقت نفسه للإسرائيليين، يقول كنعان: "ظلتُ مسألة ترحيل الإسرائيليين إلى أوغندا تحيرني وتثير البلبلة في نفسي. خشيتُ أن يتسبب، خطأ بسيط، يرتكبه مصطفى أثناء ترحيله لهم، في مأساة، لم يهدأ علي بل شعرتُ بالقلق. سارعتُ إلى كتابة رسالة إلى مصطفى عبر البريد الإلكتروني."⁴

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 61.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 6، وينظر، صمت النوافذ، ص 102.

³ شقير، محمود، مريم وكنعان، ص 10.

⁴ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 39.

نصرّح ونقول:- إنَّ الطفل الفلسطيني يختلف عن أطفال العالم، فهو كلام صحيح، وقد صاغ هذه الفكرة محمود شقير في كثير من قصصه، فقد كان الطفل يناقش ويجادل ويحاوّر في الأمور السياسية المتعلقة بالوطن وله وجهة نظر فيها.

"أنت واحد أو سلوى! لم تفهم ما معنى هذا الكلام، مع ذلك وسعت ابتسامتها حتى أصبحت ضحكة. أدرك كنعان أنها لم تدرك المقصود. قال:

- يعني من أنصار اتفاق أوسلو

سألها:

هل تعرفين أين تقع أوسلو؟-أظن أنها في أوروبا.

- هي عاصمه النرويج، التقى فلسطينيون وإسرائيليون فيها، تفاوضوا سراً واتفقوا على

حل.

سألته: -هل نفذوا الحل؟¹ إنَّ الذاكرة الفلسطينية أسهمت إسهاماً واضحاً في تثقيف الناشئة وتنشئتهم على حب الوطن، وهذا ما زرعه كثير من الآباء في أبنائهم، فالتربية الأسرية من أهم مقومات الجانب الوطني؛ فلولا حكايات جد كنعان عن الوطن وجماله ومكانته في نفسه، لما تعلق به كنعان ولما نشأت عنده هذه النزعة الوطنية، يقول كنعان: "ولولا القمص التي حكاها لي جدي _الذي مات في المنفى منذ أشهر_ لتعرض حلمي إلى انكسار"² يحاول الطفل أن يفعل ما عجز عنه الكبار، يتمثل ذلك في عدة قضايا منها: لمّ شتات أبناء الوطن أو جمع أطفال القدس مع نظراتهم من بقية المدن الأخرى. "قال كنعان: التقينا مرة ثانية. وصرنا نتحدث في موضوعات شخصية وتبادل المزاح، كان واضحاً أننا أبناء شعب واحد ولا يمكن لأحد أن يفرق بيننا"³.

الطفل الفلسطيني يتوق إلى النجاح والنصر ويفرح لأبسط الأمور، فهو محروم من الفرح؛ فالنصر في كرة القدم للمنتخب الفلسطيني، رافقه فرحة كبيرة، ولعل كلمة النصر هنا لها

1 شقير، محمود، كلام مريم، ص39.

2 شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص14.

3 شقير، محمود، كلام مريم، ص54.

دلالاتها، وخاصة أنه ربطها في العبارة الأخيرة بكلمة الوطن. "وراح يُصفق بيديه بلهفه وابتهاج قال:

انتصرنا، أخيرا انتصرنا... وغادرتُ البيتُ مسرعاً، لكي أرف الخبيرَ إلى حاتم وجريس، فوجدتهما يُعبران عن فرحتهما في الشارع. انطلقنا نجوبُ شوارع المدينة، تعمرُ صدورنا نشوة الظفر، وانطلقت من شرفات المنازل زغاريدُ النساء. أطلق سائقو السيارات أبواق سياراتهم على نحو مقصودة، وهتفنا تلك الليلة لمنتخبنا الوطني. هتفنا كذلك للوطن.¹

يرى الطفل كما صورته قصص شقير أن تحرير الوطن يكون بالإرادة والجماعة وليس الفرقة، فلاحظ ذلك من خلال الكلمات والعبارات التي توحى بذلك، مثل كلمات: مثلاً متلاصقين، يتلاحم، بقينا متلاصقين، نقبض على أيدي بعضنا بتلاحم وانسجام، ونحتمل عتمه المساء وبرد الشتاء، لأننا كما قالت جمانة راغبون في التعبير عن مشاعرنا، وفي تزيين الشارع هو جزءٌ من مدينتنا، مدينتنا التي هي جزءٌ من وطننا، وطننا الذي هو جزءٌ من العالم². فالوطن في منظور الطفل هو الأمان والاستقرار الذي يسعى إليه ويبحث عنه، الوطن هو الذي لا يمل من أهله الوطن الذي يمنح أهله الحب والحنان والدفء، كما هو الأمر في قصة (أحلام الفتى النحيل) "تعلقُ أنا ونادية باستماع على بعض المشاهد التي نراها من حولنا وهواء المدينة، يهبُ علينا بخفة ولا يفارقنا كأنه أخونا الصغير، والمدينة لا تتدمرُ من كثرة تجوالنا في شوارعها، كأنها أمنا التي تمنحنا الحب والحنان"³

تحاول مثل هذه القصص تقديم مفهوم الوطن بمعناه العام والخاص، وتحاول هذه النصوص تقديم هذا المفهوم بأسلوب بسيط قادر على الوصول لمستويات إدراكهم الغضة من خلال الماديات والمحسوسات " فالوطن لدى الطفل يتحدد بشكل أساسي فيما يقع تحت حواسه"⁴. نلاحظ ذلك بوضوح عند الأم التي حاولت تبسيط مفهوم الوطن لابنها جمال الزين، عندما سألتها عن مفهوم الوطن فنظرت إليه مبتسمة، ثم قادتته إلى شرفة البيت وقالت له: انظر إلى هذه

1 شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 64.

2 المصدر السابق، ص 86.

3 شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 37.

4 المصلح احمد، أدب الاطفال في الاردن، ص 48.

الساحات والبيوت وإلى تلك السهول والجبال والأشجار، هل تراها؟ قال: نعم؛ قالت: هذا هو الوطن¹. وهذا يعني أن مفهوم الوطن عند الطفل لا يتعدى حدود واقعه المحسوس الذي يعيش فيه ويحياه، فتحاول الأم غرس المفهوم العام للوطن في ذهن طفلها من خلال ما يحيط به ويراه من معالم جغرافية وطبيعية وسكنية، فهذه العناصر أقرب إلى ذهن الطفل مما لو ذهبت الأم في تعريف الوطن لطفلها تعريفاً سياسياً أو فلسفياً أو معنوياً².

3- منظور الطفل للأرض

إن الصراع على المكان - الأرض - فلسطين، هو صراع قديم، وما هؤلاء الشهداء الذين يذهبون إلى ربهم طائعين إلا بسبب هذه الأرض التي كانت وما زالت تشكل بعداً أدبياً ووطنياً ودينياً عند الفلسطينيين، فالنظرة لها لا تعد وطناً فحسب، بل هي الأمان والاستقرار ومصادر الرزق، وأرض الرباط، ومما زاد الأمر تعلقاً بها، هو ما حصل لأهلها منذ 1948 وحتى الآن من تهجير واقتلاع وتشتت، فهذا الأمر جعلها في مرتبة القداسة، فلو لم تكن فلسطين محتلة، ربما لا ننظر إليها بهذه النظرة.

ولذلك تتبع قيمة الأرض من كونها مصدراً أساسياً من مصادر رزق الإنسان، وتتعرز العلاقة بين الإنسان وأرضه حين تتعرض للمصادرة والضياع، والأرض في الأدب الفلسطيني من أهم الموضوعات التي ركزَ عليها الكتاب عامة، وأضفوا عليها من السمات ما جعلها في مرتبة الإنسان، وما كل ذلك إلا لأن الصراع الذي عليها يقوم على مصادرة أراضيهم وطردهم منها، وساعد على إضفاء هذه الصفات التي تصل أحياناً إلى درجة التقديس - حياة البؤس والذل التي عاشها الفلسطينيون في المنفى³.

إن الطفل الفلسطيني كان ينظر لأرضه نظرة خاصة، سواء أكان يعيش عليها أم في المنافي، ولعل الذي عاش في المنافي شكلت عنده حملاً جميلاً يسعى إلى تحقيقه، وهذا واضح

¹ شقير، محمود، الجندي واللعبة، ص 67.

² ينظر الرجوب، إياد، أدب الأطفال في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2012 ص 104 وينظر في الانتصار الرمزي ما حصل مع ديفيد وكنعان في لعبة شد الحبل، في قصته "قال قالت مريم... وقال الفتى ص 37.

³ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967_1981، ط 1993، ص 80.

في كلام كنعان في قصة قالت مريم.... قال الفتى "كانت قريتي التي لم أعش فيها لحظة قد أمحت من الوجود قبل أن أولد بسنوات، وقفنا في المكان الذي كانت تنهض فوقه البيوت والطوابين وحظائر الأغنام، أخرج أبي من جيبه الصورة التي طالما رأيتها بين يديه ونحن في البلد البعيد، كانت صورة بيتنا الذي بناه جدي، تظهر وسط مجموعة من أشجار التين والزيتون والعنب، تأملت الصورة من جديد، ثم حدقت في المكان الذي أفف فيه، كانوا قد حولوا الموقع كله إلى حدائق، تكثر فيها الورود ونباتات الزينة والأشجار والطرقات."¹

إنَّ الهم الدائم للفلسطينيين هو الصراع على الأرض، بحيث نجد أن أكثر القاصين الفلسطينيين قد تنبهوا إلى هذا الخطر الداهم ووسائله وأهدافه، والمتمثل في سيطرة الاحتلال على أراضيهم استيطانهم عليها، وبالتالي فقد كرس كثير من القاصين أهمية خاصة لضرورة أخذ الحيطة والحذر، وفضح هذه الأساليب والصمود في وجه الاحتلال من خلال المقاومة الواعية، وقد ظهر ذلك جلياً في دراسة احمد حرب "قصص قصيرة من الوطن المحتل" إذ وجد أن جميع القصص التي تناولها تلتقي حول هدف واحد، وهو حب الفلسطيني لأرضه وتمسكه بها في ظل انتشار الاستيطان وخطر المصادرة"².

يظهر عند الطفل الهم الجمعي على الأرض، إذ يتساوى فيه الأطفال مع الكبار، وهذا ما جاء على لسان كنعان الذي يلتحق أخوه بالمقاومة يخاف الأب على بيته من الهدم، إذا اشتبك أخو كنعان مع الاحتلال؛ لأنه لن ينسى الأرض وتحريرها - كما جاء على لسانه- هو الصدام المزلزل معهم، يقول كنعان.

"ولن ينسى الأرض، ولا بدّ من صدام مزلزل مع الأعداء،.... ويضع يده على قلبه، ويظلّ خائفاً على أخي وعليّ أنا أيضاً، يظلّ خائفاً على البيت، سمعته يهمس في أذن أمّي: سيهدمون بيتنا إن اشتبك ابنك معهم."³

وتشكّل فلسطين جنة للطفل العائد من المنفى، يقول شقير على لسانه: "اقتربت من شجرة صبار، هي وبضع شجرات أخريات، كل ما تبقى من قرية الآباء والأجداد، شعرت بألفة غامرة

¹ شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص14.

² ينظر، حرب، أحمد، قصص قصيرة من الوطن المحتل، الفجر الأدبي، عدد23، 1982: ص88_102.

³ شقير، محمود، كلام مريم، ص85.

نحوها كانت ممعنة في الصمت، كما لو أن لديها حكاية أخرى تتكتم عليها حتى الآن، ألقيت نظرة على الجبال المجاورة، بدا لي أن ثمة مهمات خافتة متصلة تأتي إليّ من قمم الجبال الراسخة.¹

فكنعان يرى نفسه حصاناً جامحاً؛ لأن أقدامه لامست أرض فلسطين، ركضت في السهل المنبسط مثل حصان جامح، ولم أتوقف إلا حينما سمعت أصواتاً تناديني من بعيد، كان صوت أبي يطغى على الأصوات جميعها: يا كنعان عد.. عد يا كنعان. وكان ينبغي علي أن أعود.² "صرت أكثر من التحديق في خريطة إفريقيا، حتى أن جمانة قالت لي ذات مرة:

– هل أنت مشتاق إلى الجزائر؟

قلت بحذر محسوب:

– أنا أحب الجزائر، ومن حقي أن أشتاق إليها.

– معنى هذا أنك تفكر بالهرب من البلاد.

طمأنتها قائلاً:

– لا لا افكر بذلك أبداً.³

إن الكاتب عمل معلماً في فلسطين، وقد ربي عندهم حب الأرض، والإخلاص والوفاء

لها والتضحية من أجلها، والعمل على بناء مستقبل أفضل للشعب والأرض.⁴

لقد أخذ الطفل الوطنية وحب الأرض من آباءه وأجداده، فهو متمسك بها وباقٍ فيها، يقول كنعان:

"لن أياس ولن أهرب.

تذكرتُ جملةً قالها أبي، فأعدتُ ترديدها:

– إنها بلادنا وعلينا احتمال كل شيء لمواصله الحياة فيها.⁵

والطفل مشارك مع أهله في الاعتصامات التي تشير إلى رفض الاحتلال وممارساته. والنص الآتي يوضح هذه القضية يقول: ذهبت مع أبي إلى الاعتصام. سمعته يقول لأمي إن جرافات

¹ شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص15.

² المصدر السابق، ص16.

³ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص43.

⁴ ينظر عباس، نصر، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1982، ص 465.

⁵ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص44، وينظر قالت مريم قال الفتى، ص12.

الاحتلال اقتحمت أرضنا، وهو سيذهب مع آخرين إلى الاعتصام. استأذنته في الذهاب معه، فأذن لي بالذهاب.¹

كان شقير حريصاً على نقل الصورة للطفل كما هي دون تزييف؛ ففي قصة كلام مريم، نلاحظ أن الأب رغم محاولته دفع الجنود، إلا أنهم أوقعوه أرضاً وهو يدافع عن أرضه، هذا الأمر أمام ناظري الطفل، فكيف سينظر الطفل إلى الاحتلال؟ وكيف سيكون موقفه منه في المستقبل؟ "اقترب ضابط منا وهو يحذرنا من عواقب ما نقوم به، حاول أن يدفع أبي بذراعيه القويتين، صدّه أبي، وتحداه، ثم وقع الصدام، هجم الجنود على أبي وأسقطوه على الأرض، رأيتُ أبي تحت أقدام الجنود، والضابط لا يعيره أيّ انتباه."²

إن الطفل ينظر لفلسطين المكان والزمان والتاريخ، ويحاول إقناع الآخر بحقه فيها، فالحوار بين الأطفال كان حواراً علمياً وبريئاً وطفولياً، بين كنعان وديفيد، ولكنه يشبه حوار الكبار الناضجين، فموقعهم جعلهم بهذه الصورة. "حينما كنا نصعد قمة الجبل، كان ديفيد يقترح أن نجلس للراحة، كان ثمة أشجار وارفة الظلال. أخرج ديفيد من حقيبته الجلدية كتاباً قديماً، راح يقرأ منه فقرات عديدة، قال لنا إنها تتحدث عن الأرض."³

إنَّ الطفل ينظر للأرض وما فيها، ويحاول أن يعرفها بتفاصيلها، فهي أرضه وحقه وملكه، فهو يخجل من إنسان لا يعرف تضاريس فلسطين وأسماء أماكنها، ويلقي عليه باللوم والعتاب. "يجهل تضاريس الجبال والوديان وأسماء الزهور والأعشاب التي تنبت فيها، وقال لي إنه يردّ على رسائله ويتبادل معه الآراء في كل شيء تقريباً، حدّثني عن اقتراح عثمان بالتسلل إلى القدس. ناقشنا الأمر باستفاضة، ثم أدركنا أنه لا بدّ من حلّ حقيقي للوصول إلى المدينة، فهي مدينتنا أولاً وآخرًا."⁴

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص80، وينظر صمت النوافذ، ص24، أنا وجمانة، ص، 56.

² المصدر السابق، ص 80.

³ نفسه، ص 39.

⁴ شقير، محمود، كلام مريم، ص 74.

ومثل هذه القصة نقدم رسالة واضحة مكشوفة من خلال طرح أفكار الجيل الجديد مقابل أفكار الجيل القديم في تعامله مع القضية الفلسطينية فهي تمجد العمل الجماعي الموحد، وهذا ما عبر عنه...

4- منظور الطفل للبيئة الاجتماعية:

عالج الكاتب على لسان الطفل بعض الظواهر الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، وكان يركز عليها بشكل كبير، ولكن دون أن يذكر الحل، بل يترك الحل للقارئ، فقلما نجد قصة خلت من الموضوع الاجتماعي السياسي إذ نرى قصصاً كاملة كرسها للموضوع الاجتماعي، سواءً على صعيد العلاقات الاجتماعية التي تربط بين فئات المجتمع المختلفة أم على صعيد العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، ولسان مريم ينطق بفكر شقير نحو عادات المجتمع وتقاليد، تقول: "قال أخي محاولاً من جديد تأزيم الأمور: هذا المُخرج سبق له أن جاء إلى مدرستا مع فرقته، إنه شخص غير مرغوب فيه، ثم قال: إن الفتيات اللواتي ينخرطن في التمثيل لسن من ذوات الأخلاق الحميدة، ولا يحترمنهن الناس."¹

إن مريم تحاول تغيير واقعها الذي هو واقع كل الفتيات، ولكن عادات المجتمع وتقاليد أقوى، تقول:

"نصحتني أمي قائلة: يا ابنتي، لا تعاندي من هم أقوى منك، وعليك أن تتنازلي عن قناعاتك في الكثير من الأحيان. وقالت: انظري لي أنا، أعيش في هذا البيت قانعة، ولا أحاول خلق المتاعب لأحد، يومها. تألمت لحالة أمي، حاولت أن أغير موقفها، فلم أفلح في الحال."²

إن الأديب يجب أن يكون له تأثير إيجابي في البيئة التي يحيا فيها، فالقاص الموهوب بحسه المرفه، ويقظته الحادة في الشعور بأدق الخلجات التي تسري في المجتمع قادر على أن يقتنص الخفي العميق الكامن في واعية الجمهور³

¹ شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص8، وينظر ص9.

² نفسه، ص47.

³ تيمور، محمود، دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، د.ت. ص205.

إن الفتى النحيل كما وصفه شقير، في قصة "أحلام الفتى النحيل" يحاول رصد العادات والتقاليد ويحاول من خلال الألفاظ المستخدمة كما في قولة "أجبرت على تقاليد يقول: كنت انقطعتُ عنها بعد أن اضطرَّها أهلها إلى ترك المدرسة، ارتدتُ جلياباً وأجبرتُ على البقاء في البيت، ولم تعدُ تظهرُ في الحيِّ إلَّا على فتراتٍ مُتباعدة".¹

ويتكرر المشهد ذاته مع مريم التي حققت معها المديرية والمعلمة بشأن قراءتها للكتاب الذي لا ينبغي لها أن تقرأه حسب تقاليد المجتمع وعاداته، وقد حققت معها مديرة المدرسة أكثر من مرة حول الموضوع ذاته. كانت تتأملني باستياء وهي تخرجنا من الصف لأداء الصلاة، أجرت معي تحقيقاً مطولاً كانت تتخلله أسئلة، تبدو كأنها تكشف عن رغبات دفينية في نفسها.²

حتى ان المعلمين في نظر مريم - وهم مثال للفكر الواعي - يحرضون الطلاب ويعبئونهم بأفكار سيئة ضد الطالبات

تقول مريم: "أقصد معلّمه الذي يملأ رأسه بكلام ضدّ البنات، قال:

- أنتِ مخطئة.

ثم قال وهو ينظر نحوي باستياء:

- أنتِ طويلةُ اللسان.

لم أقل شيئاً، واكتفى أخي بما قال، نهضتُ أمّي لأداء الصلاة.

وبقيت تلك الليلة أتقلبُ في فراشي ساعتين أو أكثر قبل أن أنام.³

إن الطفلة مريم التي لم تتجاوز الثالثة عشر عاماً، تمثل الطفل النموذج الذي يسعى لتطوير فكره وعقله وأسلوبه في الحياة، مع الأهل والمدرسة والآخرين، لذاتبدو هذه الدرجة من المكاشفة والصراحة والجرأة من مريم غير منسجمة مع الواقع الاجتماعي الذي انطلقت منه؛ إذ يقتضي نمطاً مغايراً لذلك، فما زال المجتمع الفلسطيني محافظاً، ويتعامل مع هذه الأمور بحساسية مفرطة ويعدّها من الأمور التي تتصل بالشرف، وربما وصلت إلى حالات القتل، فهل

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص76 وينظر ص 77.

² شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص45.

³ شقير، محمود، كلام مريم، ص6.

تتصور مريم في ملابس السباحة في البحر، يقول كنعان: "بعد تردد، نزلت سبع منهن في الماء، وهن في كامل ملابسهن، رحت أراقب مريم التي ظلت واقفة على الشاطئ، وهي مضطربة، ثم اتجهت إلى غرفة لتبديل الملابس، ظهرت. بعد دقائق، في ملابس السباحة، فرحت لهذا الظهور البهيّ الجريء، ألقت جسدها في الماء، سبحت على ظهرها بحذر، كنت أبتعد عنها ثم أعود إليها كي لا تتعرض لمكروه."¹

يتصرف الطفل، وبخاصة البنت، بشيء من الحذر أمام المجتمع، فكل حركة في مجتمعنا ربما تحاسب عليها البنت، وهذا لا يكون للولد، فهناك قضايا مسموح للولد أن يمارسها ولكنها ممنوعة على البنت وهناك بعض القضايا تحاسب عليها البنت، وربما يكافأ عليها الولد. يقول كنعان أقول لها، مستفيداً من أفكار كاتبي المفضل:

" هذا فطيع، هل هذا معقول؟

تصمت، تعبت بشعرها، وتقول:

- سأجتنب الوقوع في أية مشكلة حتى لا يخرجوني من المدرسة."²

ينظر الطفل إلى العادات والتقاليد بنوع من الخوف.

"هل تذهبين معي إلى القدس غداً؟

- أرغب في الذهاب معك، لكن أبي لن يوافق³، ومصدر هذا الخوف هو سلوك المجتمع ونظراته

إلى تصرفات الأطفال، ربما لأن المجتمع يريد للطفل أن يكون سوياً"

تقف مريم ومن خلفها الكاتب، الذي تنطق بلسانه وتبنى طروحاته في موضوع تحرر

المرأة وإعطائها حقوقها في الحياة، وقد ظهر ذلك من خلال التعاطف الذي منحه الكاتب للفتاة

التي سبحت في ملابس البحر أمام الأولاد الذكور، وهو تعاطف مطلق مع إظهار التسامح التام

معها؛ إذ جعل أمها تسمح لها بشراء ملابس البحر، وتبدو القصة متشابهة مع قصة مريم وموقعها

من التمثيل في المسرح، جاء على لسان مريم:

¹ نفسه، ص 59.

² نفسه، ص 42.

³ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 81.

"حاولت أن أفهم لماذا يمنعني أبي من الاستمرار في التمثيل مع الفرقة المسرحية، حاول التملص بإجابات غير مقنعة، ثم قال إنه حريص على مستقبل أخي، فإذا لم يأخذ رغبته بعين الاعتبار، خصوصاً حينما يتعلق الأمر بموقفه مني، فقد يتعرض لأذى نفسي، أو يقدم على فعلٍ جامح يعرضه ويعرضنا جميعاً لخطر لا يعلم مداه إلا الله، لم أقتنع بكل هذه التبريرات، وقلت: لن أتوقف عن محاوره أبي إلى أن يفتنع بصحة موقفه، أو يقنعني بصحة موقفه".¹

وهذا هو المطلوب من الطفل كما يريد شقير، الإصرار على موقفه والدفاع عنه ولكن بالعقل والهدوء والالتزان والحوار.

ومن العادات التي ركز عليها الطفل ومن خلفه شقير، قصة الانتماء للوطن من خلال غرس بعض العادات الاجتماعية الحسنة مثل التعاون كما في قصة "سامر يخدم الحي"، "ولم يشكَّ أحدٌ في سامر وزملائه؛ لأنهم معروفون بين أهل الحي بمحافظتهم على النظافة وحُبهم للآخرين".²

إنَّ الكاتب يختفي وراء شخصية الطفل، ويحملهُ أفكاره وقناعاته وهي سمة فنية فيها تتطابق شخصية السارد مع الشخصية.

يرجع الطفل بذاكرته إلى سنوات خلت، يوم كان الطالب يرتدي الربطة في المدرسة، ولعل الفتى النحيل هنا هو الكاتب محمود شقير - فالطفل يتذكر - ببراءة الطفولة أسباب الشجار وكيفيته، ولكنه لم يبد موقفاً منه، بل على العكس، فقد وصف هؤلاء المتعاركين بالجنود، "وكنا نتشاجرُ بعد أن يبتعدَ عنا المعلمُ، كانت الربطاتُ التي على أعناقنا تجعلُ للمشاجرات نتائجَ حاسمة، إذ يمكنُ خداعُ الخصم والقبضُ على الربطة وسحبها بشدةً لكي تضيقَ على عنقه فتلحقَ به هزيمةٌ نكراء، وكنا نتفرَّق بعدَ كلِّ شجار، ونمشي مثلَ جنود عائدين إلى بيوتهم".³

نلاحظ أن الطفل يتعرف ببراءة وعفوية في نظرته للمستشفى والأطباء، فكل الأطفال يخافون من المستشفيات.

¹ شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص 47.

² شقير، محمود، الحاجز، ص 46.

³ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 19.

يعالج شقير إشكالية الطبقات الاجتماعية عند الطفل ، فنراه لا يعرف كيف يتصرف وبخاصة إذا انتقل من بيئة إلى أخرى، أو من طبقة فقيرة إلى أخرى غنية؛"سألته: هل أرتدي قميصي وبنطالي حينما أخرجُ للسلام على والدك؟ قالت: عليك أن تبقى في البيجامة. أضافت: أنا سأبقى في البيجامة. آه، البيجامة ذات اللون الليلي".¹

كما ينظر إلى الأمور بمنظور الفقر والأسى والحزن ويرى مدنه وقراه وفلسطين على أنها أجمل البلاد، يقول الفتى النحيل: "مهند، كيف هي مدينتي؟ قلت وأنا أفتحُ ذراعيَّ على وسعهما: - كبيرة جداً، أكبر من قرينتنا يا عزيزة. أضفتُ وهي تأكلُ الحلوى وتستمعُ إلي: - دخلتُ أنا وأبي من بوابة كبيرة، ونزلنا درجاً طويلاً، ومشينا في سوقٍ مسقوفة، وفي السقف فتحاتٌ تدخلُ منها الشمس. وقلت: - المدينة مليئةٌ بالحلوى وبالألعباب وبكلِّ شيء".²

يصف الطفل ببراءته الأشياء الصغيرة ويلحظها بدقة، ولكنه لم يعرف التمتع بحياته الاجتماعية، فالاحتلال خلق نوعاً من عدم التوازن الاجتماعي، وانعكس ذلك على الطبيعة الاجتماعية للأطفال الفلسطينيين، كما يقول أحمد حرب. "إن تأثير الاحتلال لا يقتصر على المظاهر العسكرية كالسجن والعقاب الجماعي، بل إنه كذلك يهز البنية الاجتماعية للسكان ويخلق ظروفاً اجتماعية ونفسية معقدة جديرة بالاهتمام من جانب كتابنا"³

يقول الواقع الاجتماعي إن الطفل بحاجة إلى والده، ولكن الصورة هنا معكوسة أو غير مكتمله، عندما تهتز صورة الأب المرسومة في ذهن الطفل عن والده، وفجأة تتغير هذه الصورة كما في قصة أهل البلد.

"وحدق فيها... وحاول جاهاً أن يفهم معنى دموعها، ولكنها لم توصله إلى قرار، وبكى وكأنه طفل.. وانتبه الأطفال إلى والدهم ينتحب، واهتزت في أذهانهم صورة أب، يأتيهم بالحلوى ويعطيهم النقود، وليس في البلد من هو أقوى منه.. وتقوست شفاهم.. وما لبثوا أن أمعنوا في العويل"⁴.

¹ نفسه، ص 51.

² نفسه، ص 16.

³ حرب، أحمد، قصص قصيرة من الوطن المحتل، الفجر الأدبي، عدد 23، أب، 1982، ص 97.

⁴ خبز الآخرين، ص 22.

من المظاهر الاجتماعية التراجيدية التي برزت في صورة الطفل، يركز شقير على حاجة الطفل إلى أهله في بيئة الفقر والبؤس، فالأب يريد العمل، متوسلاً من صاحب العمل؛ لأن أولاده جياح،.. والله لن تظل هنا انصرف مالك عمل عندنا.

– أترجاك.. أولادي بالقلة.. أطنب عليك.. – امش.. تطلع.¹

والثقافة تبني الشخصية الاجتماعية في علاقاتها فشقير يذكر أن الطفل يرى في القراءة مادة جيدة للفكر والوعي ومواجهة الصعاب، إذ إن مريم لم ينقذها إلا الكتب التي تقرأها، وهذا مطلوب من الطفل – ومن ورائه شقير – للقراءة وفائدتها.

"كنت غير مقتنعه بكل هذه الإجراءات، لأنني لم أفعل شيئاً يستحق التأنيب والعقاب، ومع ذلك، فقد تألمت من كل هذا، ولم ينقذني إلا كاتب كنعان المفضل؛ فقد أكببتُ على كتبه أقرأ المزيد منها بتمعن واستيعاب، فأمدتني بشجاعة لا غنى عنها لمواجهة الصعاب.² الأطفال لهم رأي فيما يصنعون، ورأيهم الجماعي كان حاجراً في قصص شقير، يقول حاتم في قصة أنا وجمانة:

اقتربَ من جريس ووجهَ لكمةً نحو أنفه. زاعَ جريس قليلاً ولم تُصبه اللكمة، واشتبك الاثنان في شجار شرس. تدخلتُ أنا كذلك، وقلنا إن هذا لا يجوز، قلنا إن الشجار مرفوضٌ ولا يُوافقُ عليه أحد.³

كان الطفل يقارن بين عادات مجتمعه وتقاليدِه وبين عادات الأطفال الفلسطينيين الذين قدموا إلى فلسطين بعد أوصلو، وكان يبدي استغرابه من أخلاق هؤلاء الأطفال. "وحاتم يقول لي حين ينفرد بي: أنتم عدتم إلى الوطن بأخلاق مختلفة عن أخلاقنا"⁴

إن منظور الطفل للواقع الاجتماعي جاء مثيراً ومشوقاً وممتعاً، كما جاء لإظهار أسباب المشكلات وأبعادها المطروحة من أجل إزالتها بهدف تنمية طفل معافى من شوائب المجتمع، لذلك نرى بعض القصص ضمت شخصيات طفولية فاعلة تعيش تجربتها وتمكن تصنيفها إلى

¹ نفسه، ص45.

² شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص46، وينظر أنا وجمانة ص61.

³ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص84.

⁴ نفسه، ص70.

نموذجين: الأول: يحمل جملة من القيم الإيجابية التي يجب أن تتوفر في كل إنسان طفلاً كان أم غير ذلك.

الثاني: يحمل جملة من القيم السلبية، وهي المشكلات التي يعاني منها الأطفال، حاول شقير تركيز الضوء عليها وتكبيرها بهدف التخلص منها واستبدالها بقيم إيجابية.

5- منظور الطفل للاحتلال.

لا ينفصل نضال أي شعب عن نضال أطفاله، وقد تولّد للأطفال الفلسطينيين - دون غيرهم - وعي وطني تجاه قضيتهم وأرضهم، ودافعية ذاتية لمقاومة الاحتلال بطرق شتى، ففي قصة" قالت مريم قال الفتى"، نلاحظ موقف كنعان من الاحتلال الذي يشاهده لأول مرة على أرض الواقع.

إذا كان الموضوع الفلسطيني قد شغل الأديباء العرب، فإن انشغال أديباء الأطفال قد انصب على المقاومة بأشكالها كافة، وقد سيطر هذا الموضوع على الأعم الأغلب على القصص التي تم إنتاجها للأطفال العرب بعامة.¹

"قال كنعان: كاد حلمي ينكسر؛ حينما دخلت الجسر، رأيتهم لأول مرة وجهاً لوجه، كنت قبل ذلك لا أراهم إلا على شاشة التلفاز، وهم يطلقون النار على المتظاهرين"²

وربما تكون قصة الجندي واللعبة من مجموعة الولد الفلسطيني خير دليل على منظور الطفل للاحتلال بسلوكه ووحشيته وتعامله مع البراءة والطفولة التي لا تعرف من السياسة شيئاً. "بدأ الجندي يفتش الأمتعة والهدايا، ثم مدّ يده إلى اللعبة وخلصها من بين أصابع أمينة وقالت الأم: هذه لعبة للبننت، اتركها لها. قال الجندي وهو يهز اللعبة: -إنها ثقيلة، ماذا خبأت داخلها؟؟ مدت أمينة: يدها لاستعادة اللعبة، لكن الجندي أبعدا عنها، وقال أنتم تخبئون الأسلحة والمواد المتفجرة في كل مكان، يجب أن أفتشها جيداً، شد الجندي بكلتا يديه على اللعبة، وفصل رأسها عن جسدها فصرخت أمينة، لكن الجندي استمر يمزق بطنها بحثاً عن المواد المتفجرة، وحين لم يجد

¹ ينظر العواني، محمد، دراسات في أدب ومسرح الأطفال، دمشق، 2013، ص18.

² شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص12.

شيئاً ألقى بها على الأرض، انحنت أمينة وأخذت تلملم أجزاء لعبتها الممزقة ثم انتبعت إلى قطعة الحلوى التي في يدها، حدقت في وجه الجندي وألقت بقطعة الحلوى تحت الأقدام، وسارت إلى جانب أمها مبتعدة¹

يقول شقير من خلال تركيزه على مفهوم الوطن في قصصه لقد "حاولت تجسيد البشاعة الصهيونية التي يمارسها العدو ضد جماهير شعبنا في الوطن المحتل"².

وهذه القصة- الجندي واللعبة - تطرح قضية الصراع الفلسطيني اليهودي أمام الطفل الفلسطيني وعلى مسامعه، من خلال كلمات يوجهها اليهود على الجسر للأب والأم والطفل.

لقد أصبحت المسافة في هذه القصة ملغاة بين الطفلة والوطن واللعبة، وأصبح الوطن هو اللعبة وهو الطفلة، والطفلة هي الوطن واللعبة، وأصبحت العلاقة بينهما علاقة لها طعمها ومعناها، وأصبح الوطن غالباً، وأصبحت المواجهة بالإيماءة، وبإلقاء قطعة الحلوى تحت الأقدام ضرورة، حين حيل بين أمينة وبين لعبتها، وبمحاورة مثل هذه المفردات التي يتكون فيها التشكيل الأدبي القصصي تتوهج القصة وتتوهج التجربة.³

إن الواقع الأليم على الطفل يكون أشد قسوة عندما يشاهد ولأول مرة، وجهاً لوجه الذين اغتصبوا هذه الأرض، يراهم على نقطة العبور الوحيدة التي تفصل بين فلسطين والعالم العربي، يراهم وهم يصدرون الأوامر للجميع. الآباء والأمهات والأطفال وكبار السن، ولعل هذا يضغط على شخصية الطفل ويكون تأثيره أكثر على الطفل القادم مع أهله ليعيش على هذه الأرض.

قال: شعرتُ باستياء، وهم يصدرون إلينا الأوامر بلغة عربية تخالطها لكنه غريبة: تحرك، يا لله تحرك بسرعة، امش دخلت الجسر، وكان الطقس حاراً. رأيتهم لأول مرة وجهاً لوجه، تأملت أشكالهم عن قرب، لاحظتُ تكشيرة على وجوه الجنود الذين يراقبوننا، وهم يتحدثون معنا باحتقار،⁴ وصورة الاحتلال ترافق مخيلة الطفل طيلة حياته، يقول كنعان: حينما جاء والده كان يتعجب من أمر لم يغادر مخيلته لفترة غير قصيرة: ففي المنفى كان ثمة متسع له ولأهله رغم كل

¹ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 29_30.

² المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ص 36.

³ ينظر، ياغي، عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، ص 103.

⁴ شقير، محمود، كلام مريم، ص 22.

التعقيدات، وفي بلاده لم يعد يستطيع التنقل من مكان إلى مكان إلا بشق الأنفس، وبعد إجراءات لا أول لها ولا آخر، وكان يتساءل: لماذا تكبدنا هذه الأرض العزيزة كل هذا العناء؟!¹

نلاحظ واقعية الطفل في سلوكه ونقاشه، فهو لا يستطيع زيارة القدس؛ بسبب الاحتلال، وهذا ما أرادت مريم إيصاله لكنعان الطفل الفلسطيني العائد إلى الوطن،

-الآن لا أستطيع زيارة القدس، ولا تستطيع زيارتها أنت.

قال لها وهو يفرد ذراعيه على جانبيه كما لو أنه سيطير:

-أنا الآن هنا في البلاد، ولن يمنعني أحد من زيارة القدس.

نظرت إليه بإشفاق ولم تقل أيّ كلام.²

ومن هنا يمكن القول إن مثل هذه القصص هي قصص مقاومة ونضال كما يقول صالح زقوت: "لو حاولنا تحليل الموضوعات التي تطرحها القصة الفلسطينية لوجدنا أنها أدب كفاحي بكل معنى الكلمة"³.

فرض الكاتب نفسه على النص وبت أفكاره هنا وهناك، ولكنه سمح للطفل في قصصه أن تعبر عن نفسها، فلم يتح للقارئ أن يفكر أو يستنتج؛ لأن القصة واقعية وتحدث صباح مساء مع الشعب الفلسطيني كما في قوله: "كانوا يجلسون قرب البناية الكبيرة المعدة لاستقبال القادمين، والأسلحة الرشاشة تسترخي في أحضانهم"⁴.

إن مشهد عبور نقطة الجسر الواقعة بين فلسطين والأردن هي شاهد حقيقي على إذلال الشعب الفلسطيني الذي يشاهده الطفل بأم عينيه، ليس هذا فحسب وهو شاهد على الذل الذي يراه ويشعر به كل من أبيه وأمه وأخوته، وهذا ما يزيد الأمر سوءاً في نفسية الطفل، كما يصف المشهد كنعان "معهم مجندات يتكلمن ويضحكن أيضاً، وتفتح قمصانهن باللون الكاكي على صدورهن، والأسلحة الرشاشة تسترخي في أحضانهم وأحضانهن ويضيف في المشهد ذاته. "دخلتُ

¹ شقير، محمود، قالت مريم قال الفتى، ص24.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص19.

³ حرب، أحمد، قصص قصيرة من الوطن المحتل، الفجر الأدبي، عدد 19، 1982، ص 136.

⁴ شقير، محمود، قالت مريم، ص13.

البنية مع الداخلين. انفصلت أمي عنا، أنا وأبي وأخوتي. ذهبتُ إلى المكان المخصّص للنساء، لتفتيشها بعد أن تخلع ملابسها أمام المجنّات.¹

ولذلك فإن قصص محمود شقير تعكس صورة لواقع الشعب الفلسطيني، هذا الشعب الذي عانى وما زال يعاني في حياة البؤس والحرمان والتشرد؛ بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية، فقد خضعت فلسطين لسيطرة قوى أجنبية آخرها الاحتلال الصهيوني الذي يختلف عن غيره بحكم طبيعته الاستيطانية وأفكاره العنصرية، فقد عمد إلى تشريد أصحاب البلاد وتهجيرهم عن أراضيهم، وذلك من أجل إقامة كيان صهيوني لا يسكنه إلا اليهود²

إن حلم العودة إلى الوطن أو حتى الولادة فيه كان حلاً يراود كل طفل فلسطيني عاش في المنافي والشتات لازدواجية الحياة في المنفى وما ينطوي عليه من ظلم وبؤس ومعاناة، مما أدى إلى التشتت الفكري وعدم الاستقرار واليأس والإحباط وعدم الطمأنينة النفسية عندها عند حاتم في قصة أنا وجمانة، إذ يقول: "لم أقل ذلك، ربما لأنني أحب نفسي كثيراً، وربما لأنني ملّلتُ التنقل من بيت إلى آخر، ومن غرفة إلى أخرى طوال السنوات الفائتة، أبي هو السبب في هذا التنقل المرهق، طُرد من الوطن قبل أن أُولد، طردته السلطات الإسرائيلية المحتلة بسبب مواقفه الوطنية، عرفتُ هذا فيما بعد، وكانت النتيجة حرمانني من فرصة الولادة في الوطن"³

نلاحظ الفرق في التعامل مع الاحتلال والنظر إليه عند الأطفال الذين ولدوا هنا وعاشوا الانتفاضات المتكررة والأطفال العائدين، إذ نلاحظ الجرأة والقوة عند من هم هنا أكثر من العائدين، أننا نلاحظ الجرأة الواضحة والشجاعة عند الطفل الفلسطيني كما هو الأمر عند باسمة في "قصة الحاجز" فنلاحظ الثقة بالنفس والقدرة على الفعل وصناعة التفكير والتدبير معاً عن كل افتعال حركي أو لغوي، فالطفل الفلسطيني عند شقير لا ينقصه الذكاء ولا الجرأة غادرتُ باسمه، وسارت في الشارع الذي يؤدي إلى البيت، وهناك وجدتُ حاجزاً من الأسلاك الشائكة، حولهُ

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص22.

² الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ش03، 1667_ 1981_ 1993:ص37.

³ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص6وينظر، كلام مريم، ص36.

عدّد من جنود العدو يراقبون الناس.وقفت باسمه قرب الحاجز، وطلبت من أحد الجنود أن يسمح لها بالمرور وقالت:

- ارفع هذه الأسلاك كي أمر. قال الجندي:

لن أرفعها.

كيف أعود إلى البيت إذن؟

قال الجندي: "احني رأسك، ومري من بين الأسلاك.

فكرت باسمه قليلاً، وشعرت أنها ستكون ذليلاً إذا أحنّت رأسها، تراجعت بضع خطوات إلى الوراء وفي عينيها عزم وتصميم. سألتها الجندي مستغرباً:

- ماذا ستفعلين؟

لم تجب باسمه، شدت على حقيبتها تحت إبطها، وانطلقت بخطوات سريعة، وقفزت من فوق الحاجز. لكن أحد الأسلاك الشائكة تعلق بطرف ثوبها، فسقطت على الأرض. تجمع الجنود واطلقوا قهقهات شامتة وهم ينظرون إلى باسمه، وقد انطرحت على الأرض. نهضت باسمه، ثم سارت برأس مرفوع إلى البيت، وهي تضم بيدها طرف ثوبها الممزق، وظل الجنود يرمقونها صامتين حتى غابت خلف زاوية الشارع¹

لقد أثر القاص محمود شقير هذا السبيل لعرض الإنسانية الفلسطينية، ونضال الأطفال ضد الاحتلال معتمداً الواقع البسيط والعلامات البريئة والطفولة الصافية، وجاءت مجموعته "الجندي واللعبة" و"الولد الفلسطيني" و"الحاجز" محققة لهذا الطموح. إن الكاتب قدم صورة في غاية البساطة، ولكنها تحولت إلى نموذج للبطولة ليس فقط بأفعالها، ولكن بذكاؤها وفطنتها وقدرتها على التكيف أيضاً، إن قصة الحاجز، تعد فعلاً مباشراً لفنائة فلسطينية مقاومة، كما هو الأمر عند مصطفى في قصة "أنا وجمانة" الذي يشكل نموذجاً لأحلام الأطفال العرب في القيام بدور بطولي، وهو الحلم بالتحريير، دون مبالغات أو مواقف خارجة عن المألوف.

إن الولد الفلسطيني - ولم يكن عبثاً إطلاق هذا الاسم على هذه القصة (الولد الفلسطيني)

- لا يصدق أن لهؤلاء الناس (الجنود) أطفالاً، فلو كان عندهم أطفال لما تصرفوا بمثل هذه

¹ شقير، محمود، الحاجز، ص 51_52.

التصرفات مع الأطفال الفلسطينيين؛ لأن الولد الفلسطيني لم يعد له بيت فقد هدموه وقتلوا صديقه أمام ناظري صديقه علي عفانة.

"يقولون إن لهم أولاداً مثلنا، يا ترى صحيح؟

قال علي عفانة أنا لا أصدق، دائماً أراهم دون أولاد، لديهم أسلحة فقط. وسألني: هل رأيت ولداً في دبابة؟ قلت: لا. قال: إذاً ليس لهم أولاد.... واليوم قتلوا علي عفانة¹.

لا أحد ينكر وحشية الاحتلال وجبروته في تعامله مع الأطفال وأمام أهلهم: قبل يومين جاءوا مع المساء، ضربوا أحد الأبناء على رأسه وعظام رسغيه، ثم مزقوا الثياب عن صدور البنات اليافعات، فانجرح قلب الوالدة،²

إن الطفل دائم التفكير في تحرير أرضه ووطنه من الاحتلال، فهناك العمل الجماعي مع الأطفال العرب الذين سيساعدون أطفال فلسطين في تحرير أرضهم ووطنهم "لم تدقق جمانة في كلامي، قالت:

- "سيحقن باطن الأرض بمسحوقه السحري. فيكون له تأثير مباشر: يتدفق الماء نحو الفلسطينيين دون أية مشكلة، وحينما يتدفق نحو المستوطنات، فإنه يتحول إلى حجارة وحصى".³ الحلم في تحرير الأرض هو حلم كل طفل فلسطيني، جاء هذا حلم الأطفال في قصة "بقرة اليتامى" وهي قصة رمزية لها بعد سياسي وإنساني. "وامتعص الأطفال... وناموا يحلمون ببقرة ذات قرون صلبة كالرماح.. تعدو في جموح تائر عبر الحقول... بينما تندحر بعيداً من حولها الذئاب".⁴ على الرغم من البراءة عند الطفل، إلا أنه كان حذراً ولا يثق بالأطفال الإسرائيليين، كما هو الأمر في قصة أنا وجمانة يقول: "فكرت: ما يدُريني أن هذه البنت تبسّم لي لكي توقعني في مشكلة، فمأنّ أبادر إلى طلب عنوانها ورقم هاتفها حتى تصرخ طلباً للنجدة، مُتهمةً إياي

1 شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 35.

2 شقير، محمود، صمت النوافذ، ص 77.

3 شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 34، وينظر ص 35.

4 شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 46.

بالتخطيط لاختطافها ولتعليقها من رموش عينيها بسقف بيت مهجور. وبالرغم من ذلك؛ بقيتُ
مُشفقاً على البنت".¹

لقد قدم أطفال الحجارة في فلسطين نموذجاً للمقاومة الشعبية، فقد أبهرت العالم نماذج
البطولة التي أنجزها أطفال فلسطينيون في مواجهة قوات الاحتلال المدججة بمختلف أنواع
الأسلحة العالم؛ ولهذا كان نموذج الطفل الفلسطيني المقاوم مبرراً من الناحية الأخلاقية
والسياسية والأدبية.

إن الطفل نظر إلى الوطن بقدسية ومهابة، وأنه مازال مكان الانتماء، فقد نظر بواقعية
وموضوعية للوطن وأنه الهدف لكل إنسان فلسطيني أينما كان "اليوم قتلوا علي عفانة، ما زلت
أذكر أنه قال لي:

- ليس لهم أولاد.

اتفقنا أن نسدّ الشارع بالحجارة. وقلنا:

- دباباتهم تنسف البيوت ولن نتركها تمرّ.

اقتربت منا دبابة، ملأنا أيدينا بالحجارة، صرخنا بأصوات عالية، وقذفنا الجنود بالحجارة، أطلق
الجنود النار، فأصابني خوف شديد، وكدت أهرب لكنني تجمّدت في مكاني لما وقع علي عفانة
على الأرض، وأخذ الدم يسيل من صدره.. صحت بأعلى صوتي: - علي علي.
لكنه لم يتكلم، وكان الجنود يتراكمون من حولنا.²

نرى شقير أحيانا يقدم، العمل الجماعي عند الأطفال ويلحّ عليه ولا يكتفي بنموذج الطفل
الواحد، بل يقدم مجموعة أبطال أطفال لتتجز مهمة معينة، الطفل كان كثيراً ما يكون مصيره
القتل في مواجهة الاحتلال ذلك الفتى غض الإهاب، لم يبخل علينا بدمه، وكان من حقه أن
يعيش، لكي يذهب إلى الجامعة، ولكي يقرأ - على الأقل - عشرة آلاف كتاب. كان من حقه أن
يعيش، لكي يعيش مثل كل الناس... وهو قابض بين أصابعه على آخر حجر كان سيقذفه نحو
الأعداء. "اللافت في الأمر أن الكاتب في تعامله مع الطفل والجندي ترك آثار شخصية الجندي

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص60.

² شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص36.

على حيز كبير من قصصه التي ورد فيها القتل والاعتداء على الأطفال، وهي مجملها تحمل سمة واحدة، هي الاعتداء والقتل، إذ إننا نلاحظ قلة الحضور للجندي، أو لشخصية الجندي المادية، فهي شخصية حاضرة غائبة لكنها مع الطفل فاعلة ومؤثرة في معاداتها للطفل، فهي سبب رئيس للمعاناة التي يعانها هذا الطفل على المستويات كافة من توتر وخوف وقلق، وظهورها يكون بدون سمات جسدية واضحة ولكن بسلوك إجرامي واضح¹

"ولعل ما هو لافت للنظر هنا وفي كل القصص التي استلهمت فعاليات هذا النضال وهذه المقاومة أن فعل البطولة ليست فعل مغامرة بقدر ما هي فعل مصير ووجود، وهذا يعني أن تقديم الدور البطولي للأطفال ينهض على وعي تام بالدور النضالي ومن دون تهويل أو تحويل الطفل إلى ما هو خارق وخارج عن المؤلف"²

الطفل هنا يرى ما رآه كنفاني في رواية (عائد الى حيفا)، إذ لا يمكن النقاش والمحاورة مع الإسرائيليين، يقول كنعان: "اقترب الضابط منا وهو يصرخ محذراً من مغبة ما نقوم به من احتجاج، حاول أن يدفع أبي بذراعيه القويتين. صدّه أبي، تحداه. ثم وقع الصدام. كنت في تلك اللحظة القاسية، أتذكر ديفيد وأقول: ما الذي سأكتبه له، وأنا أرى أباه على هذه الهيئة المنفرة. فجأة، التمعت في ذهني فكرة: سأمزق الصورة التي كنت أحتفظ بها في بيتنا حتى الآن"³

نلاحظ أحياناً بعض الإشارات الرمزية عند شقير في تعامله مع الطفل كما هو الأمر في قصة "عصفور سناء" إذ إنَّ العصفور السجين لا يريد أن يرى الغرباء في بلادنا. "انتبهتُ سناءً إلى حقيقةٍ مُفزعة. قالتُ لنفسها: هذا العصفورُ سجينٌ. قالتُ لأمها وهي تنظرُ بإشفاقٍ إلى العصفور:

- هذا العصفورُ لا يُحبُّ أن يَرى الجنودَ الغُرباءَ في بلادنا". ابتسمتُ أمُّها وقالتُ:
- كيفَ عرَفتِ؟ هلْ أخبرَكَ العصفورُ بذلك؟"⁴

¹ شقير، محمود، مرور خاطف، ص64.

² العواني، محمد، ص 19، ينظر في هذا المعنى النضال للطفل ومشاركته في الانتفاضات، أنا وجمانة ص22.

³ شقير، محمود، قالت مريم: قال الفتى، ص55.

⁴ شقير، محمود، عصفور سناء، ص20، وينظر ص18.

والطفل مرتبط بالخوف من الاحتلال ففي قصة "عصفور سناء" تعرض القصة قصة الأب السجين الذي يشبه العصفور، وعلى الرغم من رومانسية الصورة المبالغ فيها، وخاصة فيما يتعلق بتصويرها للحرية التي تسيطر فكر سناء، وهذا انعكاس للاحتلال وهيمنة، والفكرة ترسمت في ذهن سناء وتم تصعيدها إلى درجة أصبحت فيه هاجساً لها. وأصبح حصولها على الحرية هو كل مطلبها. إذ اعتمدت القصة على اللون والحركة والصورة مما زاد في صورتها.

"تذكرتُ سناءً أن أباه لم يعد له عمل، أبوها كان معلماً للأطفال في مدرسة الحي، وهو الآن في السجن منذ ثماني سنوات، كان عمرُ سناء سنةً واحدةً حينما جاء الجنودُ إلى البيت واعتقلوا أباه. جاءوا في الليلٍ واعتقلوه، شعر فراس بالقلق، فوقف ملتصقاً بأمه وسط نساء وأولاد كثيرين، ثم قادته أمه من يده وقالت: ها هو أبوك. رأى فراس هيئة أبيه وقد تغيرت، فالشعر الكثيف يغطي وجهه، والملابس البنية الباهتة تجعله يبدو غريباً. وقدّر فراس أن السجن مكان كريه، فقرر أن يعيد أباه معه إلى البيت.¹

إن طموح الطفل دائماً كان تحرير فلسطين في قصص شقير الطفولي: "حدثني عن سجون الاحتلال ومعتقلاته. قال إنه لم يحتمل قسوة السجن والسجان.. كانوا يضعون كلبشات الحديد في يديه ويعلقونه في السقف، مرةً وأخرى ولم يعد قادراً على الاحتمال. قال إن كثيرين غيره احتملوا ما لم يحتمله هو. تمنيت لو أن أبي واصل الطريق الذي ابتدأه. غير أنه يظل أبي رغم كل شيء وأنا أحبه²

"ربما يتساءل أحد أن التحرر القومي يأتي أولاً وبالتالي فإن دور الكاتب يجب أن ينحصر في كشف ونقد ممارسات الاحتلال وبعث روح المقاومة عند المواطنين"³. ركز شقير في قصصه على السجن ونظرة الطفل إليه، فهو الذي يحرم الطفل من معانقة أبيه واللجوء إليه عند الحاجة، "قابلت علي عفانة، وقلت له - :أخذوا أبي في الليل. فقال: تجري أمور عجيبة لا نفهمها. رأينا دبابة وسيارات عسكرية، فأصابنا الخوف وقلنا: جاءوا من جديد. ثم ابتعدنا. اقتربوا

¹ نفسه، ص 6.

² شقير، محمود، كلام مريم ص 46.

³ حرب، أحمد، قصص قصيرة في الوطن المحتل، الفجر الأدبي، عدد 23، 1982: ص 97.

من بيتنا، ورأيت جدي غاضباً. لَطَمَتُ أُمِّي خديها وشَقَّتْ ثوبها. اقتربت من أُمِّي، قبضت على طرف ثوبها، وأخذت أبكي، وسألته: - أين أبي؟ ضمتني إلى صدرها وقالت- أبوك في السجن"¹.

"تفاحة التي كانت تمخط أنفها بكم فستانها، وتركض حافية في الطرقات،تفاحة اليوم صبية يتدابع على الظفر بقلبها كل الشباب .جاءها الخطاب من قرى الشمال، وجاءها الخطاب من قرى الجنوب، غير أن تفاحة رفضت جميع الخطاب؛لأنها تعاهدت على الوفاء منذ كانت طفلة، مع الفتى الذي يلعب معها تحت الأشجار .وها هي ذي الآن، تنتظر خروجه بعد خمس وعشرين سنة من السجن، وتغني في كل أعراس القرية للفتى الذي حصد برشاشه ثلاثة من جنود الأعداء"².

إن مشهد الاحتلال حاضرٌ وشاهدٌ أمام الطفل عند شقير، فهو يتذكر كل ما هو سيء أمام عينيه مما يدعوهُ إلى التحرر والتوق إلى الحرية.

"وأنا واصلت المشي في شوارع المدينة حتى تعبت، وكانت نفسي مملوءة بالرغبات، مشيتُ ومشيتُ و مشيتُ ثم عدتُ إلى البيت. البيت الذي قد يتعرض للهدم ذات صباح أو ذات مساء"³.

"رأيتُ الجرافات وهي تجتاح الأرض، تشقّ جسدها وتقطع ما يعترض طريقها من أشجار. اقشعرّ بدني وأنا أتابع المشهد المرعب. وقفنا أمام الجرافات صفاً واحداً، وكانت مريم وأبوها وأخوها معنا، جاءت سيارات عسكرية فيها ضباط وجنود، التقوا من حولنا وحاصرونا."⁴
"فهل هناك ما هو أصعب من رؤية الجنود الغرباء وهم يقيدون حركتنا ويعدّون علينا أنفاسنا؟ هل هناك ما هو أفسى من عزل القدس عن رام الله وأريحا وبيت لحم ونابلس والخليل، وحرماننا من دخولها."⁵

1 شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص34، وينظر عصفور سناء ص8.

2 شقير، محمود، طقوس المرأة الشقية، ص71.

3 شقير، محمود، كلام مريم، ص86.

4 نفسه، ص80.

5 المصدر، السابق، ص37.

يتذكر الطفل الماضي السيء لأهله مع الاحتلال وبداياته، وكيف أن الاحتلال طردهم من أراضيهم ليصبحوا في الشتات والمنافي.

"قالت أمي وهي تعود بذاكرتها إلى الوراء:

- كنت طفلة يوم هاجمت الدبابات قريتنا.

قالت:

- نزحنا إلى رام الله، ثم لحقت بنا الدبابات.

وقالت:

- اتجهنا شرقاً وقطعنا الجسر إلى عمان.

قال أبي وهو يتذكر تلك الأيام:

- أنا أيضاً كنتُ طفلاً. هدموا قريتنا، جعلوها كومة من حجارة وحديد.¹

وهنا يصبح الطفل فدائياً يؤدي واجبه في الكفاح والنضال، ويمارس حقه في انتزاع حرية ووطنه، والملاحظ هنا أن القاص لا يمنح الطفل اسماً وإنما أطلق اسم الفتى أحلام الفتى النحيل وربما يكون السبب من ذلك هو إفساح المجال لتعميم هذا الطفل على كل الأطفال الفلسطينيين؛ لذلك كان ضمير المتكلم الأكثر تعبيراً عن هذه السمة.

يروى الكاتب على لسان الطفل، في مجموعته القصصية "أحلام الفتى النحيل" كيفية دخول اليهود لمدينة القدس سنة 1948، وهنا أرى أن الفتى النحيل جسماً وطفلاً هو شقير نفسه. "وكنتُ أخافُ كلما سمعتُ الرصاص يُنطلقُ نحوَ بابِ العامود من بنايةِ النوتردام التي تقعُ خارجَ سورِ المدينة. أخافُ أن يُطلقَ الجنودُ الإسرائيليونَ الرصاصَ عليّ، وأنا أجتازُ الساحةَ المكشوفةَ أمامَ تلكَ البنايةِ العاليةِ، الواقعةَ في الجزءِ الغربيِ من القدس. هذا الجزءُ الغربيُّ أصبحَ بيننا وبينه منذ 1948 جدارٌ لا يقينا من الرصاص، ولم يكن قربَ الجدارِ شجرٌ يحمينا من عيون الجنود."²

¹ نفسه، ص25، وينظر الولد الفلسطيني، ص81.

² شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص37.

وتروي مريم القصة ذاتها "قالت أمي:كنت طفلة يوم داهمت الدبابات قرينتنا، مما اضطرنا إلى النزوح، فبكيك بحرقه حينما جنّت مع أهلي لتفقد البيت الذي غادرناه على أمل العودة إليه في القريب العاجل، فإذا حجارة البيت متناثرة على الأرض باضطراب. وقالت: إن أمها شقت ثوبها وفعلت مثلها نساء كثيرات. وقالت إنها منذ تلك اللحظة لم تعد تشعر بالأمان، يداهما حلم مزعج يتكرر باستمرار: ترى نفسها وهي تركض حافية في الظلمة، يتمزق ثوبها، يلتصق البرق، وتهطل أمطار غزيرة سوداء فوق رأسها، ثم تصحو من نومها فزعة خائفة"¹. إن أكثر قضية ركز عليها شقير في قصصه الطفولي نظرتة للاحتلال وموقفه منه، وقد أكثر من المشاهد التي تنفر من هذا الاحتلال، مثل: الحرب والقتل والجرافات التي تهدم البيوت، الجنود في الليل، طائرات العدو في السماء، الجيش الغريب.

6-منظور الطفل للطفولة.

نظر الكتاب الفلسطينيون إلى الأطفال بأنهم وهج المعركة مع الاحتلال، وهم نارها اللاهية، ووقودها المحترق، ولذلك تكثر الإشارة إلى دور الطفل الفلسطيني في معركة البقاء أمام أعداء الإنسان والإنسانية، الصورة التي تتكرر عن الطفل وصموده ومقاومته للاحتلال كثيرة جداً، وربما تستعصي على التتبع لكثرتها، وقد تلتمح صورة الطفل مع صورة أمة أو أبيه اللذين يقدمان الحماية له، إذ نلاحظ براءة الطفولة في قصة كلام مريم، كما في سردها عن أخيها المريض.

"قالت مريم:

عدتُ إلى البيت، وجدتُ أخي منطرحاً في فراشه يهذي من شدة الحمى. أمي تحنو عليه وتتحنس جبينه، وأنا اقتربتُ منه، تأملتُ وجهه الشاحب. اعتقدتُ في وقت سابق أنّ معاملته القاسية لي ستجعلني غيرَ مُكرّثة له حينما يصيبه المرض. في بعض الأحيان، كنتُ أتصورُ بيني وبين نفسي، أنّ موته قد يجعل حياتي أقلّ شقاء. اكتشفتُ الآن وأنا أتأمله، أنّه عزيزٌ عليّ.

¹ شقير، محمود، قالت مريم:قال الفتى، ص15.

تصاعدت من داخلي مشاعر شتى، أحسست معها بأنني غير قادرة على رؤيته في مثل هذا الضعف.قلت:

- أمي، لماذا لا نأخذه إلى الطبيب؟

نظرت أمي إلى علب الأدوية التي كانت على الطاولة، ولم أكن مُنتبهة إليها، أدركت أن الطبيب زاره وأنا خارج البيت. تلمستُ جبينه وتمنيتُ له الشفاء. حدّق في وجهي بنظرات تتم عن السكر. يبدو أنه لم يكن يتوقّع ذلك مني.¹

كما جاءت الأخوة البريئة على لسان الأخ الذي يسرد.

"جمانة أختٌ رائعة، وأنا أحبها فعلاً. حينما انكسرت ساقي، ونحن نقيم في الجزائر، بقيتُ شهراً في البيت لا أغادره. اهتمتُ بي جمانة إضافة إلى اهتمام أمي بي، وأمضت وقتاً طويلاً، وهي تُساعدني،

وتقدّم لي ما أحتاجه من خدمات."²

يود الطفل بطبيعته تغيير العالم والتأثير على بيئته بشكل إيجابي وفعال وبخاصة عندما يشاهد الظلم الذي يمارس ضد أهله وأبناء بلده، فهو يحلم أن تكون لديه القوة الكافية والسحرية لتغيير مجرى الأمور، ويحاول دوماً الاستفسار حول الأسباب والمسببات في كل ما يحدث، لقد أصبح يعي كل ما يدور حوله من الأمور السياسية؛ لأن الأحداث التي يعايشونها تثير لديهم الكثير من التساؤلات فيتفاعلون مع الحديث ويستوعبونه بصورة جيدة، إذا كان هناك من يوضح لهم الأمور السياسية؛ لأن الأحداث التي يعايشونها تثير لديهم الكثير من التساؤلات فيتفاعلون مع الحديث ويستوعبونه بصورة جيدة، إذا كان هناك من يوضح لهم الأمور ويجيب عن تساؤلاتهم بصدق³

ركز شقير على احتياجات الطفل الاجتماعية والنفسية وفصل فيها القول، وألح على

تفاصيلها كما في شخصية توفيق الفار، في مجموعة خبز الآخرين.

¹ شقير، محمود، كلام مريم، ص30.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص7.

³ ينظر، لونا مكي، رابا، أعطونا الطفولة ترجمة دوريس ليون، القدس، ص2، 2000، ص8-9.

"كانت ساقاه تتدسان داخله كأغصان التين العارية.. سوف اشترى حذاء، وزوج جرابات، طول عمري ما لبستهن.. وأنا بحاجة إلى بنطال جديد..و.. نهض بعجلة، واكتسى ثياباً جديدة من قمة رأسه إلى قدميه... وأحس أنه بحاجة إلى نظارة، ولذا، فقد اشترى نظارة، وشعر بأنه أصبح مثل أهل المدينة.. وحينما يعود إلى القرية فسوف يناديه الناس:توفيق أفندي.. ولا بأس أن يخبر أهل البلد، بأنه لم يذهب إلى المدينة عبثاً وإنما بحثاً عن وظيفة محترمة، وإنه سوف ينتظر بضعة أيام حتى يتصل أهل المدينة به، ومن ثم يغادر البلد نهائياً.. كان يتابع صبياً يزعم جذلاً فوق دراجة. وانطلق بهمة يبحث عن محل يؤجر الدراجات.. وبعد مشقة و كان يقف أمام المحل.. ومعه رزمة فيها ثيابه القديمة، ولم يجسر أن يستأجر دراجة، لأنه طوال عمره لم يمتط ظهرها..واندحر في زاوية الشارع يراقب الصبيان، يقفزون فوق الدراجات دون خوف."¹

ثم يصور نفسية الطفل البريئة في احتياجه للأشياء البسيطة التي يتمنى أن يأكلها أو يراها،مثل الكنافة والكباب،"وكان هو الآخر يتشوق لرؤية المدينة ولو مرة واحدة. كي يرى العجائب التي يتحدث عنها الأولاد، ولكي يلتهم من مأكولات المدينة اللذيذة: خبز مدني، وكنافة، وكباب.. وكذ ذهنه ليتذكر كل ما تتوق إليه نفسه.

"حاولت أمه أن تضربه، ولكنه تثبت بعناد مما اضطرها أن تحضره معها، وكان إسماعيل يفكر بما قالت، لكنه لم يأبه لذلك طويلاً إذ استرعى انتباهه بائع مزروع على ناصية الشارع.. ينادي بصوت مللع ممطوط:"حلاوة النبي بركة" وعلى الفور ألح على أمه بإصرار، وجذبها من طرف ثوبها متوسلاً:

- أمي اشترى لي حلاوة، أحبها، اشترى لي.

وراح يلتهم الحلاوة بنهم،وكانت أمه تجتاز باب الدير، وصعد خلفها درجات السلم،

وعلى سطيحة السلم الواسعة."²

¹ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص79.

² شقير، محمود، خبز الآخرين، ص111.

كما يصور ألعاب الأطفال ويؤرخ لها في حقبة زمنية معينة "ونواصل اللعبَ كالمعتاد: يحني حاتم جذعه، فيتخذُ جسده شكلَ زاوية قائمة، تقفزُ من فوقه جمانة، ويقفز جريس كذلك أختاه، وأتھياً للقفز محاولاً الاتكاء بيدي على ظهر حاتم مثلما فعلَ الجميع، وفي اللحظة الحاسمة يزوغ حاتم مبتعداً، أسقطُ على العشب، أتُحسسُ أطرافي للتأكد من أنني لم أكسرُ ساقِي أو يدي، أنهضُ، ولا أسمعُ سوى صوتِ الضحك، ضحكٍ متواصل متدفق من قلوب صافية مثل البلّور.¹

كما أظهر الجانب البريء بين الأطفال وهم ذاهبون للمدرسة أو عائدون منها وعلاقاتهم بعضهم ببعض

"كنتُ أمشي مثلَ الطاووس حينما تراني عزيزة وأنا عائداً إلى البيت. تنظرُ نحوي

وتقول:

- ما أجملَ ملابسَ الكشافة !

أسألها وأنا أتخطّر أمامها:

- هل تعجبك؟²

ونرى كيف أن الأم تلاحق طفلها كي يستحم، فإن اللعب عنده أهم من الاستحمام "وقالت تلاطفه: قم يا شاطر، سوف أحملك اليوم. ملابسك وسخة.

- والله لن أقبل.

- أي لا، اليوم يأتي أبوك، وسيحضر لك بقلاوة.³

"خرج جمال الزين من البيت وانطلق الى إحدى الساحات الكبيرة وقال: إنَّ الأمل

والحلم بالبيوت والاستقرار والتحرير والهدوء هو حلم كل طفل فلسطيني.

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص26، ص24، وينظر خبز الآخرين ص93، ص94، أحلام الفتى النحيل، ص31، كلام مريم ص15.

² شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص19، وينظر أنا وجمانة ص71، ص85، مريم وكنعان ص4، كلام مريم ص16.

³ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص88.

-هنا سوف ألعب وأبني بيوتاً جميلة¹، وما نظرة حاتم الي الغيوم والتأمل فيها إلا رمز للمستقبل الطفولي عنده.

ألاحظ أنك تظل مفكراً حيناً،محدقاً في الغيوم حيناً آخر.ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي نهتني فيها عن التحديق في الغيوم²

نلاحظ التشبيه عند شقير عندما شبه الأطفال بالعصافير في قوله "سوة الشفق العشرين التي تقع في أجمل أحياء المدينة،بعد أن أطلق أطفالهم مثل العصافير إلى مدارسهم،وبعد أن ودعن أزواجهن عند أبواب الأبنوس بقبل سريعة وتحايا من الأصابع الرشيقة المتراقصة"³ سألته:

-لماذا ينسفون البيوت ويضعون الناس في السجن⁴، ولذلك الوضع بالنسبة لفراس، إن العمر الذي يكتب له شقير، هو سن في غاية الخطورة؛ لأنَّ الطفل في هذه السن دائم الأسئلة ويحب الاستكشاف، فهو يسأل عن كل شيء ويريد أن يمتلك كل شيء.

"لم يكن فراس يعرف ما هو السجن،فتصور أنه مكان تكثر فيه الطيور والأشجار والمناظر الجميلة،وإلا لما فضله أبوه على البيت وعاش فيه."⁵

ولهذه الأسباب فإنَّ الطفل الفلسطيني يختلف عن بقية أطفال العالم، وهذا صحيح، حتى أصبح هذا الأمر يدرس لطلاب المدارس، وهذا ما ذكره معلم التاريخ للأطفال، إذ إن حاتم ابن الثالثة عشرة هو أكثر من سنة.

"إنه في الثالثة عشرة من العمر، طويلُ القامة، أسمرُ البشرة. لم يعيش طفولته على نحو صحيح، وهذا الرأي ليس لي، وإنما سمعته من معلم التاريخ، قال إن أطفال فلسطين لم يعيشوا طفولتهم على نحو صحيح بسبب الاحتلال. حاتم، بطبيعة الحال، واحدٌ من أطفال فلسطين، وهو لم يعيش طفولته على نحو صحيح."⁶

1 شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص40.

2 شقير، محمود، أنا وجمانة، ص74.

3 شقير، محمود، طقوس للمرأة الشقية، ص73، وينظر خبز الاخرين، ص115.

4 شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص 35، وينظر ص33.

5 نفسه، ص26.

6 شقير، محمود، أنا وجمانة، ص23.

"وكذلك جمانة سمعت من معلمتها هذا الموضوع "وقالت:- حاتم لم يعيش طفولته، إذ بدلاً من الذهاب إلى اللعب والانخراط فيه إلى أبعد الحدود، وجد نفسه مضطراً إلى مقارعة الجنود بالحجارة. كانت لعبته المفضلة قذف الجنود بالحجارة، واستنشاق روائح الغازات المسيلة للدموع، والاختباء خلف المتاريس لتجنب طلقات الرصاص".¹

حاول شقير أن يبرهن أن الطفل يحمل رمز المستقبل والخير والأمل والبقاء، فهو من خلال قصته التي لم تحمل اسماً؛ إذ اكتفى بضمها إلى قصتين مجهولتي العنوان والقصص الثلاث جاءت تحت عنوان "ثلاث قصص قصيرة جداً، يبشر بمستقبل مشرق.. يحمل الخير والبركة عندما أطلق اسم مطر على طفله الذي ولد في يوم منتج ماطر" بشرته القابلة بالمولود الجديد، فرك يديه منتشياً وقال: سيكون اسمه مطر"²

"على الدهشة والفرح:

- هل سمعت غناء الأطفال؟؟ إنه يملأ القرية أملاً."³

"هكذا كنت أراني في بعض الأحيان:

أنهي المدرسة بتفوق، أحصل على بعثة للدراسة الجامعية في مصر هناك، أتعرّف إلى فانت حمامة، تهتم بي لأنني أحد المعجبين بها وبأفلامها. أكتشف أن لفانت حمامة أختاً، تدرس معي في الجامعة، أقع في حبها، وتقع هي في حبي، تقول لي: كم أحب لهجتك الفلسطينية يا سي مهند! أقول لها: أنا أيضاً، أحب لهجتك المصرية يا تفيدة. أتقدم لخطبة تفيدة، تقوم فانت "نعم فانت هكذا دون تعقيدات" بتسهيل أمر الخطوبة."⁴

أعطى شقير الطفل مساحة من الحرية في السرد بما في أحلام الفتى النحيل، "تمددت في سريري وتذكرت أمي وأبي. توقعت أنني حينما أعود إلى البيت ستسألني أمي: أين نمت؟ سأصمت لحظة، لأن لديّ خبراً مهماً. أقول لها إنني واقع في الحب. تسألني: من هي التي تحبها؟ أقول: واحدة من بنات المدينة. سنفرح لأنني أحب بنتاً من المدينة. تعدي بألاً تخبر أبي كيلا يعترض على هذا الحب."⁵

¹ نفسه، ص 24.

² ينظر، شقير، محمود، ثلاث قصص قصيرة جداً، دار اية للنشر، حيفا، 2012، ص 103.

³ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 70.

⁴ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص 35.

⁵ نفسه، ص 53.

الفصل الرابع

التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أدب محمود شقير.

اللغة

الأسلوب

الصورة

التناسق

السرد

1- اللغة:

يجد الباحث صعوبة في تتبع نشأة الازدواجية بين الفصحى والعامية في التراث العربي تتبعاً تاريخياً؛ إذ إن اللغة كما عرفها ابن جني أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم¹، ولغة الأطفال تختلف عن لغة الكبار من جوانب عدة، فاللغة في قصص الأطفال ينبغي أن تناسب معجم الطفل اللغوي و يكون في مقدوره فهمها وإدراك معانيها، "ولا بأس من استخدام الكاتب لغة أرقى من اللغة التي يستخدمها الطفل بقليل، ما دامت في مستوى قاموسه اللغوي؛ ليستفيد منها ويحاكيها، على أن تكون الألفاظ سهلة والمعاني ميسورة الفهم؛ لأن اللغة أسلوب للتفكير فضلاً عن دورها الفاعل في حفظ التراث، أضف إلى ذلك سهولة اللغة وانتزاعها من الواقع المعاش للطفل، فضلاً عن استغلال عنصر التشويق إلى أبعد الحدود، بوساطة طريق البناء الحكائي للقصة."² ومعرفة الكاتب القصصي للغة أمر ضروري، كما هي ضرورية أيضاً لكل كاتب؛ لأنها الشكل المادي الذي تكتسب به القصة وجوداً واقعياً.³

كما تمثل اللغة عاملاً حاسماً في تشكيل القصة القصيرة، وفي بلوغها حدود النجاح والتأثير، من خلال السيطرة على الاحتمالات الأسلوبية، والتنوعات المحتملة للصياغة، يتم تقصير الشريط اللغوي، وتحمله بالدلالات والإيحاءات، ومن التقنيات اللازمة في هذا السياق تقنية الحذف، الذي ينتج أنماطاً من الجمل الثابتة في النص، نتيجة لاكتنازها واستقلالها النسبي، كأن الجملة تقوم مقام فقرة أو طائفة من الجمل، وهنا تتجلى خبرة الصياغة وآليات الكتابة، كيف تقنع القارئ بالاكْتفاء بعدد محدود من الكلمات، التي تحمل طاقة واسعة من الدلالات.⁴

إن توظيف اللغة توظيفاً جيداً يمنح الأسلوب غرابة تفاجئ القارئ وتبعث في نفسه الدهشة، وهذا يقود إلى التعرف إلى بنية النص عند شقير؛ لملاحظة النزوع إلى البساطة، وهي بساطة قد لا تتورع عن اختيار الحاجر اللغوي الذي يعتمد على إطلاق مخزون اللغة الإيحائي وتفجيره؛ كي يلفت انتباه القارئ إلى جماليات النص ودلالاته المتنوعة والعميقة والهادفة.

¹ ابن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت. 133/1.

² حلاوة، محمد، أدب الأطفال، 2003، ص154.

³ ينظر السمرة، محمود، في النقد الأدبي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974، ص 31.

⁴ عبد الله، محمد، بلاغة السرد، ص14.

إنّ اللافت للنظر في أدب شقير الطفولي تلك الجمل الاسميّ الحالية، وهذا شيء طبيعي، فهو يريد أن يوصل المعلومة بهيئتها وحالها وتقريبها إلى ذهن الطفل، فهو يخاطب الطفل، كما في العبارات الآتية، فقد " وصلت سناء إلى البستان وهي تلهث"¹ والأطفال "يتراشقون بالماء وهم يضحكون"² و "قال وهو يبتسم بخجل"³، "كدت أصرخُ صرخةً مدويةً غير أنني تحمّلتُ بالصبر دقيقةً أو دقيقتين، بعد ذلك حاولتُ أن أصرخ، فلم يصدر من حنجرتي أي صوت، هل كتم الرعبُ أنفاسي؟ أم تعطلّت قدرتي على الصراخ؟ لا أدري"⁴، فنلاحظ غالبية الجمل الحالية قصيرة.

ولكننا نلاحظ أحياناً غموض في اللغة الطفوليّة التي تصل حدّ الكلام غير المفهوم بالنسبة للطفل، مع أنّ هذا الغموض يخدم الجو العام لقصصه الحادة في سخريتها، كما هو الأمر في قصة "مريم وكنعان". إذ جاءت لغة الطفل قصيرة مؤثرة تعطي الصورة كاملة، وغالباً ما كانت تتكون الجملة من فعلٍ وفاعل كما جاء على لسان النهر: "قال النهر: يموت الإنسان، ويجفُّ النهرُ، ويختلُّ نظامُ الكون، وتنتهي الحياة."⁵

لا يكفي أن يكتب الأديب عن الأطفال ويصور حياتهم ويعكس تجاربهم، حتى تكون كتابته ملائمة وناجحة، بل لا بدّ أن يراعي في كتابته، أن تكون لغته وأسلوبه في مستوى قدرات الأطفال اللغوية، وعلى أديب الأطفال أن يتجنب غريب الألفاظ ومجاز الأساليب وأن يجعل جملته قصيرة⁶. وهذا ما لمستّه الباحثة في قصص شقير، نلاحظ ذلك واضحاً في قصة أدهم يعتذر لفدوى " قال بصوت خافت: نعم، أنا زعلان. زعلان؛ لأن الأطفال في مخيم اليرموك يموتون من الجوع، ومن البرد يموتون"⁷

1 شقير، محمود، مريم وكنعان، ص20.

2 نفسه، ص16.

3 شقير، محمود، أنا وجمانه، ص50.

4 نفسه، ص77.

5 شقير، محمود، مريم وكنعان، ص18.

6 أبو فنة، محمود، وآخر، آفاق جديدة، دراسات وأبحاث في أدب الأطفال، الناصرة، ط1، 1996، ص30.

7 شقير، محمود، جمانة الرمانة وقصص أخرى، منشورات الزيفونة لتنمية ثقافة الطفل، رام الله، ط1، 2016، ص2.

"يعتمد محمود شقير في قصصه وإبداعاته على لغة "السهل الممتع" أي لغة سهلة عذبة لا مبالغة فيها ولا تهويل، إلى لغة فن القول البسيط الممتع إلى لغة الفعل"¹

جاءت لغة شقير بسيطة ولكنها دالة ومعبرة، وهي في الوقت نفسه سريعة الوصول إلى الغرض، فهو مع الطفل لا يستخدم الجمل الطويلة والتعابير الثقيلة، وإنما يستخدم الجمل القصيرة وتكاد بعض الفقرات عنده تصل إلى مستوى الشعر لإجادة الوصف.

يكشف الكاتب في اختيار المفردات لقصصه عن شخصية لغوية؛ لأن لغته حداثيّة، تتحرك إلى الأمام، مع كل تجربة جديدة، وتبتعد شيئاً فشيئاً عن الجمود الذي كانت تفرضه الواقعية ذاتها على بعض النصوص، عربية كانت أم غير ذلك، فهو ممتع في لغته مطور لها، مدقق بوعي، في لغته اقتصاد شديد يفرضه هذا الفن، وفيها جمال، وكثيراً ما تغني الصورة الموحية فيها عن المفردة الجامدة، دون أن يدخل الاهتمام الجمالي باللغة العربية لذاتها، دون وظيفتها، كما يفعل من لا يتقنون هذا الفن الأشد صعوبة بين فنون الكتابة؛ لأنه يوهّم بأنه يقع على حدود الرواية من ناحية، وحدود الشعر من ناحية أخرى، وهو غير ذلك بكل تأكيد؛ لأنه فن مستقل عن كليهما، تربطه بهما حدود التعبير الفني عن طريق اللغة²

وبتوصيف الكاتب نفسه كان لا بد من "الاعتماد على اللغة، والاشتغال المتأنّي عليها، لاستخراج ما لديها من قدرة على الإيحاء، وللابتعاد ما أمكن عن نزعة الإخبار، عند هذا الحد وجدتني أقرب من عالم الشعر؛ لأستفيد من بعض عوالمه وتقنياته، وكنت معنياً، وأنا أخوض غمار هذه التجربة الجديدة - تجربة كتابة القصة القصيرة جداً - بمبدأ الاقتصاد الشديد في اللغة، علاوة على التكتيف البالغ والبساطة المتناهية"³

جاءت لغة النص متينة، إذ لم يعان من أي تنازل كبير على الصعيد الفني بما فيه النسيج اللغوي المتميز، فقد استقى الكاتب مفرداته ولغته من تجربته الشخصية وواقعه الاجتماعي، وهذا واضح في قصة "الفتى الريفي"، فعندما عاد توفيق من المدينة، وصف شقير هذا المشهد

¹ ياغي، عبد الرحمن، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، دار الشروق، عمان، ط 1، 1999، ص 143.

² ينظر أبو بكر، وليد، محمود شقير، كتابة معاشية، طقوس للحياة، موقع محمود شقير الالكتروني.

www.mahmoudshukair.com

³ شقير، محمود، شهادة الكتابة في كتاب التحولات في القصة القصيرة، دار الفنون، عمان 2001 / ص 97.

للأطفال. "ومع الغروب أطلَّ على القرية... كان الأولاد يلعبون حينما أبصروا التكريسي اندفعوا صوبه متصالحين وحدثوا بداخله.. وانطلقت أصوات مدهشة.. ياالله توفيق الفار راكب تكسي¹.
بهذه الرؤية المواربة يدخل شقير إلى مواقف قصصه، ويقوم بالتركيز على المعنى المتواري، معتمداً على اللغة، توحى ولا تخبر، تنقل الأثر ولا تصف الحدث أو تنقله²، فالواقع عنده يتخذ سبيلاً فيه قدرٌ من الخصوصية إذ يغدو خليطاً عجيباً من الواقع والفاقتازيا؛ لينتهي إلى السخرية المرة الناقدة المنقودة في ذاتها"³.

ففي قصة" قالت مريم ".قال الفتى تحمل اللغة صوت ذات الطفلة "مريم" وهي تعلق على الآمال والرغبات الكثيرة وانسحاقها، مثل العالم الذي يخلو من الظلم والتبعية والاستبداد وتبدو استحالة تحقيق هذه الرغبة حتى في الخيال، فقد "حافظ شقير على التزامه الثابت، وعلى هذا التوازن، الذي ظهر في حياته وفي إبداعاته وفي لغته، وقد مكنه من الانتفاع بالفكر السياسي"⁴، ولعل هذا واضح في قصة "عصفور سناء"⁵ لقد جاءت لغة القصة بسيطة واضحة وقريبةً من معجم الطفل اللغوي، فالأطفال الذين دخلوا في مرحلة القراءة لا يجدون صعوبة في فهم النص، والوقوف على معنى عباراته. حيث حرص الكاتب على مراعاة الجوانب اللغوية والنحوية، كالمحافظة على تسلسل الجمل وترتيبها، والتنوع بين مختلف أضراب النحو. وتوزيع الجمل بدورها بين الاسمية والفعلية وشبه الجملة وترتيبها وخاصة الجمل الحالية بأنواعها كافة، " فقد اعتنى الكاتب بأداته الفنية، ولكنَّ إصرار شقير على استعمال الفعل كان في أكثر من موضع، أضعف بنية الكثير من جمل القصة، هذا الفعل يتكرر في قصص المجموعة وبكم هائل"⁵.

ولمحمود تيمور في هذا المجال رأي خاص؛ إذ يرى أن كاتب القصة " إذا تنقل بين العامي والفصيح في عمل واحد، سواء في السرد أو في الحوار، فسح المجال لشغرات وفجوات

¹ شقير، محمود، الفتى الريفي، ص82.

² ينظر عبدالله، محمد، بلاغه السرد، ص13.

³ داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، ص21.

⁴ ياغي، عبدالله الرحمن في النقد التطبيقي، ص 145.

⁵ رضوان، عبدالله، البنى السردية، ص184.

فنية، يشعر بهاهو والقارئ، كأنها مساقط الهواء يتعرض لها ركاب الطائرات في نواحي الجو، أو ركاب السيارات في الطرق غير المعبدة، إذ يفقد العمل مظهر التناسق والتوافق والألفة في التعبير، كما تفقد القطعة الموسيقية ما يطلق عليه اسم الهارموني " كما في قصة " خبز الآخرين " إذ زوج بين العامي والفصيح¹.

نلاحظ هذه اللغة على لسان توفيق في قصة "الفتى الريفي"، إذ جاءت اللغة قادرة على التعبير عن الشخصية والحدث والمكان والزمان بدقة متناهية، إذ كانت لغته غنية ومكثفة وشاعرية، يقول الفتى ربما عرف أنني مدننت...خليه... يعرف..سوف أصرف وأنبسط.. قال... قال، حينما تقبض الثمانية دنانير يا ولد، فسوف نسدد للدكانجي أربعة ونشتري للدار كيسين طحين...ايه... كل الأولاد زاروا المدينة، وأنا طول عمري أقطف زيتون وأرعى عجول وأحصد.. والله هذي ليست معيشه"²

نلاحظ هذه اللغة الشاعرية في قصة اعتصام "نامت فدوى ورأت في المنام نساءً ورجالاً يكسرون أبواب الحديد ويخرجون راكضين في الفضاء الحر مثل الغيوم"³، إن نصوصه ليست بالشعر ولكنها قريبة منه، ومع ذلك فقد وردت بعض المفردات التي أراها تفوق مستوى الطفل كما في: قعقة دمدمة، كما هو الأمر في النصوص الآتية:

"هياً حاتم نفسه لإلقاء بعض أبيات من الشعر، وفي تلك اللحظة، التمتع البرق في السماء، وأرسل الرعد قعقة طويلة مدوية"⁴

ويقول " انتبه كنعان إلى دمدمة النهر"⁵

ويقول "قال النهر في بساطة، ودون أن يكف عن الدمدمه:

أبدأ، لست حزينا"⁶

¹ تيمور، محمود، أدب وأدباء، ط القاهرة، 1968، ص 65، وينظر فاعورمايين، القصة القصيرة الفلسطينية، ميلادها وتطورها، دمشق، 2001، ص 241.

² شقير، محمود، خبز الآخرين، ص 77.

³ شقير، محمود، جمانة الرمانه، ص 22.

⁴ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 83.

⁵ شقير، محمود، مريم وكنعان، ص 16.

⁶ نفسه، ص 16.

وأمام هذه اللغة تأتي ملاءمة أسلوب الكاتب لهذا الجانب ومرحلة الطفل العمرية "لأن القصة تجسد منحى من مناحي الحياة ومظهرها، ويجب أن يكون لكل منحى ومظهر فيها أسلوبه الذي يلائمه"¹

جاءت لغة شقير المقدمة للطفل ميسرة بسيطة بشكل عام، ثلاثم الجيل الذي أعدت من أجله، ومع ذلك نلاحظ أحياناً مفردات تفوق مستوى الطفل، واستخدمت أحياناً أخرى مفردات من اللغة المحكية؛ لأن اللغة العامية " تلعب دوراً مهماً في جعل النص متوتراً وذلك حين تمتزج العامية بالفصحى، هذا المزج يحتاج إلى براعة فنية حتى يبدو طبيعياً وغير متكلف، لكنه في الوقت نفسه مثير للدهشة"².

ولا يغيب عنصر التشويق عن القصة من خلال صياغتها باللغة العربية الفصيحة، كما هو الأمر في قصة "خبز الآخرين"، إذ جاءت لغة القصة بسيطة وسهلة وقريبة من معجم الطفل اللغوي، فهي ملتزمة بالوضوح والتسلسل والترابط بين عناصرها.

واختار الكاتب مفردات سلسلة خفيفة، يستسيغها الطفل، وهي قادرة على حمل الصور، ويبرز الصوت الذاتي للطفل قوياً كما في مجموعة "أحلام الفتى النحيل" وقصة " بقرة اليتامى" وقصة " عصفور سناء".

ذكرت الكاتبة إلهام دويري في لقاء أجرته معها صحيفه "بانوراما" أن مقولة وجوب نزول الكاتب لمستوى الطفل تزعجها كثيراً، وأنه يجب الصعود معه في الكتابات، وأن الكتابة للأطفال فيها سمو؛ فهم عابرة، ويمتلكون القدرة على الفحص والتحليل والانتقاد، ولديهم مهارات لا يمتلكها الكبار"³، وهي تتفق من جانب مع شقير في هذا الرأي.

الطريف في لغة محمود شقير هو العلاقة الوثيقة بين لغة الشخصية والحدث، إذ إن لغة القصص تتسق مع الشخصيات وموقعها داخل شبكة الحدث والأحداث، فصيحة وعامية، تضمين للشعر وللقول المأثور والمثل الشعبي، وابتعاد عن زجر اللغة وتمييق المفردات. وينسجم هذا

¹ تيمور، محمود، أدب وأدباء، ص20.

² غنايم، محمود، المدار الصعب، رحلة القصة، في إسرائيل، سلسلة منشورات الكرمل "6" كفر قرع، ط1، 1995، ص175.

³ مقالده، هدى، سلسلة كشكش ولوزه، لإلهام تابري، ص100.

الاستخدام للغة واللهجات مع طبيعة القصص، حيث الواقعية هي تربة الخيال الفني عند محمود شقير¹ وهذا ما نراه واضحاً بشكل كلي في قصة "الفتى الريفي": أبي جاء... أبي جاء.... وكان من عادة والده أن يضع السلة على الأرض، ثم يقرفص بين ذراعيه، وأقترب، اعتراه التردد، لم يفتح ذراعيه، ولم يعره انتباهاً، حدق طاهر بلمعان، أحس بمرارة لاذعة، وعاد يقطع الطريق، وكان وحيداً، وفجأة أبصر الأطفال يتراكون صوبه متصايحين، لم يفهم شيئاً، ولكنه حدق إلى الخلف حيث يتجهون، أبصر سيارة تترنح على الطريق الترابية وتزحف صوب القرية، ونسي طاهر هزيمته وانطلق يعدو مع الأطفال، واقتربت السيارة، وصاح طفل (يا الله، إنها غريبة، ليس لها بوز، وتعلق بعض الأطفال بمؤخرة السيارة، بينما كان الآخرون يشيعونها بعجب... وأخيراً وقفت السيارة، وتعلق حولها الأطفال بعيون محملقة باهتة، بينما كان ثلاثة من أبناء القرية يسحبون من بابها الخلفي شيئاً طويلاً ملفوفاً².

وفي قصة "ليل ولصوص" فتح شقير القصة على التجارب التقنية الجديدة التي تساعد في تحليل الشخصيات وتأزيم الموقف، مثل إفادته بصورة جزئية من الحلم البسيط في تخيل الفراش الذي يحترق في تهافته على النور، وفي الإفادة من التعبيرات الرامزة التي تسعى إلى تكثيف اللغة مثل قول الطفل: لماذا يستमित الفراش على النور يا أمي؟ إذ تنتهي القصة باستشهاد الأب المقاتل: "وسارت وجوه عابسة في اتجاه شمس الضحى لا أدري إلى أين تسير، ولا أين تستقر، لفني الفرع فلم أتذكر أن أسأل أمي: أماء... متى نعود إلى بيتنا لقد بقيت لغة القصة مركزة، لم تفقد حيويتها أمام المواقف المأساوية الضيقة"³، إن التركيز اللغوي واضح بشدة في قصص شقير الموجهة للطفل نلاحظ هذا واضحاً في قصة فدوى والجنود "أخرجت من جيبها ممحاة ثم راحت تمحوهم واحداً واحداً. وبعد لحظات، لم يعد في الساحة أحدٌ من جنود الأعداء. فرح الأولاد والبنات، وظلوا يلعبون حتى المساء."⁴

¹ مجلة الموقف الأدبي/دمشق/العدد408/نيسان 2005 www.mahmoudshukir.com

² شقير، محمود، خبز الآخرين، ص95.

³ ينظر مجلة الأفق الجديد، عدد1962، ص11 وص46.

⁴ شقير، محمود، جمانة الرمان، ص14.

نلاحظ انسجام المستوى اللغوي للقصة عند شقير مع مستوى خطاب الشخصيات، فلا تجد لغة تفوق لغة، خصوصاً في الحوارات المباشرة، إذ يلوذ القاصّ كلما تطأبّ السياق بلغة الحياة اليومية /الشعبية؛ لأنها الأقدر على إيصال المشهد السردي بحركة وحيوية¹.

لقد لجأ محمود شقير في قصصه الطفولية إلى البنية البسيطة الواضحة في تفسير العلاقات الاجتماعية في أبسط حالاتها، كما لجأ إلى العلاقات اللغوية القادرة على تحقيق القيم وتوضيح تلك العلاقات وحين "يلجأ إلى ذلك يضمن وصوله إلى النفوس الصغيرة المتفتحة وإلى النفوس الكبيرة الواعية على حد سواء"²

وأظنُّ أن اللغة في قصص الأطفال وإن كانت بسيطة ومفهومة وواضحة، فإنها يجب أن تكون سليمة؛ لأنها إن لم تكن كذلك سوف تُدخل الطفل وربما المربي في حيرة من أمره، ولا يدري إن كانت هذه كلمة سليمة أم لا، فعندها يقرأ الطفل قصة كتبت بلغة سليمة، ثم يصطدم بكلمة من اللغة العربية، فإنه سيعتقد أنها سليمة كسابقاتها، فيصعب عليه التمييز بين هذا وذاك، ثم كيف سيتعلم اللغة السليمة إن كتبنا قصصه بالمحكية؟! وهل يجب أن نصدمه مرة واحدة عند دخوله المدرسة بوجود لغة ثانية لم يُكشف عنها مسبقاً.

إن استخدام كلمات من اللغة المحكية في قصص الأطفال يجب أن تتماشى مع قاموس الطفل اللغوي، فإنها في الوقت نفسه ينبغي أن تكون بعيدة عن السذاجة والسطحية، وكذلك فصيحة وسليمة، وأرى أن السهل الممتنع أمام مشكلة ازدواجية اللغة التي وظفها شقير هي قمة البلاغة " فلا يحبز استعمال العامية في قصص الأطفال بتاتاً؛ حتى لا يبلبل الطفل والمربي أحياناً، فيسألون هل هذه بلاغة الكلمة عامية أم سليمة، ولا يوصى باستخدام الألفاظ الفخمة المعقدة، إنما اللغة السليمة البسيطة الواضحة"³، كما يوصي أحمد نجيب " باستخدام كاتب الأطفال مفردات

¹ ينظر، داود، أماني هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، ص 16.

² ياغي، عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، ص 99_100.

³ مقالده، هدى، سلسلة كشكش ولوزة لإلهام تابري، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، مجمع القاسمي 2014، ص 101.

مشتركة بين اللغتين المحكية والفصحى في قصص الأطفال، كأحد الحلول لمشكلة ازدواجية اللغة¹.

وما كتبه شقير للطفل يتفق وما قاله أحمد نجيب حول لغة الكتابة للطفل، فنلاحظ أن شقير ألح على تفصيح العامي أحياناً؛ وزوج بين العامية والفصحى؛ كي يكون أقرب إلى الواقعية، يقول في قصة نجوم صغيرة:

– "امشوا من هنا... يله

ولم يعبأ به الأطفال، وألحوا عليه:

– أعطنا طحيناً.

– امشوا، ملعون،

امشوا يله²

– "والله أشلع أذنيك و"أحط فيك ضرب اللطامات" وكان طاهر يزيل القذى عن رموش عينيه³.

نرى أحياناً ان لغة الطفل جاءت في مستوى تركيب فوق ما هو متوقع، فالطفل يتحدث بلغة فصحى وأمه كذلك، كما في قصة "اليوم الأخير" لقد جاء الحوار بين الطفل طاهر وأمه حواراً مفصّحاً، ثم ما لبث أن تحول إلى العامي:

"_ يا حبيبي، ابق في البيت... أنا ذاهبة إلى دير الراهبات؛ لمعالجة أخيك وسوف أعود بسرعة وسوف اشتري لك برتقالاً.

– والله لن أقبل، يجب أن أذهب معك

– يا عيبك. سيخطفونك ويأكلون لحمك

– من هم! كذابة، والله لا أريد⁴.

¹ ينظر، نجيب، أحمد، المضمون في كتب الاطفال، 1991، ص56.

² شقير، محمود، نجوم صغيرة، ص67.

³ شقير، محمود، خبز الآخرين ص 88.

⁴ نفسه، ص111.

جاءت اللغة تتطابق مع المستويات الثقافية والنفسية والاجتماعية للطفل، ويبرز محمود شقير "قدرته كقاص بارع في التقاط الواقع الاجتماعي بشكل خاص في لغة حوارية متميزة، تستخدم الداخلي لكشف الداخل في تفاعله مع الخارج، داخلية الشخصية القصصية بنقلها القاص بلغة بسيطة، تتناسب مع الوعي الذي تمتلكه هذه الشخصية"¹.

إن الخصوصية في الانتقاء اللغوي هي في مقدرة شقير وبراعته في توظيف الجمل القصيرة لخدمة النص ووصف شخصية الطفل وتطوير الفكرة.

2- الأسلوب:

ربما من الأفضل ألا نخضع أسلوب شقير لتعريفات النقاد، فربما نحملُ نصوص الطفل أكثر مما تحتل، ولكن هناك خصوصية واضحة في الانتقاء اللغوي عند شقير، فهو يتفق أحياناً مع تعريفاتهم ويختلف أحياناً أخرى، إن تعريف الأسلوب عند صلاح فضل يتفق تماماً مع ما كتبه شقير للطفل من حيث الصورة والفكرة واللفظ²، حاول كثير من الباحثين تعريف الأسلوب، وخلصوا إلى تعريفات عدة، منها _ كما يقول صلاح فضل، هو "محصلة مجموعة من الاختبارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل"³.

كما يذهب الشايب إلى أنه "يمكن تحليل "الأسلوب" إلى ثلاثة عناصر: هي الأفكار والصور والعبارات، أو هي التوافق والانسجام بين المعاني والألفاظ. إذن ليس هناك أسلوب واحد للجميع، تختلف الأساليب من أديب لآخر، ومن كاتب لآخر، ولشدة بصمات الكاتب في أسلوبه يتمكن القراء من معرفة معظم الكتاب، كما يختلف الأسلوب الأدبي من لغة لأخرى، وذلك حسب خصائص الجملة لكل لغة وتختلف الأساليب باختلاف الموضوعات، فكل موضوع يلزمه أسلوب، وباختلاف الشخصية المبدعة من حيث الأذواق والمواهب العقلية والخبرات ودرجة الانفعال وطريقة العمل"⁴.

¹ صالح، فخري، القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص 14.

² ينظر: الشايب: أحمد، الأسلوب، ص 53.

³ فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط2، 1988، ص 132، وينظر، جبور، عبد العزيز، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 ص 1200.

⁴ الشايب، أحمد، الأسلوب، درسه بلاغيه تحليلية، ط6، 1996، ص 54 وما حولها.

وترى الباحثة ما يراه أحمد الشايب وهو " الصورة التعبيرية التي يصوغ بها الكاتب قصته، متضمنة اللغة والعبارات والصور البيانية والحوار وما إليها من عناصر الصياغة، وفي هذا الأسلوب تتجلى براعة القاص في العرض وفي التأثير"¹

إنَّ قصص شقير التي كتبها بعد عدوان 1967 والاحتلال الذي أعقبه تتميز بحيوية أسلوبها، وعنف الحركة، والزمخ الثوري، ومن ناحية المضمون، فإنها تتميز بالغضب المقدس على الاحتلال وجرائمه التي لاحصر لها، وبالاصرار الشعبي الجماعي على رفض الاحتلال والاستعداد لبذل التضحيات الضرورية للتخلص منه"².

جاءت بعض الأساليب البيانية لتصور الأحداث أجمل تصوير، فاستخدم الاستعارة والتجسيم والتشخيص؛ لتجذب الطفل وتشده، حيث إنَّ مثل هذه الأساليب تعدُّ من أفضل الوسائل للوصول إلى الطفل؛ لأنَّه يستتطق كل الموجودات من حوله، ويسبغ صفة الإنسان عليها.

لقد أتى أسلوب الطفل عند شقير في مستويين: الأول أسلوب تفصيلي وتقرير مباشر والثاني يقوم على التذكر والمناجاة ، ونرى المستويين بوضوح في قصة الولد الفلسطيني؛ يقول هذا الولد:

"اليوم ذهبت إلى المقبرة، ما زال التراب طرياً حول القبر، ورننت في أذني كلمات علي عفانة: ليس لهم أولاد. الآن يرقد صديقي علي عفانة تحت التراب، سألت الدموع من عيني وأخذتُ أتساءل:

– لماذا يقتلون الأولاد؟

عدت حزينا، فقد سجنوا أبي، ونسفوا بيتنا، وقتلوا صديقي علي عفانة، وأحسست أنني أكرههم كثيرا"³.

إن التفاصيل الصغيرة في قصص شقير، مثل "الجندي واللعبة" و"الولد الفلسطيني" و"خبز الآخرين" و"عصفور سناء"، التي لا يمكن أن تنقلها كاميرات وتقارير مراسلي ومراسلات

¹ سلام، محمد زغلول، دراسات في القضية العربية الحديثة، الإسكندرية، مصر، د.ت، ص32.

² شقير، محمود، خبز الآخرين، ص7.

³ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص37.

الفضائيات، ولكنها هي التي تمكنا من لمس جوهر الإنسان الفلسطيني المقاوم، الصابر، القادر على تحمل ما لا يمكن تحمله"

"إن مثل هذه التفاصيل فيها إيمان هو سند الروح والهمّة، وهي كثيراً ما تفيضُ بالسخرية، المرّة والكوميديا القاتمة في مواجهة قوّة غاشمة، تشوه الحياة في كل جوانبها، قوّة لا عقلانية لا تستقيم مع أي منطق إنساني، ولكنها مع ذلك، وبالرغم من ذلك، مستبدة تعبت بحياة بشر، لا ذنب لهم، سوى أن أقدارهم شاءت أن كانوا ضحايا لمشروعها السياسي العدواني المدعوم من قوى الظلم"¹.

يكاد الأسلوب يكون واحداً في جميع القصص، وهو أسلوب يتسم بخاصيتين؛ أو لاهما: أنه أسلوب المدرسة الواقعية، أي الأسلوب الذي يعبر عن الأشياء بأبعادها طبقاً لقواعد المنظور، ولا يحاول أن يحطم هذه القواعد، إلا في حالات نادرة، أما الخاصية الثانية، فهو أن هذا الأسلوب الواقعي ليس أسلوباً حيادياً، بل هو مصبوغ بصبغة الكاتب وتهكمه الساخر، وهو تهكم متغلغل في الشخصيات ومفارقات الأحداث.

وهذا يتفق مع ما ذكره أحمد نجيب بشأن التكرار في الأسلوب، حيث أوصى باستخدامه؛ لأن من شأنه المساعدة في إبراز قيمة الإيقاع من جهة وإيصال الفكرة من جهة ثانية، ما يفعل على تحفيز الطفل وتلطفه للمعرفة، فقد أوصى أيضاً باستخدام التكرار في قصص الأطفال للتأكيد، كأن يُقال: أشجار عالية عالية، بدلاً من أشجار عالية جداً وهذا ما نراه واضحاً في المجموعة القصصية جمانة الرمانة"².

يطور شقير أدواته الفنية باستمرار، فيأتينا بكل جديد دائماً وهو يزاوج بين الشكل والمضمون ببنية عالية، أكثر إقناعاً ومصداقية وواقعية، وبهذا الأسلوب الفني يريد شقير أن يجعل قصصه أكثر إقناعاً ومصداقية"³.

¹ نفسه، ص 62.

² نجيب، أحمد، المضمون في كتب الاطفال، 1991، ص 59، ينظر في المجموعة القصصية، جمانة الرمانة الصفحات: 2، 4، 6، 8، 16، 20.

³ أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، عمان، دار الشروق، 2007، ص 56.

يمكن القول إن أسلوب محمود في هذه القصة "الجندي واللعبة"، هو أسلوب سهل ينسجم مع العادات والتقاليد الموجودة في سواد الناس، فضلاً عما نجده من الصدق الفني في ألوان قصصية، قليلاً ما نعهده في آثار الآخرين القصصية¹.

ويركز القاص في قصة "الولد الفلسطيني" على الحدث، مهملًا العمق النفسي لشخصياته وخصوصاً قصص "الخروج" الولد الفلسطيني و"الوطن"، أما في باقي قصص المجموعة، فإن أسلوب القصص يتراوح بين الشكل الملحمي المكثف كما في قصة "رجل قام من بين الأحياء"، والشكل الذي يركز على الحدث كما في قصة "الخروج" أو في قصة "رجل وامرأة" التي تمازج بين هذين اللونين معاً.

هل يتوقع قارئ، أو حتى فلسطيني في المنافي أو في الداخل، أن تكون "شاكيرا" و"كوندوليزا" مستشارة الأمن القومي الأمريكي و"رونالدو" و"كوفي أنان" و"موراتينوس" المبعوث الأوروبي أنصار الاشتراكيين في الانتخابات هناك، والنجمة السينمائية الفرنسية العتيبة بريجيت بارودرومايكل جاكسون، بهذا الحضور في الحياة اليومية الفلسطينية². لم يكن هذا إلا من باب الأدب الساخر، صاحب الرؤية العميقة والدلالة الأوسع والأشمل والفكر الأوعى.

إن قصص الطفل عند شقير ينتظمها خيط واحد من التماسك العضوي والتركيز المكثف على الطفل الذي يعيش فوق أرضه، وما يصادفه من القهر والظلم، ومع ذلك فإن الأطفال في مجاميعه القصصية معظمهم إيجابيون وغير انتهازيين، بالرغم مما يحيط بهم من اضطهاد وحشي، فإننا نجدهم أكثر تصميمًا على مواصلة المقاومة، وطموحاً نحو مستقبل مشرق.

3- الصورة

يتسم تعريف مصطلح الصورة في الأغلب بالغموض وعدم الدقة، فمفردة الصورة من حيث المفهوم "غامضة لكونها تسمح باستعمالها بمعنى عام مبهم جداً وواسع جداً، وذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبية خاص، وغير دقيق؛ لأن استعمالها ولو في مجال البلاغة المحصور عائم وغير محدد بدقة"³.

¹ الولي، مصطفى، الموقف الأدبي، دمشق-العدد408، 2005، ص101.

² أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، عمان، دار الشروق، 2007، ص72.

³ فرانسوا مورو: البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة: محمد الوالي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق - الدار البيضاء، 2003م، ص15.

إنّ الشيء المحبب في قصص محمود شقير المقدمة للطفل، تلك الصور البسيطة التي لا رمزية فيها ولا تجاوز للتراكيب المتداولة، ولكن إبراهيم خليل يرى أن "معيار العمل الأدبي الناجح في فلسطين، هو قدرته على استنهاض الهمم وإثارة المشاعر والنفوس، لا في قدرته على استثارة المزاج النقدي والحساسيات الأكاديمية في الأدب والفن"¹. ولا انفق معه؛ لأن شقير ابن الواقع الفلسطيني المر والصعب؛ واقع المعاناة والنفي والسجن والآلام، واقع الظلم والغضب والقهر، فهو يستخدم هذا جميعاً في توليد الأحداث وسبك الوقائع الدرامية التي يؤسسها على مثل هذا النسيج المر، "إنه يؤسس قصته على مشهد واقعي، ثم يؤتيه بأبعاد تصل هذا الواقع دون تماس مع الرومانسية والوجدانيات، غير أن المتلقي يخرج بمعانٍ وأبعاد متعددة تتداخل فيها السخرية والمفارقة والفانتازيا ويحتاج إلى إعادة تركيب المشهد القصصي وتأويله في إطار القصة ذاتها والإشارات التي تُحيل إليها شخوص القصة في الواقع ومجرياته"².

ونظراً لتداعيات الوقائع والأحداث في المشهد الفلسطيني المتأزم والمتشظي والمتغير، فإن قصصه لا تتوقف، والمشهد الدرامي لديه لا ينتهي... هي البدايات تتولد منها بدايات أخرى.. والوقائع تستجد منها وقائع أخرى حتى يخيل إليك أنها أحداث لا تنتهي ووقائع ومشاهد لن تتوقف. وفي ظل الغموض وعدم الدقة "عانت الصورة (على سبيل المثال) اضطراباً في التحديد الدقيق حتى بدت تحديدها غير متناهية، وصار غموض مفهومها شائعاً بين قسم كبير من الدارسين"³، وتعود أغلب جوانب صعوبة تحديد مفهوم محدد للصورة إلى حملها "لدلالات مختلفة وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة تتأبى التحديد الواحد المنظر أو التجريدي"⁴، فمحمود شقير يتبع القصة الواحدة بقصة جديدة، تنطلق من حيث انتهت الأولى، أو تتقاطع معها وتتشابك فيما يشبه الحلقات المتصلة أو المتوالية القصصية⁵.

¹ ينظر، خليل، إبراهيم، القصة القصيرة في الأردن، وبحوث أخرى في الأدب الحديث، عمان، ط 1، 1994، ص 68.

² داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، ص 21.

³ صالح، بشرى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي - بيروت، ط 1-1994م، ص 19.

⁴ المرجع السابق، ص 17.

⁵ ينظر شقير، محمود، جمانة الرمان، ص 10، 14، 16.

فأصبحت الصورة تدل على الصور الذهنية والبصرية وصور الغلاف وما تشير إليه من معان متعددة، فغدت تعني " الشكل البصري المتعين بقدر ما هي المتخيل الذهني الذي تثيره العبارات اللغوية، بحيث أصبحت الصورة الشعرية مثلاً تقف على مستوى صورة الغلاف نفسه، وصار من الضروري أن نميز بين الأنواع المختلفة للصور في علاقتها بالواقع الخارجي غير اللغوي، حتى نستطيع مقارنة منظومة الفنون البصرية الجديدة ونتأمل بعض ملامحها التقنية ووظائفها الجمالية".¹

وفي قصصه تحس بالحب الجارف الذي يكنه الكاتب للأطفال،فينحت أبطاله من بينهم في كل قصة تقريباً،إنه يدخلنا إلى عالمهم،ويكشف لنا عن قدرهم القاسي، وأحلامهم الرائعة، وتطلعاتهم إلى مجتمع سليم يضمن لهم القوت والفرحة وإمكانية التطور،فتتمنى لو تستطيع أن تحققها لهم،كما هو في مجموعة خبز الآخرين والولد الفلسطيني والحاجز²

وهذا ما أشار إليه سليمان العيسى حينما استخدم مفردات عميقة الإرث المعرفي في علاقاته مع الأطفال،فقال"ربما تعمدت الرمز والصعوبة في الألفاظ أو الغرابة في بعض الصور، وربما كانت العبارات فوق سن الطفل، كل ذلك أتعمده،وأقصده؛لإيماني بقدرة الطفولة على الالتقاط والإدراك بالنظرة"³.

إن هذا النص في مجموعة طقوس للمرأة الشقية، ولم تكن هذة المجموعة مقدمة للطفل، ولكن صورة الطفل حاضرة فيها، إذ نرى أن الطفل تثار لديه مكامن التفاعل والانفعال والانفتاح على الماضي السيئ،فتكون الصورة معبراً أو جسراً؛ لتوسيع مدارك الطفل عن الماضي الذي لايريد الكاتب للطفل أن ينساه في تفاعله وتناوله لمفاهيم الحياة والتعامل مع قيمها المتعددة،وبهذا يكون النص قد حقق أهدافه.

يصور شقير الطفل في قوله "تزيد إليه الأم معنفة،تشده من أذنه أمام الخلق،أجمعين يمشي خلفها حزينا، لم تعد تستهويه الصخور بأشكالها المتباينة،ينساب في قلبه إحساس بأنه ثمة

¹ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص9.

² فضل، صلاح، قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق_مصر، ط 1، 1997، ص5.

³ العيسى، سليمان، شعر الأطفال، سوريا، ط1، 1981، ص 365.

منغصات كثيرة تحجب هذا العالم، تزداد شكاوى الأم من طول الطريق، ينطلق صوتها ملعلعاً، يقترب الطفل من أمه يلتقط يد أخته الصغيرة، يفتادها عبر دروب متعرجة ويدرك أنه يكبر قبل الأوان. كانت تلك خطواته الأولى بعيداً عن الوطن، ولم يعرف معنى ذلك إلا فيما بعد¹.

يؤدي هذا التداخل بين الصور والأنواع إلى محاولة رصد عمليات الخصوصية والتمايز بين الأنواع على أساس الصورة، وطريقة توظيفها أسلوبياً، مما يعني تحديد أساليب التعبير الخاصة بكل نوع، "فلكل جنس أشكال تعبيره المحددة التي لا تقتصر على تكوينه فحسب، بل تشمل أيضاً مفرداته ونحوه وأشكاله البلاغية وأدواته الفنية التصويرية"².

إن في الصورة التي رسمها شقير للطفل نوعاً من الجاذبية والتشويق للمشاعر من خلال الإيحاءات والجماليات، التي من شأنها أن تجعل الطفل يتعلق بتراب وطنه وهوائه، ويعتز بأهله ونضالاتهم، وهذا ما يراه فراس عندما يعرف أن الذي يمنع أباه من العودة للبيت هم الأعداء "ودهش فراس حينما رأى الشرطي يدفع أباه بقسوة خلف القضبان، حتى غاب عن بصره... عاد فراس مع أمه متفكراً مهموماً، وأدرك أن الأعداء هم الذين يمنعون والده من العودة إلى البيت"³.

غير أن الباحثة تسجل على القصة ملاحظة لا تنقص من قيمتها بأي حال من الأحوال هذه الملاحظة تتلخص في أن هناك خطورة على وعي الطفل حين نوسع من دائرة التناقضات؛ لتشمل البعدين الطبقي والوطني في دائرة الصراع، ذلك أن تجارب الشعوب الناهضة لتحرير أوطانها، تؤكد على غياب التناقضات الثانوية في مرحلة التحرر الوطني، هذا بالإضافة إلى دعوة المربين إلى تفتيح عقل الطفل على القيم الإيجابية والكلية أثناء عملية تشكله الجسدي والنفسي والعقلي⁴.

ترى الباحثة أن الكاتب قد وضع يده على هموم الناس، آمالهم وآلامهم ومآثر الوطن السليب، فهو يطوع نصه من خلال صور بسيطة في مخاطبة الناشئة والأجيال المتلاحقة التي

1 شقير، محمود، طقوس المرأة الشقية، ص79.

2 فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مصر، ط1، 1998م، ص 335.

3 شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص27.

4 المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ص67.

يقع على عاتقها خلاص الوطن وتحريره، ومثل ذلك فيه تأثير للغاية وبث القيم الإنسانية النبيلة في نفوسهم؛ لأن الإنسان بلا قيم وأخلاق ودوافع وأهداف، كما الجسد بلا روح.

إنّ اللافت للنظر عند شقير أنّه يركز على الماضي ويلح عليه، ولكن يجب علينا أن لا نهمل الحاضر وعلينا التطلع للمستقبل، ربما يريد أن يحفر في ذهن الطفل من خلال القتل والمظاهرات وتقطيع الأشجار الصورة البشعة للاحتلال، وأنه لا مجال للحديث معهم والالتقاء بهم، وهذا ما كشفه كنعان الذي كان صديقاً لديفيد، يقول: "ذهبت مع أبي إلى الاعتصام، كانت الجرافات تجتاح الأرض دون هوادة، وتقطع ما يعترض طريقها من أشجار، كنا جمعاً كبيراً من الرجال والفتيان والنساء والفتيات، وقفنا أمام الجرافات صفاً واحداً، لكي نعيقها عن الحركة، جاءت سيارات مليئة بالضباط والجنود، التفوا من حولنا غاضبين ثم رأيتهم، عرفته منذ اللحظة الأولى، وقلت لأبي: هل تعرفه؟ فلم يجب، قلت: هل تتذكر الصورة؟ قال: أية صورة؟ ثم بدا عليه أنّه أدرك ما أقصده، حدّق في الضابط ملياً، قلت في نبرة استياء: إنه والد ديفيد"¹.

نلاحظ تجديد الصورة إن جاز التعبير والتنوع في وسائل عرضها من خلال إنجازها اللفظي وقيم تأثيرها الجمالي، كما نلاحظ في قصة "ليلي بلا بيت" أن الصورة لا تكتسي دلالتها الجمالية والبنائية ووظائفها التعبيرية والتأثيرية: إلا من خلال إسنادها إلى معين بلاغي "لممت ليلي دفاترها وكتبها وغادرت غرفتها، ثم تذكرت أباهما الذي في سجن الأعداء وبكت، أمها تبكي، حاولت اعتراض الجرافة فتصدى لها الجنود"².

فالناثر الفنان يرقى بهذا التنوع الكلامي الاجتماعي حول الموضوع إلى مرتبة الصورة الناجزة المحترفة بامتلاء الأصداء الحوارية والردود المحسوبة فنياً"³.

¹ شقير، محمود، قالت مريم، قال الفتى، ص55.

² شقير، محمود، جمانة الرمانة، ص10.

³ ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة، يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط 1، 1988، ص30.

4- التناص:

هو كل خطاب يتكون أساسياً من خطابات أخرى سابقة، ويتقاطع معها بصورة ظاهرة أو خفية، فلا وجود لخطاب خال من آخر، ويؤكد باختين هذه الحقيقة وي طرح نظرية الحوارية.¹ التناص ليس فناً جديداً عند شقير فقد وظفه كثير من الكتاب الفلسطينيين سواء أكتبوا للأطفال أم لغيرهم، وربما يكون توظيفهم التناص بأنواعه المختلفة للطفل أكبر أثراً وأعمق دلالة في نفسيته؛ لأنه في فترة يحاول فيها محاكاة الآخرين، وخصوصاً أن بعض تعريفات التناص يشير إلى ذلك فهو تعالق "الدخول في علاقة" نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة²، وقد لجأ شقير إلى عدة أنواع من التناص ومنها:

التناص الشعبي:

إنّ الأدب الشعبي واحد من فروع تراث أي أمة من الأمم؛ وذلك لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخ الأمة وحضارتها، يعكس هموم الشعب وآماله وآلامه وتطلعاته بحرية ودون قيود؛ وهو يشمل "مجموع الرموز الناتجة عن الجزء الشعبي من ثقافة الأمة، وهو نتاج عفوي جماعي، يعبر عن شعور أبناء الشعب وعواطفهم وحاجاتهم وضمايرهم بشكل عام، وينتقل من جيل إلى جيل بشكل عفوي مشافهة أو عن طريق التقليد والمحاكاة والملاحظة"³، يعتني الكاتب في تعامله مع الطفل بماضيه ويركز عليه، ويراه منطلقاً نحو المستقبل، فهو يتعامل مع التراث الشعبي من منظور الوعي بالحاضر والإدراك للمستقبل، لأنّ الطفل الفلسطيني خلق في مكان مكتظ بالصراع، ليس على الأرض فقط أو على هذا التراث الجمعي، وإنما هو مرحلة لصراع إنساني

¹ باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد براده، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة، طبعة 1، 1987، ص53-54.

² مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992، ص121، وينظر، عزام، محمود، شعريّة الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2015، ص 116.

³ كناعنه، شريف، دور التراث الشعبي في تعزيز الهوية، مجلة التراث والمجتمع جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، م6 / ع9، ص22.

عبر مراحل تاريخية وفكرية متعارضة، وظف شقير الأغنية الشعبية في قصصه توظيفاً مباشراً دون تحريف أو تبديل؛ ليعبر عن نظرة البنت الطفلة إلى المستقبل بفرح وسعادة "أحسست بالرغبة في أن أكون أما، سألت نفسي: أما لولد أم لبنت؟ قلت: أفضل أن أكون أما لبنت. سيكون اسم البنت: صبا. حينما تبكي أهدها بين ذراعي، ثم أغنى لها: وهنا يمكن الإشارة الى رأي توفيق زياد في الأدب الشعبي، حين كتب "نحن لا ننظر إلى الأدب الشعبي المتناقل وكأنه شيء في أثر الماضي... أو أيقونات نعلقها على الصدور... أو أشياء أثرية للزينة... أو نصوص تحفظ... ونحن لا ننظر إليها كجثة يجب تحنيطها ووضعها في مزار، إنما ننظر إلى الأدب الشعبي من وجهة نظر الحاضر والمستقبل، ففي مسيرتنا نحو الحرية السياسية والاجتماعية نحن بأمس الحاجة أن نشد ذلك السلاح الأصيل، إنه لازم لنا لنصقل نفسياتنا حتى يزدهر كل ما هو طيب فيها"¹.

نني نني

عصفور في الجنة

صبا بدها تنام"²

"في الصيف الذي فات كانت زفة أخي الكبير، ومن حوله كان الشباب يغنون: عريسنا زين الشباب، زين الشباب عريسنا.

رقص نعمانٌ وغنى، ورقصت سناء وغنت معه:

عريسنا زين الشباب، زين الشباب عريسنا"³.

وهذا يدل على التصاق الكاتب بشعبه وصدق تعبيره عنه، فقد استوعب تراثه وأمثاله، يقول:

"اصطف الأولادُ والبنات معاً، رقصوا وغنوا، رقص معهم الديرُ وغنى: على دلعونة

وعلى دلعونة

ونكبر في ظلك يا زيزفونة"⁴.

¹ زياد، توفيق، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، الغلاف الخارجي. ط2 مطبعة ابو رحمون، عكا 1994.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص32.

³ شقير، محمود، مريم وكنعان، ص21.

⁴ نفسه، ص22.

وظّف الكاتب النصّ أحسن توظيف على لسان الطفل، إن قصة جحاً إن صحّت نسبتها له، التي قرأناها ونحن صغار، وفهمنا مغزاها الساخر، وأن هدف الناس غاية لا تترك، لقد وظفها الكاتب من خلال استرجاع الطفل لذاكرة الهزيمة، هزيمة حزيران، وجاءت بقلب مختلف ومشوق، وعليه فإن شقير يأخذ النص كما هو، بل أخذ جزءاً منه ثم وظفه في سياق القصة بدلالات إيحائية معبرة ورامزة وفاعلة إذ استغلها بطريقة فنية، لبيان أفكاره وما يرمي إليه تجاه مجتمعه، وهذا ما يتذكر الولد الفلسطيني في قصة "الوطن" يقول: "تذكرت جدي الذي قال لي في يوم الخامس من حزيران: اركب يا ولد فنحن ذاهبون إلى الوطن ركبنا الحمار أنا وجدي. فقال الناس: انظروا ما أقل ذوقه. قال جدي: انزل يا ولد، فنزلت وظل جدي راكباً وحده وقال الناس: انظروا قسوة القلب، يترك الولد ماشياً دون شفقة، قال جدي بعد أن ترجل عن الدابة: اركب يا ولد، وظل جدي يمشي في إعياء، وقال الناس: انعدم الاحترام وهذا زمن الهزيمة، صاح جدي محنقاً: انزل يا ولد ومشينا ثلاثتنا، أنا وجدي والحمار، وكان الناس يراقبوننا في دهشة وذهول"¹.

"وما فعله شقير هنا ما يطلق عليه المعارضة الساخرة، وهذا جزء من التناسل أي التقليد الهزلي أو قلب الوظيفة، بحيث يعيد الخطاب الجدي هزلياً والمدح ذمّاً والذم مدحاً"². جاءت الآثار الشعبية في قطع السياق القصصي - أحياناً - تتصف بالقول وإسقاط الآراء والأفكار والتدخل بالتربيته والنقد الاجتماعي والسياسي.

التناسل الأدبي:

للتناسل الأدبي دور مهم في إثراء لغة النص، وتحويله إلى قوة دافعة تثري التجارب الأدبية، ونقل رؤيتهم ومبتغاهم إلى المتلقي، لذلك كانت العودة إلى التراث هدفاً غنياً يستثمره؛ لمنح نصه قيمة احتجاجية وجمالية.

وهنا تأتي وظيفة التناسل وأهميته الذي يمثل حقلاً معرفياً خصباً يحتاج إلى نظر نقدي لاختيار العناصر الحية منه، والقادرة على الديمومة، والتي تصلح أن تكون شواهد قادرة على

¹ شقير، محمود، الولد الفلسطيني، ص16.

² مفتاح، أحمد، تحليل الخطاب الشعري، ص121.

التجدد والتموضع في نصوص جديدة، وتستعصي على الاستهلاك الآني، لما تختزنه من ظلال وثرء يتأبى على الاندثار والزوال"¹.

يضمّن الكاتب على لسان الطفل جانباً من التراث الأدبي، كما هو الأمر في هذا النص لبدر شاكر السياب من قصيدته المشهورة (أنشودة المطر)؛ وحقل التكرار فيها يتناسب مع الطفل الذي هو بحاجة إلى تكرار الأفعال والأقوال؛ لترسخ في ذهنه، ولعل المطر هنا إشارة إلى المستقبل الذي يبشر بالبهجة والفرح، لذلك يغتر فهذا النص المنتج من الصورة الشعرية:

"سكتناكلنا، وأنشد بصوت جذابّ

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر:

رددت ماري ولميس بصوت واحد:

مطر مطرمطر

واصل جريس:

عيناك حين تبسمان تُورقُ الكروم

وترقصُ الأضواء كالأقمار في نهر

رددت ماري ولميس:

مطر، مطر، مطر"²

ويتابع كنعان قوله: "انظروا، انظروا، غيمة كبيرة قادمة من بعيد، وبعد قليل يهطل المطر،

وقلتُ دون أن أترك لجمانة فرصة لمعاودة الحديث عن مصطفى:

- هيا، استعيدوا لكي نلعب تحت المطر.

ورحت أردد أغنية لفيروز:

شتي يا دنيا تايزيد موسمنا ويحلى

وتدقق مي وزرع جديد بحقلتنا يعلى"³.

¹ البياتي، عبد الوهاب، الشاعر العربي المعاصر والتراث، مجلة فصول، م1، ع4، 1981 / 22.

² شقير، محمود، أنا وجمانة، ص83.

³ نفسه، ص82.

التناص الديني:

إن النص القرآني بقصصه ومعانيه ولغته يعد أكبر المصادر توظيفاً في الأجناس الأدبية المختلفة، وأوسعها توظيفاً في المضامين قديماً وحديثاً؛ لما للقرآن من خصوبة وعطاء متجددين للفكر والشعور، إلا أننا لم نلمس هذا الشيء عند شقير إلا نادراً جداً. فقد جاء التناص الديني قليلاً في قصص شقير، ويمكن تفسير ذلك بعدة أسباب لأمجال لذكرها هنا.

إنّ الطفل يسترجع قصة المسيح وعلاقته بالقدس والأرض الفلسطينية؛ ويمنحه شقير رمزاً للانفعالات ومعادلاً وموازياً للانبعاث الكوني للأرض الفلسطينية والإنسان الفلسطيني مع العقل الفدائي، يتحدث الفتى النحيل عن القدس قائلاً:

"أحدثها عن المسجد الأقصى.... وعن كنيسة القيامة ذات المبنى المهيب، وفيها رسوم شتى للسيد المسيح، وهو يتحدث إلى بسطاء الناس، أو وهو معلق على الصليب؛ لكي يفدى بآلامه جموع البشر"¹.

إنّ النص القرآني بقصصه ومعانيه ولغته يعد أكثر المصادر توظيفاً في الأجناس الأدبية المختلفة، وأوسعها توظيفاً في المضامين قديماً وحديثاً؛ كما للقرآن من خصوبة وعطاء متجددين للفكر والشعور، إلا أننا لم نلمس هذا الشيء عند شقير إلا نادراً جداً كما في قوله:

"يقرأ مساعد أبي آية الكرسي بصوت مرتفع كأنه يأخذ على عاتقه أمر حمايتنا جميعاً من خطر العقارب، ولا بدّ من أنه كان يقرأ الآية نفسها، من دون أن نسمعه عقرباً ظهر ذات ليلة على قماش الخيمة فوق رأسه، أما أنا فلم أكن أحفظ آية الكرسي أكتفي بقراءة سورة العلق ثلاث مرات متتالية"²

التناص التاريخي:

يعد التناص التاريخي أنموذجاً ثرياً من نماذج التناص المهمة، التي تعمق النص وتغنيه، فهو تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي بكيفيات مختلفة³، أو إدراج الأحداث التاريخية أو الشخصيات التاريخية التي كان لها تأثير مستمر، تتداوله النصوص أو

¹ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص31.

² نفسه ص72.

³ الزغبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، مقدمة في دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" هاشم غرابية، مكتبة الكنانة إربد، 1993م / 29³.

يجري على الألسنة كمقولات داعمة، كما يعرف التناص التاريخي بأنه، "ذلك التناص النابع من تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاه مع النص الأصلي، وتبدو مناسبة ومنسجمة مع التجربة الإبداعية وتكسب العمل الأدبي ثراءً وارتفاعاً"¹.

إن التناص التاريخي واضح في بعض قصص شقير، يؤكد الطفل في قصة كلام مريم على ذكر "حارة النصارى في القدس؛ لأن المسيح دفع حياته ثمناً لإنقاذ الأمة في القدس:

قال الولد: نعم، في حارة النصارى

قالت البنت: نعم، في باب حطة"².

إن التناص شيء لا مناص منه" لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما ومن تاريخه الشخصي، أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم"³. فنلاحظ أن الطفل قد رسم صورةً للأبطال العرب، كما فعلت جمانة التي تريد أن تلتحق بالمقاومة كما فعلت المواطنة الجزائرية جميلة بوحيرد.⁴

إن من أكثر الشخصيات التاريخية التي ركز عليها شقير للطفل، هي شخصية صلاح الدين الأيوبي، ربما لمكانته تاريخياً، وتغير ملامح الأرض الفلسطينية، استخدمه رمزاً ليعكس عزة الأمة، سابقاً وبطولة قادتها ويقارن بين ماضي الأمة سياسياً واجتماعياً وحاضرها؛ وربما هي إشارة: إلى الذين يجلسون على الكرسي ولا يهتمون بأوطانهم، كما قال غاندي "الكثيرون حول السلطة قليلون حول الوطن." وجاء هذا على لسان حاتم في حوار مع صلاح الدين الأيوبي الذي زار القدس، ولكن من خلال الحلم، دفقت في الحلم غير مُصدق نفسي، راح الحلم يتضح لي بأدق تفاصيله إنه صلاح الدين الأيوبي بردائه الأخضر، صلاح الدين يتمشى في شوارع القدس وإلى جواره ولدٌ في الثانية عشرة من عمره. من هو هذا الولد؟ أنا، أنا بالذات أسير إلى جوار

¹ المصدر السابق، ص 25.

² شقير، محمود، كلام مريم، ص 52.

³ مفتاح، أحمد، تحليل الخطاب الشعري، ص 123.

⁴ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 68 و 17.

صلاح الدين، وصلاح الدين يميلُ برأسه نحو ي بين الحين والآخر، ليستمع إلى تعليقاتي حول ما نراه معاً أنا وصلاح الدين"¹.

وتوظيف شخصية صلاح الدين هنا يدل على عمق الوجود التاريخي للذات التي تتكلم في النص وهي ذات الطفل والكاتب معاً اللتان تجددان اتصالهما وتفاعلهما مع هذا الموروث العزيز للدفاع عن وجودهما وتاريخهما الحضاري في وجه محاولات الآخر للقضاء على هذا الوجود وطمسه

إنَّ الطفل يريد الفعل الثوري الجامح، فهو يتعلق بكل ما قد ينفذ حياته وشعبه وأرضه من رموز قيادية في مشارق الأرض ومغاربها، فجمانه ترى أن أملها الوحيد في تخلص فلسطين من غير الاحتلال هو أن تصبح هي وزميلاتها مثل المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد، تقول:

"حسنت هذا الأمر منذ كنا في الجزائر، قالت لي: سوف تفعل مثلما فعلت جميلة بوحيرد، قالت ذلك بعد أن أحضر أبي شريط فيديو عن "جميلة بوحيرد" أحضره بناءً على رغبة أمي التي لا تحب أن نذهب أنا وجمانة وحدنا إلى دور السينما المنتشرة في المدينة تقول دوماً: بعض الأشرار يدخلون دور السينما لإيذاء الأطفال، ولذلك، فهي تحبذ أن نشاهد الأفلام على الفيديو، وتحت إشرافها"².

إن الطفل يستفهم عن وطنه استفهاماً إن جاز التعبير؛ ليعبر عن ماضيه المشرق وواقعه المذل، فبعد أن كانت القدس رمزاً للانتصارات والعزة والشموخ في هيبته أصبحت مرتعاً للغزاة والطامعين إذاً، ها هو ذا صلاح الدين الأيوبي يعودُ إلى القدس بعد غياب ألف عام، ولا يختار من كل الأولد أحداً سواي لمرافقته في المدينة التي بذل الكثير من أجل تحريرها من الجيوش الصليبية الغازية، سأذهب إلى القدس لملاقة صلاح الدين، لن أتأخر عنه، ولن أخبر أحداً حتى

¹ شقير، محمود، أنا وجمانة، ص 21.

² نفسه، ص 17.

أختي جمانة، لن أخبرها بذلك؛ لأن حلمي واضح لايحتاجُ الى اجتهاد، فليس من أحد إلى جوار صلاح الدين سواي، إذا سأذهب وحدي"¹.

التناس الأسطوري:

إنّ الرجوع إلى الماضي كان واضحاً بكل تجلياته، والأفكار القديمة التي أقرب ما تكون إلى الأساطير كانت واضحة عند شقير، وكان الطفل جزءاً منها كما هو واضح في قصة "نجوم صغيرة" فإذا تأخر موسم المطر على بلاد الشام، يلجأ الأهالي إلى الاستمطار وبطرق شتى، وهذا ما كان يفعله الأطفال بحضور الكبار وتوجيهاتهم، فقد كان الأطفال يدورون في شوارع القرية ويهتفون لأم الغيث، عساها تسقط عليهم المطر "راحت أم الغيث أتجيب الرعود ما جت إلا الزرع طول العقود"².

إن استدعاء أم الغيث هنا تحيلنا إلى معنى من معاني التجربة الوجودية الإنسانية يتمثل في الموت والبعث عن الخلود لقهره والتحرر من مرارة الشعور به، كما يتجلى فيها نوع من الثنائيات الموت الحياة، وتجدد الحياة وبعثها من عالمها السفلي،

إن مثل هذه الأفكار أصبحت جزءاً من تاريخ الأمة، ولا يستطيع الفكاك منها، فهي تجربة قديمة تدفعه في مسيرة حياته تجاه ما يريد، أو هو يوظفها كما يريد، وكانوا يغنون، وكان بيتا كئيبا متواضعا "وأطلت من الباب امرأة، وكانت على وجهها ابتسامة واسعة. وأفرغت في صحن الأطفال مقدارا من الطحين، وتصايح الأطفال في صخب، وانطلقوا من جديد يذرعون الزقاق، ويغشون البيوت."³

إنّ الأطفال الفلسطينيين يتألمون لما هم فيه، وليس أمامهم إلا التحدي والصمود على الرغم من ضعفهم.

"يلح وهو يتمسح بها كالقط:

— بحياتك... احكي... احكي لنا بقرة اليتامى.

¹ نفسه، ص16.

² شقير، محمود، نجوم صغيرة، ص66.

³ شقير، محمود، خبر الآخرين، ص84.

- أو يا إسماعيل...تلفنا ونحن نحكيها
- والله إنها حلوة...احكيها بالله ويحس أبو إسماعيل بنشوة...وتداعبه فكرة:
- إسماعيل، احكيها أنت...وأنا وأمك نسمع
- ضحك إسماعيل بدلال...وأخفى وجهه:
- لا والله...أنا لن أحكي
- خذ قرش واحكيها
- قال إسماعيل بتردد وحياء:
- كان في يوم من الأيام...أولاد يتامى ولهم بقرة.
- أيوه¹
- وكان يسكن جانبهم ناس أغنياء
- الأغنياء قالوا:تريد أن تذبح بقرة اليتامى
- اليتامى سمعوا صاروا يبكون...وعند الذبح،اليتامى قالوا وهم يبكون يارب اجعلها لا
- تذبح...وتعب الأغنياء وهم يخرجون رقبتها وجموا على اليتامى وضربوهم...²
- لقد تجاوز توظيف الأسطورة هنا بعدها الدلالي إلى بعدها الجمالي المتأني في حضورها الجمعي
- اللاشعوري وفي الكثافة و التوتر الدلالي اللذين تمتلكهما.
- ويشير سعيد يقطين إلى أشكال التفاعل النصي القائمة بين الكاتب ونصوصه الخاصة
- (الذاتي)، مؤكداً على أن النصوص تختلف سواءً وهي تعيد التجربة الكتابية نفسها، أو تخوض
- في تجربة أخرى، لذلك فالمعيار الأساس يظل كامناً في النصوص التي يكتبها الكاتب في علاقتها
- ببعضها، وفي علاقتها بالبنية النصية التي انتجت فيها³.

¹ المرجع السابق، ص40.

² شقير، محمود، قصة الوطن، ص16.

³ ينظر، يقطين، سعيد، انفتاح النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2001، ص123.

5- السرد:

إن السرد الموجه للأطفال بحاجة إلى أدوات خاصة، من حيث اختيار الألفاظ والفكرة والشخصيات التي تتوافق والعمر الزمني والعقلي للأطفال. يقدم النص السردي للمتلقي مادة جلية في تجانسها وشفافيتها وطابعها الكلي العام، منذ اللحظة التي يلتقط فيها القارئ خيوط السرد¹. ويرى بعض النقاد أن المؤلف يجب أن يكون موضوعياً منفصلاً عما يكتب غير منفعل به، حتى يستطيع تجسيده بالحياد اللازم، بينما يرى آخرون أنه لا بد أن يكون متحمساً ملتزماً ومنغمساً في كتابته².

ونسيج القصة إما أن يجذب القارئ أو يبعده، إذ هو العامل الوحيد لمعرفة الكاتب وفنه، النسيج القصصي يشتمل على السرد، والوصف، والحوار، الذي يشمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال، وصفت لغة شقير في قولها: "لغة لغة قصصية مصفاة وخالصة في سبيل القص، وتحقيق متطلبات الحكاية دون إيغال في البلاغة اللغوية والشعرية والجمل المركبة المعقدة، فتميل جملة إلى الاقتصاد والاختزال، مبسطة، تحقق غاية إيصال فكرها بوضوح ومباشرة، حيث يمكن القول إنه يحتفي ببلاغة السرد ذاته على حساب اللغة الشعرية"³.

لقد وقف محمد شاهين عند بناء "قصة بقرة اليتامى" وركز على وظيفة المفارقة الدرامية التي ساعدت في تطويرها تلك الصلة بين القصة والحكاية التي بلغت بالمفارقة الدرامية إلى ذروتها ومنحتها حيوية بالغة، ووقف عند قدرة الحكاية على توفير الوعي للأب والأم، وإن كان الابن غير واعٍ بالمضمون، إذ تحول مفارقة الموقف إلى مفارقة رؤية⁴.

كما تعتمد قصة خبز الآخرين على الوصف السردي والحوار؛ لإبراز الحدث، هاتان الخاصتان من الممكن تعميمها على معظم قصص المجموعة ربما باستثناء قصة "والنار ذات الوقود"، وقصه "متى يعود إسماعيل"، ونجد في هذه القصة تصويراً فوتوغرافياً لحركة الواقع،

¹ فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 164، 1994، ص253.

² نفسه، ص261.

³ داود، أماني، هوية القصة القصيرة، ص15.

⁴ شاهين، محمد، القصة العربية الحديثة، ط لندن، 1989، ص72.

فالقصة تعطينا تصويراً صادقاً وأحياناً ليوم إحدى بائعات العنب من قرى القدس¹، وهنا تبرز الجملة الفعلية في تحريك مجمل المشهد القصصي، وإثارة نوع من الحركة المساعدة على تماسك مجمل الفكرة القصصية عامة. استخدم شقير في سرده أسلوباً فصيحاً قلماً قطعته بلفظة عامية. ويغلب على قصص شقير السرد التسجيلي، ونقل الواقع بصورة دقيقة وأحياناً حرفية، ولعل الكاتب أراد بذلك بلوغ أكبر قدر ممكن من الأمانة، وربما لا تنتمي بعض القصص الطفولية إلى أن توضع في أدب المقاومة فالأطفال لا يحملون سلاحاً، ولا يقومون بنشاط سياسي، إنها قصص تنشد تصوير الانفعالات والسلوك، ولا يعني أن دور الكاتب اقتصر على التسجيل في قصصه، وإلا لفقدت قصصه شرعيتها الفنية، لعلها عتمدت إلى اختيارات معينة، جعل الطفل هو بطل قصصه، وهؤلاء الأطفال في أسفل السلم الاجتماعي الذين تأخذ المأساة الوطنية حجماً مضاعفاً في انعكاسها على حياتهم وبذلك فإن قصصه تعكس رؤية أيديولوجية.

لجأ شقير إلى "توظيف تقنية تعدد الأصوات والرواة، واللعب بالضمائر عبر تناوب الشخصيات في التعبير عن أنفسهم، أو سرد حكاياتهم من وجهة نظرهم، بلا فاصل يشير إليهم، أو تميز طباعي يظهر للمتلقى فضاء النص المقروء، وكذلك عبر استثمار الأقواس لإضفاء معلومات تأتي على لسان القاص/الراوي الذي يغلب أن يكون واحداً من شخصيات القصة، حيث ينقل لنا ما شاهد عياناً، أو ماسمعه، أو ما نقله إليه قريبه في القصة، مما يمكن أن نسميه (تدخلات السارد) فضلاً عن المونولوج وتيار الوعي".²

نلاحظ هذه الفكرة في وضوح تام في قصة "أحلام الفتى النحيل"، فهو يصور بالحركات الداخلية والخارجية لشخصه، "جاءت عزيزة إلى بيتنا، جاءت لتستعير مقص الشجر، رحبت بها أمي وأخواتي الثلاث، كان خداهما متوردين من شدة الخجل"³.

¹ شقير، محمود، خبز الآخرين، ص183.

² ينظر، داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، على الرابط الإلكتروني. www.uop.edu.jo/download/Research/members. ص14.

³ شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، ص79.

يسيطر الفعل الماضي على مساحة النص القصصي عند شقير وصيغة الفعل الماضي

يعطي واقعية ومصداقية أكثر كأفعال وتجارب وحوادث حدثت في الماضي وانتجت فعلا ما. وهناك تشابه في السرد في بعض قصص شقير، مثل: "مرور خاطف" و"طقوس للمرأة الشقية" و"صمت النوافذ"، فهي تتقارب في نواح عدة أبرزها أنها قصص قصيرة جداً، وأنها قصص يغلب عليها أنها تشترك في السرد، وهو السارد كلي المعرفة الذي يقص ويعرف كل شيء، وقل مثل ذلك في قصة "قالت مريم قال الفتى" وكذلك "أنا وجمانة".

وهذا ما نراه واضحاً في (أحلام الفتى النحيل): "تصلُ هي وزميلاتها باب خان الزيت، أقترَبُ منها متدراً بالزحمة التي تشهدها السوق، تحاولُ الابتعاد مني متظاهرة بأنها لا تعيرني أي انتباه. فلا أبتعد عنها، إلا عند نهاية السوق. هناك تخف حركة الناس، ويبدأ تجمع البنات في التناقص، حيث تغيب بنت في هذا الزقاق، وتغيب أخرى في زقاق آخر، تبقى نادية وعدد قليل من البنات اللواتي يقطعن سوق العطارين، ثم يتجهن نحو سوق البازار، وهناك يتفرقن في اتجاه بيوتهن"¹.

إن البناء الواقعي لقصة "أنا وجمانة" واستغلال طاقة أسلوب السرد فيها، مكن القاص من رسم لوحة حسية نابضة بالإحياء بجانب تربوي تعليمي مدرسي، وهو حصة الرياضة، كما تمكن القاص استناداً إلى وضوح الرؤية في هذا المجال أن يجسد أكثر من قيمة في هذه القصة، "ويبرز عنصر الحذف أو الإضمار كآلية من آليات تسريع السرد، ويتمثل باختزال زمني واضح لفترات زمنية محددة بالأيام والشهور والسنين، حيث استغرقت هذه الفترات، فترة زمنية طويلة واقعية"².

وإذا تأملنا السارد في قصة "عصفور سناء"، فإننا نجد الكاتب نفسه، وجاءت لغة السرد بسيطة سهلة واضحة، وتخلو من أي أخطاء لغوية، وتحوي بعض التكرار الذي يكسر رتابة الإطار السردية مع رسومات توضيحية ملونة، وتكاد تكون الرسومات متكاملة، فيمكن للطفل أن يفهم القصة دون أن يقرأ النص، وهذا الوضع يذكرنا بالكتابات الوجودية التي ترجمت إلى

¹ المرجع السابق، ص 42.

² النوايسة، عبير، أدب الأطفال، دراسة في المضمون، ص 136.

العربية في الستينيات، حيث سيطر عليها الفعل (كان يكون) ويبدو أن هذا الفعل قد تركز في أذهان الرواد الشباب، علماً بأن الخلاص منه في معظم الجمل التي ورد فيها كان سهلاً لو تنبه القاص إلى ذلك، بل إنه في معظمه جاء زائداً على الجملة، جيء به للتدليل على زمن الفعل، وفي أحيان كثيرة كأداة وصفية "كان الحمار يقف بلا حراك و"كان أحدهم يهبط على الحمار". وفي موقع آخر "وكان سيفه يجرح الهواء، وكان له في البيت بنات، وكانت سادات القبائل". نلاحظ كان وثقل حضورها في الجمل المتتابعة، مع ثقل واواتها المتتالية كذلك¹.

وظهر عنصر الوصف عنصراً مسانداً، وإن قام بتبطيء عملية السرد، فالوصف تقنية سردية مكانية، يصعب أن يخلو منها أي نص نثري، "قال كنعان: ظننت أنك حزين؛ لأن الجميع مضوا، بقيت أنت ثابتاً في مكانك لا تتركه، اصطفت مياه النهر، وصدرت عنه ضحكة، وقال: أنا لست ثابتاً، إنني أتحرك باستمرار"².

لقد افاد شقير من ألوان السرد المتعددة في المساحة المحدودة للقصة القصيرة، كتقطيع السرد والوصف والتذكير والحوار، وكل ذلك يأتي في صياغة لغوية مناسبة، تراعي متطلبات الحدث وشخصه في كل مشهد من القصة³.

فإذا انتقلنا إلى الحوار، لا نعثر عليه إلا نادراً في نصوصه وموجزا في امتداده، ولكن جملة ترد طويلة أحياناً بهدف إيضاح الموقف ونراه لا يستخدمه إلا مضطراً على ما يبدو؛ لتوضيح مجمل المشهد، ذلك أن الراوي _ القاص يقوم في الغالب بمجمل الدور في تقديم الفكرة القصصية، ولكن الحوار عنده جاء ليدعم السرد الفني فهناك حوار من خلال الأسئلة التي يطرحها الطفل وينتظر إجاباتها في سياق السرد.

كما جاء الحوار، ليلعب دوراً بسيطاً في بعض النصوص، ولكن التقنية العامة السائدة هي تقنية القص السردية المباشر، راوٍ لعلها مطلع على كل ما يجري، يراقب أو يروي ما يدور

¹ رضوان عبدالله، البنى السردية، ص 184، 185.

² شقير، محمود، مريم وكنعان، ص 16.

³ ينظر داود، أماني، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، على الرابط

الالكتروني. www.uop.edu.jo/download/Research/members، ص 15.

أمامه مستخدماً في الغالب: سرداً يعتمد جملة فعلية، يبرز الفعل المضارع في عدد من النصوص من مثل: "تغلق الباب، تغلق النوافذ، تعد شاي المساء"¹؛ لإبراز الحيوية والحركة.

كما لجأ شقير كما في العديد من قصصه "إلى تنويع الأصوات كحيلة فنية، تسهل عليه (تغريب) الحكايات التي لا تصدق، والسلوكيات العجيبة لشخصه، ولكسر رتابة السرد"²، يخاطب النهر كنعان قائلاً "وستعرف أنني دائم الحركة رشق الماء من كفي، وعاد يملأهما من ماء النهر"³

وما يستوقفنا في مجموعة "ورد لدماء الأنبياء" في الجانب البنائي، هو بساطة التركيب القصصي، إذ إننا خارج البنى السردية المباشرة، لا نكاد نعثر بأية تقنيات قصصية من مثل التداعي القطع، عين الكاميرا⁴، فلو أجرينا دراسة حول مدى استعمال "كان" في قصص المجموعة، فإننا سنجدها: في قصة أهل البلد 45، وفي خبز الآخرين 33، وفي بقرة اليتامى 44، والنار ذات الوقود 31، ونجوم صغيرة 62، والفتى الريفي 20، واليوم الأخير 41، وفي الطريق إلى القدس القديمة 23، ومتى يعود إسماعيل 51، فيكون المجموع 350 كان⁵، وقد يكون تكرار كان ومشتقاتها هنا ذات السارد أو الكاتب.

تعد قصص شقير مقدمة سردية واضحة وحساً طريفاً بالحياة ومفارقاتها وصعوباتها، وأسلوباً تهكمياً صريحاً، يعتمد السخرية حيناً والتبسيط حيناً آخر؛ لاحتضان القضايا الوطنية والتربوية والسياسية الكبرى؛ بدافع من إيمانه المطلق بفكرة الالتزام وحتمية الانتصار على الظلم والعدوان والاستبداد والقهر.

1 رضوان، عبدالله، البنى السردية، ص 169.

2 أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، عمان، دار الشروق، 2007، ص 67.

3 شقير، محمود، مريم وكنعان، ص 16.

4 رضوان، عبدالله، البنى السردية، ط 2009، 1، عمان، ص 168.

5 المصدر السابق، ص 184-185.

الخاتمة:

- ترى الباحثة أن على القارئ لقصص محمود شقير أن يتنبه قبل قراءتها إلى ملحوظتين:
أولاً: لا يمكن غض الطرف عن الأفكار السياسية في الكتابة الأدبية وبخاصة في حالة مثل الحالة الفلسطينية.
- ثانياً: تخرج شقير في فرع الفلسفة والاجتماع في جامعة دمشق منحه القدرة الفكرية والنتقيف الذهني اللذين ساقاه إلى الإبداع في مجال القصة القصيرة، فضلاً عما كتبه في القصة القصيرة جدا والرواية وقصص الأطفال والسير الشخصية.
- إن علاقه الوثيقة بين الأدب والمجتمع من أهم مميزات قصص شقير، ولا يمكن فهم إبداع محمود شقير في هذا المجال إلا بدراسة الواقع الفلسطيني وفهمه في ظل غموض الظروف السياسية وتزايد الاستبداد الصهيوني، وتزايد المشاكل الاجتماعية والثقافية و غفلة المثقفين والأدباء عن المهمة التاريخية في تنوير الأذهان ونقد الواقع.
- إن أدب شقير الطفولي بحاجة إلى دراسات موسعة، لا من أجل التواصل معه ومع جمالياته فحسب، بل لأنه يشكل مثلاً متيناً لنوع سردي جديد، ما زال إلى اليوم دون دراسات كافية، وما زال يلزمه كثير من القراءات لاستجلاء عناصره وآفاقه الرحبة.
- جاءت اللغة تتناسب مع الفئة العمرية للطفل، وكذلك السرد جاء مباشراً لا تعقيد فيه ولا تكلف ويقال ذلك أيضاً عن الصورة، فقد كانت سهلة بسيطة مركبة من أجزاء صغيرة تساعد الطفل في فهم المقروء. وجاءت قوية السبك غالباً، إلا أننا نرى تلك المزوجة بين الفصيحة والعامية لتلائم الواقع الطفولي الذي يجب على الطفل أن يفهمه.
- يرى شقير أن الطفل يحمل جزءاً من مسؤولية الدفاع عن فلسطين وشعبها ومستقبلها.
- حملت قصص شقير كثيراً من الرسائل التربوية الصادقة الواضحة التي تتضمن أبعاداً عدة: منها الوطني والتاريخي والنفسي والاجتماعي.
- كانت نظرة الطفل للاحتلال هي الأسوأ، وكان الطفل يحاول جاهداً مقاومة الاحتلال بفكره وجسده، حتى أنه كان يحاول الاستعانة بالأطفال العرب لتحقيق هذا الهدف.

- إن الهمّ الوطني كان بارزاً في أدب شقير الطفولي، وجاءت الأرض وصورتها جزءاً لا يتجزأ من فكر الطفل الفلسطيني الذي كان يتطلع دائماً إلى تحريرها.
- لقد حملّ شقير الطفل الفلسطيني قوة خاصة وعبئاً ثقيلاً مقارنة بأطفال العالم الآخرين.
- إن هذا اللون من الأدب عند الكتاب الفلسطينيين عامة وعن كاتبنا خاصة كان بين مدّ وجزر؛ بسبب الظروف التي مرت بها القضية الفلسطينية وما زالت تمرّ بها.
- لقد نظر الطفل عند شقير إلى الحياة نظرة سوداوية، فيها من المعاناة والقتل والدم والسجن والشتات، وبالتالي فقد أدخله في معترك الحياة ومصائبها باكراً، علماً أنه منحه نظرة تفاؤلية ولكنها بنسبة أقل بكثير وكان الأولى هو العكس.

المصادر والمراجع

أولاً: - المجموعات القصصية

1. شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، ط1، 2010.
2. أنا وجمانه، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله، ط1 2001.
3. ثلاث قصص قصيرة جداً، دار راية للنشر، حيفا، 2012.
4. جمانة الرمانة وقصص أخرى، الزيزفونه لتنمية ثقافة الطفل، رام الله، 2016
5. الحاجز، دار القدس للنشر والتوزيع، القدس، ط2، 1994.
6. خبر الآخرين، منشورات صلاح الدين، القدس، 1975.
7. ابنة خالتي كوندوليزا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2004، 1.
8. رحلة الحمار وقصص أخرى، الزيزفونه لتنمية ثقافة الطفل، رام الله، ط1، 2011.
9. ظل آخر للمدينة، دار القدس للنشر والتوزيع، القدس، ط، 1998.
10. عصفور سناء، دار البحيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
11. صورة شاكير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 2003.
12. طفوس للمرأة الشقية، دار القدس للنشر والتوزيع، القدس، ط2، 1994
13. كلام مريم، الزيزفونه لتنمية ثقافة الطفل، رام الله، ط2013، 1.
14. كوكب بعيد لأختي الملكة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، ط1، 2007.
15. مرور خاطف، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، ط1، 2002.
16. قالت مريم _ قال الفتى، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1996.
17. الولد الفلسطيني، منشورات صلاح الدين، القدس، ط1، 1977.
18. الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، مطبعة لجنة البيان العربي، ط1 1957.
19. الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967_ 1981، دن. 1993.

20. باختين، ميخائيل، **الكلمة في الرواية**، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط 1، 1988.
21. **الخطاب الروائي**، ترجمة محمد برادة، ط دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1987.
22. بشرى، موسى صالح، **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1994.
23. أبو بكر، وليد، محمود شقير، **كتابه معاشه، طقوس للحياة**، موقع محمود شقير الالكتروني.
24. تزفتان، تودوروف، **مقولات السرد الأدبي**، ترجمة فؤاد صفا وزميله، ضمن كتاب: طرائق تحليل النص السردي، منشورات اتحاد الكتاب المغاربة، المغرب، ط 1، 1991.
25. تيمور، محمود، **أدب وأدباء**، ط القاهرة، 1968.
26. **دراسات في القصة والمسرح**، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، د.ت.
27. جبور، عبد العزيز، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
28. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
29. الحديدي، علي، **في أدب الأطفال**، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط 2، 1976.
30. حرب، أحمد، **قصص قصيرة في الوطن المحتل**، الفجر الأدبي، عدد 23، 1982.
31. حلاوة، محمد السيد، **الأدب القصصي للطفل** "مضمون اجتماعي نفسي" الأسكندرية، ط 1، 2000.
32. نفسه، **مدخل نفسي اجتماعي**، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط 1، 2003.
33. حور، محمد، **الطفل والتراث**، ط دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 1993.
34. خليل، إبراهيم، **القصة القصيرة في الأردن**، وبحوث أخرى في الأدب الحديث، عمان، ط 1، 1994.
35. نفسه، **رابطة الكتاب الأردنيين**، ط 1، عمان، 1994.

36. الديك، نادي، في أدب الأطفال، دراسة نقدية تطبيقية من السومريين حتى القرن العشرين، دار الأسوار، عكا، 2001.
37. رضوان، عبد الله، البني السردية، دروب للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2009.
38. الزعبي، أحمد، التناص نظريا وتطبيقيا، ط مكتبة الكناني، إربد، ط 1، 1993.
39. زلط، أحمد، أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه، الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1994.
40. زياد، توفيق، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، مطبعة أبو رحمون، عكا، ط 2، 1994.
41. السعافين، إبراهيم، الرواد على بيدر الحكمة، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، 1950_2000 دار الشروق، عمان، ط 2008، 1.
42. السلحوت، جميل، محمود شقير أديب مدينة السلام، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أكاديمية القاسمي، ط 2013، 1.
43. سلام، محمد زغلول، دراسات في القصة العربية الحديثة، الاسكندرية، د.ت.
44. السمرة، محمود، في النقد الأدبي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974.
45. أبو شاور، رشاد، قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشروق، عمان، ط 1، 2007.
46. شحاته، حسن، أدب الطفل العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1991.
47. شرايحة، هيفاء، دراسات في أدب الأطفال والخدمة المكتبية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2005.
48. الشعبي، مهند، مدخل إلى أدب الأطفال الفلسطيني، دار الينابيع، دمشق، ط 1، 2002.
49. شقير، محمود، شهادة الكتابة في كتاب التحولات في القصة القصيرة، دار الفنون، عمان، 2001.
50. الشايب، أحمد، الأسلوب، دراسه بلاغيه تحليليه، ط 6، 1996.
51. صالح، فخري، القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، دار العودة، بيروت، 1982.
52. صبيح، إبراهيم، الطفولة في الشعر العربي الحديث، الدوحة، ط 1985، 1.

53. طه،صلاح، الكاتبة العكية سميرة عزام، مؤسسة الأسوار، عكا، ط2004،1.
54. عباس، نصر، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1 1982 .
55. عبد المجيد،عبد العزيز، القصة في التربية، دار المعارف ،مصر، ط2، 1952.
56. عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 1999.
57. عبيد الله، محمد، بلاغة السرد، مطبعة السفير، عمان، ط 1، 2006.
58. عزام، محمود، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2015.
59. عليان، ربحي، أدب الأطفال، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014.
60. العناني، حنان، أدب الأطفال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999.
61. علينات، سلوى، بين التربية والهوية، بعض من ملامح أدب الأطفال الفلسطيني في إسرائيل، موسوعة - أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، أدب الأطفال، أكاديمية القاسمي، ط 1، 2014.
62. طفولة في صراع، انعكاس الصراعات السياسية والمجتمعية في أدب الأطفال الفلسطيني 1987- 2000، مجلة الحصاد، عدد 2، 2012.
63. العالم، محمود، وأنيس، عبدالعظيم، الثقافة المصرية، القاهرة، ط 3، 1989.
64. العواني، محمد، دراسات في أدب ومسرح الأطفال، دمشق، 2013.
65. عيسى، رائد علي، التشكيل في أدب الأطفال، مدخل تطبيقي في أدب الاطفال في الأردن، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
66. العيسى، سليمان، شعر الأطفال، سوريا، ط1، 1981.
67. غنايم، محمود، المدار الصعب، رحله القصة، في إسرائيل، سلسله منشورات الكرمل "6" كفر قرع، ط1، 1995.
68. فاعور، ياسين، القصة القصيرة الفلسطينية، ميلادها وتطورها ما بين 1924 - 1990، دمشق، 2001.
69. فخرى، صالح، القصة الفلسطينية القصيرة، دمشق، 1983.

70. فرانسوا، مورو، البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الوالي وعائشة جريز، ط إريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
71. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 164، 1994.
72. نفسة، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط 1988، 2.
73. أبو فنة، محمود، وآخر، أفاق جديدة، دراسات وأبحاث في أدب الأطفال، الناصرة، ط 1996، 1.
74. قناوي، هدى، أدب الطفل وحاجاته، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2003.
75. القوصي، عبد العزيز، أسس علم النفس، ط القاهرة، 1960، ص 267.
76. الكركي، جميل، قصص الأطفال عند الدكتور عبدالرحمن عباد، موسوعة أبحاث ودراسات في - الأدب الفلسطيني الحديث، أدب الأطفال، أكاديمية القاسمي، ط 1، 2014.
77. الكعبي، فاضل، كيف نقرأ أدب الأطفال، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012.
78. لونا مكي، رايا، أعطونا الطفولة ترجمة دوريس ليون، القدس، ص 2، 2000.
79. المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1983.
80. أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال، دراسة وتطبيق، ط 1، 1984.
81. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 1992.
82. مقاله، هدى، سلسلة كشكش ولوزه لالهام تابري، موسوعة أبحاث ودراسات في الادب الفلسطيني الحديث، مجمع القاسمي 2014.
83. مقداي، موفق، القصة في أدب الأطفال في الأردن، روضة الهدد، نموذجاً، دار الكندي، عمان، ط 1، 2000.
84. ناصر، أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، د. ت.
85. نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، بيروت، 1991.

86. المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1979.
87. النوايسة، عبير، أدب الأطفال، دراسة في المضمون، دار أميمة، عمان، ط 1، 2004.
88. الولي، مصطفى، الموقف الأدبي، دمشق-العدد408، 2005.
89. ياغي، عبد الرحمن، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية دار الشروق، عمان، ط 1، 1999.
90. القصة القصيرة في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ط 1، 1993.
91. يقطين، سعيد، انفتاح النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2001.

الرسائل الجامعية:

- الرجوب، إياد، أدب الأطفال في فلسطين، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القدس، 2012،
السرخي، سامي، الفن القصصي عند محمود شقير، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة
القدس، 2007.

المقابلات والحوارات :

- مقابلة مع مدير مكتبة بلدية البيرة، بتاريخ 2008/7/21
- مقابلة مع الكاتب بتاريخ 2014/10/20
- جريدة الحياة الجديدة، 2008/12/25، عدد 4723، حوار مع محمود شقير حاوره سونيا نمر .
- جريدة الحياة، الجديدة، 2007/11/7، العدد 4324، حوار مع محمود العطشان، حاوره ملكي سليمان .

المجلات:

- مجلة الأفق الجديد، العدد11، آذار 1962
- مجلة التراث والمجتمع، جمعية انعاش الاسرة، البيرة، م6 / ع9.

مجلة دفاتر ثقافية، عدد، 1996
الفجر الأدبي، عدد 23، أب، 1982.
مجلة فصول، مجلد 1 عدد 4، 1981.

المواقع الالكترونية:

أماني، داود، هوية القصة القصيرة عند محمود شقير، مقال الكتروني.

<https://uop.edu.jo/download/Research>

السلحوت، جميل، محمود شقير الأديب المتجدد والمتميز دائماً، موقع دنيا الوطن، بتاريخ

2012/5/29

"إبداع ونقد" موقع الكتروني بتاريخ 2009/11/4

alwatanvoice.com/content/print/262148.html

مقال الكتروني منشور بتاريخ 2012/6/2

<http://www.mahmoudshukair.com/ar/index.php>

<http://mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article.php?st> .1

www.mahmoudshukair.com .2

<http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=27> .3

www.mahmoudshukair.com/ar/modules/news/article .4

wwwuop.edu.jo/download/Research/members .5

<http://www.odabasham.net/show> .6

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Child in Mahmoud Shouger's stories

By
Zohur Ali Mohamed Youssef

Supervisor
Dr. Nader Qasim

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies,
An- Najah National University, Palestine.**

2016

The Child In Mahmoud Shouge's stories

By

Zohur Ali Mohamed Youssef

Supervisor

Dr. Nader Qasim

Abstract

This research, entitled " the Child in Mahmoud Shukir's Stories " examines a particular phenomenon that is unique to Shukir from other short story writers in Palestine, the researcher tried to highlight childhood meanings, dimensions and methods in this particular type of literature, as she examined psychological, social, and national dimensions. She also showed child's perspective of land, martyrdom, homeland, and occupation. Furthermore, she showed children's perspective of these issues and how they dealt with them.

The researcher also examined the aesthetic formation of child's presence in Mahmoud Shukir's narrative works, as she highlighted aesthetic aspects in them, most importantly, the simple language that suits children and their mental and intellectual level, the language that is consistent with children's language as well. Whereas the image, it precisely and sensibly depends on narration techniques.